شريف عبد الهادي

صبية قلب بابا

"هواجس أب خايف بنته تكبر ما تلاقيهوش"

دار دوّن

مكتبة عابث الإلكترونية

إهداء:

إلى كل من يحمل في الوجود لقب "ماما" أو "بابا"، أو على الأقل

يحلم بأي من اللقبين ولم يحظَ بهذا الشرف العظيم بعد..

وإلى كل يتيم ويتيمة لم ينعما بحنان الأب، ودفء الأم.

مكتبة عابث الإلكترونية

تنويه

لأن هذا الكتاب حالة إنسانية، ومشاعر صادقة من قلب أب لابنته، رأى الكاتب أن يمزج في كتابه بين العامية والفصحى، بما يجعله يتجاوز أحياناً بعض قواعد النحو في الكتابة ويستخدم الأخطاء الشائعة لكنها مألوفة للبسطاء؛ إذ الهدف هو تكريس المعنى والرسالة التي تهمه في المقام الأول قبل مراعاة قواعد اللغة، لذا لا تندهش إذا ما طغت اللغة العامية على الوصف والحوار أحياناً، ولا تتعجب إذا أضاف الكاتب ياء التأنيث للكلام بدلاً من الاكتفاء بوضع الكسرة تحت الحرف الأخير، فيكتب (أنتِ) هكذا (إنتي)، وغيرها من بعض التجاوزات "المقصودة" بما يحقق الحالة الإنسانية المنشودة من الكتاب، ليخرج في صورة حوار حي بين أب وابنته التي يخشى أن تكبر فلا تجده، وهذا هو بيت القصيد الذي يهمّ الكاتب قبل اعتنائه بجماليات اللغة وأدبيات السرد -التي تهم المؤلف بالفعل وستنتصر عليه في بعض الفصول بالمناسبة- لكنها تأتي في هذا العمل تحديداً في المقام الثاني من الأهمية.

خالص الاعتذار لقواعد اللغة والنحو، ولكل قارئ وقارئة يعشقان اللغة العربية، لكن من المؤكد أنهما سيعذران الكاتب إذا ما وصلت إليهم مشاعره وهواجسه..

استعنا ع الشقا بالله...

مكتبة عابث الإلكترونية

من قبل ما أشوفك

من الذي لم يحلم يوما بخروج قطعة منه تكبر وتترعرع فتصبح امتداداً لاسمه وسيرته، واستكمالاً لشكله وطباعه، وتنفيذاً لرسالة يغرسها في هذا الكون ليتناقلها من بعده اللاحقون حين يوارينا الثرى، ونصير نسياً منسياً؟!

من الذي لم تنِد الظروف الحالكة، والأيام الصعبة هذا الحلم في نفسه، لتصرف عنه النظر رغماً عنه، فيودّعه بعين دامعة، وراضياً بحاله أن يبقى وحيداً، بدلاً من أن تتعلق في عنقه أمانة قد لا يكون أهلاً لتحملها، أو قادراً على تحقيق أبسط مطالبها، قبل أن تسرقه الدنيا ودوامة الحياة؟

كلنا نحب أطفالنا منذ أن كنا أطفالاً نسبح في البراءة، ونتخيل أطفالاً مثلنا سنصير لهم آباء وأمهات في يوم ما، لتحجز حجب النقاء عن أعيننا وقتها ما سنؤول إليه حين نكبر وتلوثنا الخطايا والآثام. نحلم بأطفال من نسلنا، وجزء منا، لترفعهم الأيادي، ونقبّلهم بلهفة وشوق، وتصير صدورنا موطنهم وعالمهم الآمن عند الاحتضان.

كنا نعشق كلمة "نونو" و"بيبي" وننطقها بحب واستمتاع شديدين ونحن نشير إلى الصغار، رغم أننا كنا نفس "النونو" الذي لم يكبر بعدُ!

مكتبة عابث الإلكترونية

بداخلنا غريزة الأبوة والأمومة، وحب المخلوق الوليد وهو ضعيف، مغمض العينين، مستسلماً لمصيره، وراجياً رحمة من حوله بضعفه وقلة حيلته واستكانته لأمر سيكون مفعولاً.

لكننا في غمرة حبنا واشتياقنا لقادم لم يأتِ بعد، وحب لغريزة ولدت فينا ولم تتحق، لا نلمح أعين أهلنا الدامعة وهم يتطلعون إلينا ونحن نلهو ونمرح، فلا نشعر بهم لحظة إفلات الدمع من المآقي، ولا نسمع أصواتهم الداخلية وهواجسهم وهم يتساءلون بقلوب ممزقة: "يا ترى ربنا هيديني العمر وأفرح بيك لما تكبر؟".

ستكبر بالفعل ونشعر بما كان أهلنا يشعرون به، في الوقت الذي يلهو فيه صغارنا دون أن يشعروا بنا، والأيام دول يداولها الله بين الناس، لكني اكتشفت أن البعض -وأنا منهم- قد يحمل هواجس ومخاوف عدم رؤية أطفاله حين يكبرون قبل حتى أن يولودوا ويراهم رؤية العين، بل وقبل أن يتزوج من الأساس!

تمرق في خواطرنا تلك الهواجس والمخاوف حين ننظر إلى الواقع البغيض حولنا ونرى كيف يموت الشباب صغاراً. حين نتساءل كيف يأوي أحدهم إلى النوم سليماً معافىً فيذهب في رحلة ذات اتجاه واحد بلا رجعة، وتكون جملة "تصبحوا على خير" هي آخر ذكرى يتركها لمن حوله! حين نعجز عن حصر عدد الذين ودّعناهم من أحباء وأعزاء بنفس ذات المفاجأة القاسية، ورأينا غدنا المظلم في نهايتهم المفجعة وفراقهم الدائم.

حين نرى كيف صار المرض قريباً جداً من ذوي الشعر الأسود، وأعمار الربيع، ما بين فشل كلوي، وسرطان، وفيرس سي....

حين نتابع نشرات الأخبار ونرى كيف يتساقط القتلى في لحظات من العبث والجنون، حين يستبيح أبناء الوطن الواحد دم بعضهم البعض لخلافات أتفه وأحط شأناً من أن تكتب كلمة النهاية لحياة شباب من المفترض أن يكونوا عماد الأوطان.

حين نسمع عن تفشي البلطجة والجريمة ووقائع السطو المسلح و"التثبيت" بالسلاح من أجل نزع جنيهات معدودة أو هاتف محمول لا يساوي نقطة دم واحدة.

حين نقرأ في صفحة الحوادث عن سيارات انقلبت على الطريق، وأخرى انسحقت بمن فيها من ركاب في حوادث مأساوية وكارثية.

حين يتم قطع الإرسال للإعلان عن حادث إرهابي خسيس، قام فيه أشباه البشر الأحط قدراً من الحيوانات بتفجير قنبلة من على بُعد لتحصد أرواحاً بريئة، وتردي شظاياها البعض ليصابوا بالعاهات والعجز ما بقي لهم من العمر، حتى وإن كانوا في مقتبله.

وفي غمار كل هذا السواد، ستجد عقلك يسأل ويتساءل: ماذا لو جاء قدري قبل أن أنعم بالزواج من شريكة عمري، والنوم في حضنها ولو لليلة واحدة؟

ماذا لو تزوجت وحُرمت من نعمة الإنجاب؟

حتى لو طمأنتك حبيبتك -كما طمأنتني- بأنها لن تتركك من أجل مخلوق لم يأتِ، تعرفك ولا تعرفه، رأتك وسمعتك، ولم تره ولم تسمعه، وربما لو جاء لكان مصدراً للتعاسة وشقاء والديه، ونجحت في نبذ هواجسك ومخاوفك، ستنقضّ عليك تساؤلات أخرى لا شفاء منها هذه المرة: ماذا لو تزوجت وأنجبت.. أنوجِد في هذه الحياة أبرياء نخشى أن نستحضرهم في عالم قاسٍ موحش ونتركهم ضعافاً لتحصد

مكتبة عابث الإلكترونية

براءتهم الحياة؟ ماذا لو جاءوا هم ورحلنا نحن قبل أن نوفّر لهم الحد الأدنى من الأمان لغدهم ومستقبلهم؟ ما الذي يضمن ألا يستغل الآخرون ضعفهم، ويجنون على براءتهم، فيشيبون في عز الطفولة؟

وماذا لو امتدّت بنا الحياة، وأطال الله الأجل؟ هل نملك لهم ضراً أو نفعاً إذا اقتحم المرض أجسادهم بلا استئذان؟

نجلس أمام التلفاز في شهر رمضان الكريم لنتابع المسلسلات والبرامج، فتغتال أحلامنا وسكينتنا إعلانات مستشفيات السرطان، والقلب، والفشل الكلوي، والفقر، وبنك الطعام، في وطن صارت الأمراض الفتاكة ظاهرة تطول كل من فيه: أغنياء، وفقراء، ومتوسطي الحال - إن وُجدوا- دون أن يعرف أحد من أين تأتي الضربة، ولا من الذي انتخبه القدر ليكون عليه الدور.

فيتألم خيالنا الذي تغادره الخضرة، والملاهي، وممارسة الرياضة في النوادي، والمدارس الأجنبية، وحفل التخرج، وحفل الزفاف وغيرها من الرفاهيات والأيام المنتظرة التي نتمناها لأطفالنا ونحلم بأن نحضرها معهم، ليحل محلها رغبة وحيدة في الستر ودرء المرض وكفى بها نعمة!

أن تجلس جوار طفلتك أو طفلك وهو نائم فقط لتتأمل ملامحه الملائكية، دون أن تضطرّ أن تنام على كرسي إلى جوار سرير يرقد فوقه في ضعف واستسلام مسحَى العينين، وموصّلة بجسده الخراطيم والمحاليل وأجهزة التنفس الصناعي وقياس القلب بأحد المستشفيات، أو تحمله وتهيم به ضعفاً وبؤساً وشقاءً؛ بحثاً عن سرير شاغر بمستشفى حكومي ليتمرن فيه ويتدرب عليه صغار الأطباء.

خشيت عليكِ يا طفلتي قبل أن ألقاكِ من مجهولي ومجهولك.. من وطني ووطنك، من شعبي وشعبك، من قدر مجهول لا نملك رفاهية

تفصيله على مقاس أحلامنا وتطلعاتنا، وغدٍ غير معلوم ما يخبئه لنا من مفاجآت سعيدة أو كوابيس حقيقية لا مفر منها ولا مهرب مهما فتحنا أعيننا مثلما نفر من كوابيس النوم.

لكن هناك أمور نعلم علم اليقين أن الإنسان مُسيّر فيها، عديم الاختيار، وإذ كنا نخشى المرض والفراق، فلم لا نتفاءل بالميلاد؟ لم لا نستمتع بأول صرخة "واء"، وأول كلمة "بابا" و"ماما"؟ لِمَ لا نذوب حباً وعشقاً مع أول "بوسة" و"حضن"؟ لمَ لا نبكي فرحاً مع أول Uniform نشتريه ونُلبسه لأطفالنا عند أول مرة يذهبون فيها إلى الحضانة، سواء K.G1 أو حتى Pre-School، ونحن نقنعهم بعدم البكاء، ونمنيهم بأوقات طيبة سيقضونها مع الMiss وزملائهم الجدد، وحصص الألعاب والموسيقى والرسم والتلوين بغض النظر عما إذا كان هذا حقيقياً أم أكذوبة تعلمناها من أهلنا حين كذبوا علينا الكذبة نفسها، وطالما أن المكتوب سيحدث لا محالة شئنا أم أبينا، بحلوه، ومره، وسعادته، وبؤسه، فلنستمتع باللحظة ونترك القدر لرب الأقدار الذي لا نسأله ردّها ولكنا نسأله اللطف فيها.

ولأن الهواجس قد تظلّ محض خيال يؤرق صاحبه دون أن تتحقق، أو قد تتحول في لحظة إلى واقع أليم يحاصر المرء دون أن يقدر على الهرب والفرار، فدعينا -يا محبوبتي- نعدّ العدة للخطة (أ) والخطة (ب)، حتى لا نترك شيئاً للصدفة والمصادفة إذا عبرْتُ فجأة للجانب الآخر من الوجود وتركْتُك وحدك.

سأورد إليكِ كلماتي، وأصطحبك معي في رحلة عبر الورق الذي يتحقق على سطوره كل شيء، حيث في الإمكان أن يتحدث الميت مع الحي، ويقف في كادر واحد الغائب مع الحاضر، ويلتقي الواقع بالخيال،

مكتبة عابث الإلكترونية

وينطق الرضيع ويصغر الكبير، ونعود للماضي أو نسافر للمستقبل، لعلك يوماً تفهمين مقاصدي حين يصبح الفهم والإدراك "أوبشن" في "السوفت وير" الخاص بكِ!

يا رب ولد!

من قبل زواجي أنا وأمك ونحن نحلم بتلك الأعراض المقدسة، التي تجعل أمك تغادر القعدة لتهرول بشكل مفاجئ نحو الحمام كالممسوسة، قبل أن تُخرج ما في جوفها في عين التواليت، لأسألها بتوتر: ما لك يا حبيبتي فيه إيه؟ فتجيبني بضعف وإعياء: مش عارفة يا حبيبي، بقالي كام يوم حاسة بدوخة، ونفسي غامّة عليا، فأغمز بعيني وأقبّل بطنها صارخاً بسعادة: حلاوتك.. يبقى حصل وشكل عتريس هيشرف يا أم عتريس!

حلمنا بتلك اللحظات، وما يتبعها من: "ألو، أيوه يا بابا، مبروك هتبقى جد"، ودموع فرح تنسال هنا وهناك، من حمايا العزيز الذي سيصبح جداً لأول مرة، من أمي التي طالما بكت ونهنهت وهي تقول: "نفسي أشيل خلفتك قبل ما أموت"، من أبي الذي كان جداً بعد أن سبقتني أختي، لكنه كان دائماً يؤكد: "خلفتك هيكون لها طعم تاني.. إنت إبني اللي ولاده هيحملوا اسمي".

كانت والدتك دائماً ما تقول بنبرة أم حنون -قبل حتى أن تصبح أماً- حين يسرح بنا الحلم ونشاهد مشهد الحمل بعين الخيال في مكالمة بعد منتصف الليل:

- يا رب يا حبيبي نجيب بنوتة جميلة شبهك، وآخدها في حضني ليل ونهار، وتملا البيت علينا بالفرحة والسعادة.

مكتبة عابث الإلكترونية

فأجيبها بنبرة حاولت مراراً أن تكون متزنة:

- كل اللي يجيبه ربنا كويس، بس أتمنى إن أول خلفة تحديداً تبقى ولد عشان يشيل المسئولية معايا أول ما يكبر وأتسند عليه، بعد كده مش هتفرق أي حاجة تانية حتى لو جبنا 10 بنات!

- 10 ف عينك، ليه متجوز أرنبة؟

- طب بالعند فيكي هيبقى ولد بقى، وإلا هرجّعه مطرح ما جه!

- وإنت هتعمل زي الرجالة اللي دماغها تعبانة وتقول الولد سندي وضهري، والكلام الفاضي ده، لعلمك بقى مفيش أحسن من خلفة البنات، كفاية طيبتهم وحنيتهم، وبكرة لما تجيب بنت هتفهم كلام الناس الكبار اللي بيقولوا البنت حبيبة باباها.

كان دائماً الكلام في هذا الجدل العقيم ينتهي بنبرة صوت حادة وبوادر خناق لا محل له من الإعراب، فأهرب من همه وقرفه إلى هم أكبر وعذاب لا ينتهي وأنا أغوص في هواجسي الأليمة حول غدٍ قد لا يأتي، وإنجاب قد لا يحدث، أو يحدث وينتج عنه "بيبي" يأتي في وقتٍ أستعدّ فيه للرحيل، فتهتز خلجاتي، وترتعش نبراتي الجريحة بحروف معظمها مكتوم يأبى الخروج لأبلعها في ألم، فتنسى حبيبتي خلافاتنا التافهة، وتنحها جانباً، وهي ترفع عني حمولاً تفوق طاقة البشر، وتطمئنني لقدر تثق أنه غير مكتوب فيه كل تلك الكوابيس، وتذكرني بإله حتماً يشعر بنا ويرأف بحالنا، ويعلم جيداً كم تجرعنا العذاب وما زلنا نتجرعه حتى يكتمل حلمنا بالحلال، وندرأ عنا الحرام ووساوس الشيطان بالعفة والطهارة، فأستشرف في كلماتها الحنونة الأمل، ويهتز كياني فور ذكر الرحمن في المشهد البائس، لكني أوقن أنه حلال فيا النكد حين أنسحب من لساني وأقول بلهجة شيطان:

- خير إن شاء الله.. بس ما قولتليش هنجيب البيبي إزاي؟!

وبعد ليلة العمر، وأنا وأمك نحلم بقدومك منذ اختلينا بأنفسنا وقبل حتى تغيير ملابسنا..

صرت أكثر قناعة ورضا بما يقسمه الله لنا أياً ما كان، مستسلماً تماماً لقدره وحكمه وإرادته، غير طالب سوى الستر.

وبعد مرور أول شهر "فشنك" بلا حمل، عادت الهواجس والكوابيس تطاردني، لتشاركني أمك فيها هذه المرة، وتبكي في الخفاء، في محاولة أن تخفي عني دموعها وتوترها دون أن تعرف أن نهنهتها تخونها وتكشف لي ما يعتمل في قرارة نفسها بين جدارن الغرفة المغلقة التي انزوت فيها، ودون أن تدري أن ثمة دموعاً تنسال من عيني في صمت أنا الآخر.

يا الله.. أنت الذي قلت في كتابك الكريم: {المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا}، وما وجدت أعظم من تلك الزينة بالفعل. ليت كل من رزقته بنعمة الإنجاب يدرك عظمة تلك السلعة النادرة التي يملكها مجاناً، ويحسد نفسه على ما هو فيه، ويشعر بآلام غيره من الذين حُرموا من تلك النعمة التي لا تُقدّر بثمن، أو حتى تأخرت عنه.

صرت أتخيل عذابات وآلام من تأخر حلم إنجابهم بالسنين رغم تأكيدات الطب بأنه لا مانع لدى الزوج أو الزوجة من الإنجاب، أو الذين صارحهم وهو ينظر للأرض في تأسّف: عفواً، لا يوجد أمل!

بتّ أدعو الله وأناجيه من كل قلبي أن يخيب ظنوني، أن يعجّل بتحقيق الحلم، ويسرع في الإجابة، ومع بداية الشهر الثاني من زواجنا وجدتني أقول بلا مناسبة:

- ما تيجي نروح نحلل؟

- كده من غير مناسبة؟

مكتبة عابث الإلكترونية

- آه وفيها إيه؟ أدينا بنتسلى، يلّا قومي البسي.

بعدها بأقل من ساعة كنا نجلس في المعمل، في انتظار نتيجة اختبار الحمل، وأنا أهز قدمي بسرعة وتَرت أعصاب أمك، التي ابتسمت وقالت في رقة:

- بطّل هز.. وتَرتني.

دون أن تلاحظ أنها تهز رجلها هي الأخرى بتوتر مماثل!

«مبروووووووك»

لطمتني الكلمة وهي تقتحم حواسّي بعد أن خرجت من فم دكتورة تبتسم بفرح وحبور، كأم تبشّر ابنها ببشارة الحفيد، وعندها حان وقت التخلي عن الرسميات والإتيكيت والاحترام!

تخيلي يا ابنتي وهاتي آخر خيالك، وستجدين أن أباكِ وأمك قد جاوزا المدى في تلك اللحظة في رد فعلهما مع سماع النتيجة ومعرفة الخبر!!

أحضان، وقبلات، دموع، وضحكات، مشاهد مختلطة كما لو كنت قد قطعت من أفلام لا علاقة بينها على الإطلاق، وتم لصقها بغير رابط في لحظات مجنونة اختلطت فيها المشاعر، وعجزت حروف اللغة عن تشكيل كلمات تصف ما يجيش بخواطرنا.

في وقت واحد أخرجت أنا وأمك هاتفينا المحمولين، ليضرب كل منا رقم أحبّ الناس إليه، وتداخلت الكلمات بين مكالمتين تحدثان في وقتٍ واحد.. بين أمك وأهلها من جانب، وبيني وبين أهلي من جانب آخر، كما لو كان مشهداً سينمائياً تنقسم فيه الشاشة إلى نصفين، ويخرجه القدر بتقطيع متتابع على طريقة الفوتو مونتاج.

المدام: آلو، مبروك يا بابا يا حبيبي هتبقى جد.. أنا حامل.

أنا: لسه عارف الخبر دلوقتي يا ماما، أنا مش مصدق نفسي، الحمد لله إنك عِشتي لحد ما سمعتي الخبر ده (دمعة ساخنة تفلت)، كنت هزعل أوي لو كان جرالك حاجة من غير ما تحضري اليوم اللي طول الوقت كنتي بتسألي يا ترى هتشوفي فيه ابني ولا لأ.. بابا جنبك؟ طب هاتيه.

المدام: والله يا بابا جت صدفة.. ولا كنت حاسة بدوخة ولا نفسي كانت غامة عليا ولا أي حاجة من شغل الأفلام العربي ده، وفجأة كبرت في دماغ شريف نروح نحلل For Fun فاكتشفنا إن عتريس وصل... هههههه.. أيوة بالظبط كده.. وصل وصل وصل.

أنا: ما أنا ما كنتش مبين لك يا حاج إني مهتم بالموضوع عشان ما تزنش عليا.. لا مؤاخذة يا حاج إنت زنان بصراحة وأنا كان فيا اللي مكفيني!

«مين اللي زنان يا ابن الكلب؟»

فوجئت بالصوت يأتيني هذه المرة من الخلف، لأبعد المحمول عن إذني، وأجد والدي يقولها بصوت ضاحك، وإن كانت عيناه ملتمعة بالدموع السعيدة، غير مصدق نفسه، لأكتشف أن أبي الذي كان يسكن بجواري حيث يقع المنزل على بُعد خطوات من المعمل، لم يستطع أن يتمالك أعصابه فور أن أبلغته الخبر في التليفون، ونزل إلى الشارع وهو يحدثني في الموبايل كالمجذوب لاستقبالي أنا وأمك، وقد عاش عمره كله يشترك معي في نفس الهواجس الأليمة التي هزمها القدر بالضربة القاضية الآن ونحن نتلقى خبر قدوم ولي العهد، الذي سيتضح فيما بعد إنها "ولية العهد"!

مكتبة عابث الإلكترونية

وخلف أبي كانت تقف أمي التي تبكي فرحاً، وقد طارت الحروف من على لسانها وبقيت فقط على ملامحها المعاني والتأثر الذي يغني عن ألف ألف كلمة..

والدتك تعطي أبي هاتفها المحمول ليتحدث إلى أبيها ويتبادلا المباركة، ثم تنتهي المكالمة، ليصورنا الزمن جميعاً صورة تذكرية ونحن نتبادل العناق الحار وجميع العيون تبكي من السعادة، فلا أستطيع التخلص من لساني (اللي عايز قطعه)، وأقول ساخراً:

- إيه يا جماعة جو الدراما ده؟ إحنا ما عبرناش قناة السويس يعني.. كل الحكاية إننا عبرنا قناة فالوب بس!

وفي اللحظة التالية واصل الرب مفاجآته وعطاياه من خزائن كرمه اللا محدودة حين استقبلت اتصالاً هاتفياً من دار "نهضة مصر" للنشر، لتخبرني إدارة النشر وقتها بموافقتهم على نشر روايتي الأولى «كوابيس سعيدة»، مع منحي مبلغاً مالياً مناسباً كدفعة تحت الحساب للتعاقد، وأدرك وقتها حرفياً كيف يأتي كل مولود برزقه.

أجمل لحظة في الكون استقبلتها، ثم مبلغاً مالياً يعينني على المسئولية القادمة، وما زال أبي وأمي على قيد الحياة ليشهدا خبرين من أجمل أخبار الدهر.. لم يمُت أبي ولا أمي قبل أن يفرحا بزفافي، ولم يرحلا قبل أن يسمعا خبر حمل زوجة ابنهما البكري، وأنا أيضاً أحقق معهما نفس الانتصار على نفس المخاوف، لأقطع شوطاً طويلاً، متمنياً ألا يصفّر حكم المباراة الآن، قبل أن أحرز الهدف الأول الذي لاح في الأفق وقد خلا المرمى من حارس يصدّ سعادتي ويمنعها من احتضان الشباك، ويا له من هدف.

سونار

ما أن انتهيت من الفرحة الأولى ومشاعر الجنون التي انتابتني فور معرفة خبر الحمل في جنابك، حتى كنت أنا ووالدتك على موعد مع جنون أكبر، وحالة مرضية لا أمل في الشفاء منها!

تملكتنا العجلة وعدم الصبر على حضورك، حتى إننا كنا نحسب موعد قدومك بالثانية واللحظة..

9 شهور بحالهم؟

ما كل هذه الفترة الطويلة؟ هل سننتظر 270 يوما؟ هل سنصبر 6480 ساعة؟ هل سنطيق 388800 دقيقة؟

حَلُمنا في تلك الفترة بأن تكون معنا آلة زمن لنسافر للمستقبل، أكثر مما حلمنا بها طوال عمرنا السابق لنعود للماضي ونغير أخطاءنا ونمنع كوارث ارتكبناها. تسامحنا مع الماضي وتصالحنا مع الزمن والقدر والدنيا، واختصرنا الحياة والكون في لحظة ميلادك المرتقبة، ووجهك الذي كنا مستعدين أن ندفع عمرنا كله من أجل أن نراه مبكراً، ولا يهم أي شيء آخر بعد ذلك.

صرنا غير قادرين على الانتظار، وكلانا يحتضن الآخر كل لحظة، ويُخرج أعذب الكلمات الصادقة من قلبه قبل لسانه، بلا وعي منا أو اختيار سابق لما نقول، ونحن نمني أنفسنا باستقبال جزء مشترك منا، غير مصدقين أننا تزوجنا بالفعل، ولا أن الحمل قد صار خبراً مؤكداً. كان الاحتمال الأرجح أن كل ما نمرّ به مجرد حلم جميل، بينما

مكتبة عابث الإلكترونية

ما زالت أمك في بيت أهلها، وأنا الخطيب العاشق المتيم الذي يسعى لقبلة مسروقة في خروجة على البحر، حتى إنني كنت أحياناً عند تقبيلها أتلفّت حولي يميناً ويساراً وأراقب الطرقة: خوفاً من ظهور حمايا فجأة في لحظة غير متوقعة!

- هتبقي ماما يا حبيبتي؟

- معقول هتكون أب؟

- ياه.. حاسس إننا لسه عيال وشكلنا مش مقنع إننا متجوزين ومخلّفين.. متهيألي البيبي لما يوصل بالسلامة هيقول لنا نادوا حد كبير أكلمه.. خبيتوا بابا وماما فين؟!

لنضحك، وتطول الضحكات أحياناً على أمور بسيطة لا تستحق، وقد سحق انتظارنا لمولدك كل متاعب ومصاعب الحياة، وحلّى مرار الظروف الصعبة، بعد أن صار هناك هدف مقدس تعالى على كل الأماني والأحلام، فلم يعد عدم تحقيقها أمراً مسبباً للحزن، بعد أن تشبعت أرواحنا بالSource المسبب للسعادة نفسها.

أصبح للأيام والثواني واللحظات طعم يصعب وصفه، لكنه يتغلغل في أعماقك وينثر السعادة في ربوع قلبك وكيانك ووجدانك.

انقلبت الأوضاع، وانعكست الآية، فصارت أمك تدعو أن يكون البيبي ولداً من أجلي، وأتمنى أنا أن تكون بنتاً جميلةً حبيبة أمها.

دخلنا كل مواقع الإنترنت التي تحوي أسماء جديدة لأولاد وبنات، وعرفنا معاني تلك الاسماء تمهيداً لاختيار اسمك، الذي كان وحده محل الخلاف بيننا.

تعلمنا السرحان أمام فتارين المحلات التي لها علاقة بالأطفال، سواء ملابسهم، أو ألعابهم، بخلاف بوسترات ميكي وبيكي، وبطوط وزيزي،

ونوم وجيري، والأميرات، وسبونج بوب، والمفروشات التي تحمل صور كيتي... وغيرها من التفاصيل التي لها علاقة بأي شيء طفولي.

صرت أنظر إلى بطن أمك، وهي تنتفخ وتتمدد يوماً بعد يوم، وأقبّلها، وأقرأ عليها القرآن، وأهمس فيها بحبي لكِ، وأتوسل إليكِ بسرعة الحضور لأب هام بكِ عشقاً قبل أن يراكِ أو حتى يعرف نوعك إذا ما كنت بنتاً أو ولداً.

حفظت أغنية تامر حسني عن ظهر قلب: لأغنيها إلى أمك بعيون لامعة، سرعان ما تفلت منها الدموع مهما حاولت حبسها في القنوات الدمعية، لاحتضن أمك وأراقصها على خلفية الأغنية التي أشارك في دندنتها مع تامر:

تعرفي بحلم.. إيه دلوقتي

تعرفي بحلم إيه؟

بحلم يكون لي أنا ابن منك.. نفضل نحضن فيه

نظرة عيونه تنسّي الهم.. يحضن ويفضل فينا يضم

شايفك أطيب آه وأحن

يا حبيبتي لما هتبقي أم

- تفتكري هيبقى شبه مين فينا؟

- يا رب يكون شبهك، عشان وإنت في الشغل أفضل أبُص عليه وأملّي عيني منه، ويصبرني على بعادك.

هيبقى شبهي وشبهك

هيبقى عمري وعمرك

هيبقى روحي وروحك

واتجمعوا في قلب ودم

مكتبة عابث الإلكترونية

هيكبر بيني وبينك
وأشوفه بعيني وعينك
واتباهى إنه على إيدك إنتي
هيبقى أحسن مني وأهم

فلا يفوق روعة تلك اللحظات التي تلتهب فيها المشاعر والدموع، سوى لحظات رؤيتك يا ابنتي الحبيبة في جهاز السونار عند طبيبة أمراض النساء التي كنا نتابع عندها، وأنا أتابع مراحل تكوينك في بطن أمك عبر تلك الشاشة السوداء التي يضيئها كيانك النوراني، مثلما أضئتِ عمري وحياتي.

لا شك أنك محظوظة بأب مثلي اهتمّ بالتقاط صور تلك المرحلة لما قبل التكوين، لتشاهدي نفسك حين تكبرين وأنت تتشكّلين من مجرد نقطة دماء متجلطة (نطفة)، قبل أن تتعلق هذه النطفة بجدار الرحم فتصبح (علقة)، ثم تتحولين إلى (مضغة) تتماسك وتأخذ شكل الهيكل العظمي، لتخرج منها الأطراف والرأس، ويصبح لها شكل مفهوم، وبشر له هوية ونوع.

لم ولن أنسى ما حييت ذلك اليوم الذي دخلت أمك في شهرها الرابع من الحمل، ولهفتنا عند الطبيبة لمعرفة نوعك، فإذا بها تبتسم وتسأل بتشويق وإثارة:

- يا ترى متوقّعين إيه؟

لأتبادل أنا وأمك النظر، ويجيب كلانا بنبرة إيمانية تخفي خلفها شيطاناً رجيماً:

- كل اللي يجيبه ربنا كويس.

ويعقب كل منا في سره برغبته الحقيقية، وتنقلب نظراتنا الهادئة إلى نظرات تحدٍ شقية مرحة، وكأن كل منا يسمع صوت الآخر الذي يتردد داخله:

- يا رب ولد!

- طب بالعند فيك يا رب بنت!

«البيبي هتكون بنت»

لتصرخ أمك بسعادة:

- Yesssss.

وحين نظرت لي نظرة كيد، لتغيظني -وهي التي كانت تقول من كام يوم يا رب يكون البيبي ولد عشان تفرح- فوجئت بدورها بنظرة رضا وسعادة غامرة تملأ ملامحي، وأنا أنظر للسونار وأتمنى احتضانه وتقبيله قبل أن أردّ الكيد بالكيد، وأقول بشماتة وظفر:

- وما له؟ البنت حبيبة باباها زي ما كل الناس بتقول ☺

وفي الطريق من الطبيبة للبيت، حكيت لها تلك القصة التي لا أذكر مَن الذي حكاها لي، عن الزوج والزوجة اللذين اتفقا في ليلة زفافهما ألا يفتحا الباب لأي قادم سواء أهله أو أهلها إذا ما أتوا لزيارتهما في أول أسبوع زواج.

وفي الصباح أتى أهل العريس، وطرقوا الباب طويلاً دون أن يفتح لهم حسب اتفاقه مع زوجته، وحين جاء أهل العروس وسمعت صوت والدها، نظر لها زوجها ليراقب ملامحها، لتبتسم له في امتثال وطاعة حسب الاتفاق، قبل أن تتحوّل تلك الابتسامة إلى دمعة حارقة سالت على وجنتها، وهي تنهض قائلة:

- لا أستطيع إنه أبي حبيبي.

مكتبة عابث الإلكترونية

لتركض العروس وتفتح الباب وترتمي في حضن أبيها الذي أوحشها فراقه لمدة سويعات قليلة بعد أن جرّبت لأول مرة أن تنام بعيداً عنه. ومرت الأيام لتحمل الزوجة من عريسها، وتُظهر نتيجة التحاليل حملها في بنت، فأبدى الزوج فرحته وارتياحه الشديد وهو يتلقى هذا النبأ السعيد قائلاً في فرحة:

- الحمد لله.. هذه من ستفتح لي الباب في يوم الصباحية!

ومع آخر حروف القصة، التمعت الدموع يا ابنتي الحبيبة في عيني أمك، وهي تنظر لي في تأثر غير مصدقة رد فعلي وسعادتي الشديدة بأنك "بنوتة"، واحتضنت كفي بكفها حتى كادت تعتصره، وهي تسألني برقة وسعادة:

- هنسميها إيه؟

- جنى

- إشمعنى جنى؟

- معرفش، بس حاسس إن هو ده اسمها، وبعدين غير إن الاسم شيك ووقعه موسيقي، ليه معنى قرآني في صورة "الرحمن" اللي ربنا سبحانه وتعالى بيقول فيها: {وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ}، يعني حصاد الجنة.. بالذمة فيه تفاؤل أكتر من كده؟ قولي موافقة عشان خاطري.

- (تبتسم بسعادة) موافقة، ربنا يخليهالنا ويخليك ليا ونبقى أسرة سعيدة يا رب.

وهكذا شعرت أن اسمك كان مكتوباً في السماء قبل مولدك، منتظراً لحظة الوحي وإلقاء المعنى في قلبي لأنطق به فور سماعي الخبر، وكأن هناك من يملينا ما علينا فعله، لكن المشكلة فينا أننا لا نصغي جيداً، أو نصغي لكننا نكابر ونرفض التصديق!

أعرف أن ما أقوله قد يبدو حدوتة مسلية لكنها بعيدة عن التصديق، لكن كل من أنجب سيعرف ما أقول جيداً، وسيشاركني القول بأنه مرّ بموقف مشابه أملى عليه صوت خفي اسم ابنه أو ابنته في لحظة مفاجئة قد تغيّر اسماً اختاره من قبل واستقرّ عليه لشهور، ليغيره في آخر لحظة!

سأظلّ محتفظاً بصور السونار يا حبيبة باباكي لتشاهدي ذاتك قبل التكوين، وتستعرضي تلك الصور في ذلك الفيديو الذي يتم عرضه على المعازيم والضيوف في يوم فرحك، متضمناً أشهر صورك على مدار حياتك، من الميلاد للزفاف، على نغمات أغنية لم تُكتب بعدُ، وبصوت مطرب لم يتم اكتشافه حتى الآن، حتى يتأثر الحضور بصور السونار، ويلتقط زوجك كفّك الرقيق ويلثمه وهو يندهش من حكمة الله وقدرته العظيمة: إذ صار هذا الكيان الهلامي عروساً أشبه بحواري الجنة، تزف إليه وسط نظرات الحسد على حظه الحسن، دون أن أدري ما إذا كان القدر سيبتسم لي ويمنحني حظ تأبّط ذراعك ومراقصتك في تلك الليلة أم لا..

لكن من باب الاحتياط، ألف ألف مبروك!

مكتبة عابث الإلكترونية

وأنتِ تأتين من العالم الآخر

كثير من الناس يا عزيزتي شغوف بمعرفة أسرار العالم الآخر حيث السماء وعالم الغيب والمخلوقات النورانية، وما سنراه في حياتنا الأخرى بعد أحداث الفصل الأخير، لكن قليل منهم من يهتم بالبدايات قدر اهتمامه بالنهايات..

وكلما شاهدتك في السونار، كلما تذكرت ما قرأت وتعلمت عن مراحل خلق الإنسان، وإعجاز الله فيها، وارتباط الملائكة بها.

فعلى سبيل المثال، علاقتنا بالملائكة يا عزيزتي، تبدأ قبل أن نولد ونرى النور بكثير..

بداية خلقك في بطن أمك، بدأت من خلية واحدة لا يزيد قطرها عن 5/1 ملليمتر، هي البويضة الملقحة والنطفة الأولى، وفي نواتها كل عوامل الوراثة لتصبح خلية حية بسر الحياة الذي انتقل إليها من الأب والأم، وبدأ هذا السر من خلق النفس الواحدة في أبينا آدم عليه السلام، وانتقل بعدها إلى كل فرد في ذريته، وسيظل ينتقل بيننا إلى آخر إنسان يولد في البشرية دون أن نعرف هذا السر أو نصل إليه.

ولأن سر الحياة غير الروح، فإن الروح لا تنفخ فينا إلا بعد الشهر الرابع، ليأتي إلى الرحم ملاك موكل من الله بكتابة مصائرنا وحياتنا، ليسأل الملاك ويكتب ما يمليه إليه الخالق العظيم من إجابة.

مكتبة عابث الإلكترونية

يا رب أذكر أم أنثى؟ يا رب أسوي أم غير سوي؟ يا رب ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خُلُقه؟ أشقي أم سعيد؟

فيكتب الإجابات، وتتحدد مصائرنا قبل أن نولد، حيث يعرف الله طبائع وعقليات وتصرفات عباده فيسجلها، لكنه لا يفرض عليهم إلا ما فرضوه على أنفسهم، ولا يحدد لهم إلا ما حددته تصرفاتهم وأفعالهم، حيث الإنسان مُسيّر في اختيار توقيت ميلاده، ونوعه، وعمره، لكن له الخيار في باقي أمور الحياة، وكل ما يسجله الله لنا هي أشياء يعرف أننا سنفعلها بحكم أنه خالقنا وأعلم بنا منا، لكنه لا يجبرنا على فعلها، وإلا فكيف سيحاسبنا؟

وهكذا بعد أن يدوّن الملاك مصائرنا، يبدأ في تصوير أجسادنا، وفقاً لإرادة الله، سواء كنا أسوياء أم غير أسوياء، وذكوراً أم إناثاً، حتى يحين أمر الله فنخرج من بطون أمهاتنا إلى الدنيا مثل الملائكة في نقائهم وبراءتهم، لتحيطنا الملائكة وتتحدث معنا، وتطلعنا على حياتنا المقبلة، حيث لا نملك حينها أن نفتن عنهم أو نغشش أهلنا الأسرار التي نتلقاها!

كل منا يولد ودفتر كبير مكتوب فيه كل شيء، وتحيطه الملائكة بالكثير من الأسرار، قبل أن ينساها مع الوقت وهو يغوص في الماديات ويلهث خلف النقائص والصغائر، لتزداد على عينيه غشاوة الذات وظلام الجسد المادي الهارب من نورانية الروح، وتملأ إذنيه وساوس الشياطين والنفس الأمّارة بالسوء.

كل منا خُلق في هذا العالم ليؤدي مهمة محددة، بمجرد الانتهاء منها لابد وأن يعود من حيث أتى.

فانتظري يا عزيزتي لوجه أي طفل وليد وهو مغمض العينين، وستندهشين من تبدل ملامحه ما بين الفرحة والصدمة دون سبب واضح، وكأن هناك من يفتح أمام عينيه صفحة الزمن المطوية ليرى المصير المنتظر، وكلما كبر في السن، وقطع شوطاً من الأيام والأسابيع والشهور والسنين، كلما نسي جزءاً مما شاهده، وابتعد عن المهمة التي خُلِق من أجلها.

وحتى يخلي القدر مسئوليته مما سيكتب في صحيفة أعمالنا، فإن ابن آدم يتلقى طول الوقت علامات من الله ورسائل من السماء، بها النصيحة ليعود إلى مساره الذي انحرف عنه، وحل لمشاكله التي أوقع نفسه فيها ولم يعد قادراً على حلها بمفرده.

تتعاقب فينا الملائكة ليلاً ونهاراً لتحرسنا من كوارث ليست مكتوبة في أقدارنا، فننجو من موت محقق، ونبتعد في آخر لحظة عن حوادث فتاكة ومدمرة، حتى تجد الملائكة شيئاً مكتوباً في قدرنا فلا تملك أن تتدخل أو تمنعه.

تزورنا حين نمرض، وتدعو لنا حين نصبر على بلاء الله ونشكره رغم الامنا، وتستغفر لنا حين نخلص النية لله ونعبده حق عبادته، مخاطبة ربها: أنت العفو الكريم، فسامحهم وأعف عنه عما بدر منهم من سيئات وخطايا ندموا عليها وعزموا ألا يعودوا لها.

تتنزل على قلوبنا وتلقي عليها الطمأنينة والسكينة ونحن نستقبل أخباراً غير سعيدة، مؤكدة أن الله سيجازينا خيراً إذا ما صبرنا.

حول الإنسان منا عشرات الملائكة يا حبيبتي، لهم أنواع مختلفة، ودرجات ورتب متفاوتة، لكن الإنسان الظلوم الجهول ينسى ويتجاهل تعاليم الأنبياء، ووصايا الرسل، ودعوات الملائكة، ويصغي لشيطان

مكتبة عابث الإلكترونية

واحد فقط يورده الجحيم، ثم يقول له حين يقضي الله الأمر وتحين ساعة الحساب: {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي}.

حماكي الله من وساوس الشيطان، ونفسك الأمارة بالسوء، وجعلك من أصدقاء الملائكة والأنبياء والرسل والصديقين، في الدنيا والآخرة.

ابنتي الحبيبة جنى...

اليوم تتحوّلين من حلم إلى واقع..

من مجرد انتفاخ في بطن أمك، وجسد لا نراه إلا عبر السونار، إلى قطعة لحم حمراء هزيلة، وملامح ملائكية بريئة تنطق بالبراءة والضعف في آن واحد.

لم أتخيل يوماً أن الكتابة عن مشاعر الأبوّة بهذه الصعوبة.. تماماً كنفس صعوبة تقبلّك لدهس 50 طفلاً تحت عجلات قطار طائش نسي عامل التحويلة أن يغلق مزلقانه في وجه أتوبيس يقلّ ملائكة صغاراً ودّعوا أهاليهم الوداع الأخير، في رحلة بلا عودة إلى المدرسة!

فعلها القدر ومنحني لقب "بابا"، في لحظات صعبة اختلطت فيها فرحتي الغامرة باستقبال مولودتي الأولى، مع مشاعر غامضة يملؤها التوجس والخوف على تلك النفس المستضعفة التي صارت أمانة في عنقي، ببلد حلمتُ يوماً أنا وغيري من ملايين الشباب أن نحوّله إلى الأفضل، ونزلنا نهتف "عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية"، فإذا بالرياح تأتي بما لا تشتهي السفن!

يا الله، كم أدرك واستشعر الآن معنى الآية الكريمة القائلة في كتاب الله الخالد {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، فالألم هو الحقيقة الخفية وراء كل حلم جميل ولحظة سعادة، حتى وأنتِ تضيئين حياتي الآن كواقع مادي ملموس، عشت خلف حلمك سنوات من الخوف والارتعاد، وسأعيش بعد فرحة وصولك خوفاً وألماً أكثر بكثير..

مكتبة عابث الإلكترونية

حتى في يوم مجيئك السعيد، سبق تشريفك لحظات عاصفة من التوتر والتوجس، بدأت مع شعور والدتك بالطلق حين أتى أمر الله الذي طالمنا استعجلناه، وأبلغتنا الطبيبة بأنك ستبيتين الليلة في حضننا!

عادت المخاوف لتعبر حاجز الخيال وتتراءى أمام عينيّ في أرض الواقع، وأنا أخشى فراق أمك وضياعها مني، أو تلك الجملة السخيفة التي تم هرسها في 100 فيلم عربي من قبل: "اضطربنا نضحّي بالجنين عشان الأم تعيش"، فلا أملك سوى الاستعاذة بالله الرحيم، وأنا أتعلق بعرشه العظيم، بينما تنسال مني الدموع الحارقة التي تلهب وجنتيّ، حتى تبدد كل ذلك مع ابتسامة عريضة من الطبيبة وهي تعلن أعظم خبر في التاريخ..

«جنى الحمد لله وصلت بالسلامة، ومامتها بخير».

ابنتي الحبيبة "جنى".. كم لمعت الدموع في عيني وأنا أدعو الله بمجيئك منذ سنوات، تخيّلت فيها مراراً وتكراراً لحظة وصولك إلى الدنيا، والقفز فرحاً مع سماع أول صرخة "واء" وهي تهزّ أركاني وتدغدغ مشاعري، لكني ما تخيلتها بهذه الروعة والعظمة، بخلاف تلك الرعشة الرهيبة في نبرات صوتي وأنا أحمد الخالق على هديته الجميلة التي تحمل توقيعه، في حين تحيط أصابعك الرقيقة بسبابتي وتقبض عليها في رفق فكّك أوصالي.

كنت أفيق من خيالي وأمنياتي في كل مرة على واقع مؤلم بغيض، تلاشت فيه أدنى الحقوق الإنسانية، وصار الخبز، والصحة، والتعليم، والأمن والأمان مجرد حلم عزيز المنال، فأطلب من المولى -عز وجل- أن يؤجل استجابة دعائي إلى أن يتغير الواقع، راجياً منه أن تأتي في زمن

غير الزمن، وظروف غير الظروف، حتى لا تدوري في نفس الدائرة المفرغة، وتعاني نفس معاناة والدك ووالدتك كغيرهم من المصريين المطحونين.

لم أشأ يوماً أن تتفتح عيناكِ على صورة الرئيس المعلقة فوق رأس كل مسئول بمصر، أو تسمعي أبواق نظامه وهم ينسبون إليه الفضل في كل إنجاز حتى وإن كان كأس الأمم الإفريقية، بينما يرجعون كل مصيبة أو كارثة إلى القدر الذي علينا جميعاً أن نؤمن بخيره وشره وإلا أصبحنا كفاراً!

كنت على استعداد أن أدفع عمري ثمناً حتى لا يردد لسانك "ماما سوزان" حين تزور مدرستك، وينتقي المدرسون حفنة من الطلاب النوابغ المثقفين، لينسبوا إليها الفضل في نجاحهم وتفوقهم، دون أي إشارة إلى تعب الأهل الذين طفحوا الدم في التربية، ولا إلى المعلمين الذين يتقاضون الفتات لتعليم أجيال متكدسة في الفصول!

واليوم يا ابنتي الحبيبة بعد أن انزاح الكابوس، ورحل احتلال أسرة "مبارك" للبلد، ما زالت في الآفاق كوابيس أخرى تؤرق مستقبلك وتهدد بقاءك، حتى إنها تصيبني بالتشتت والسرحان، دون أن أحذو حذو والدتك التي تمطرك بكلمات الحب والغزل وعدد لا بأس به من "انجفا" و"ياختي كميلة"، لكني لا أملك هذه المرة أن أطلب من الله تأجيل مجيئك بعد أن أصبحتِ بالفعل أمراً واقعاً، وأمانة معلقة في عنقي، سيسألني الله عنها يوم القيامة.

فقد تشتعل ثورة جياع في أي لحظة، لتقضي على الأخضر واليابس، لتتردد صرخاتك المؤلمة دون أن أجد لك غذاءك الكافي ودواءك المطلوب.

مكتبة عابث الإلكترونية

وقد تكبرين وتصبحين بنوتة بضفيرتين ترتدي "المريلة" الأنيقة، وتبتسم بكل البراءة والطيبة وهي تطبع أجمل وأحنّ قبلاتها على وجنتي أبيها وأمها وهي تودّعهما استعدادا للذهاب إلى مدرستها، قبل أن يغتالك الإهمال وتدهس حافلتك المدرسية عجلات قطار طائش يقضي على حياتك أنتِ وزملائك، قبل أن يخرج مسئول حكومي بارد ليؤكد أن المهمل سينال جزاءه، ويصبح ثمن حياتك حينها مجرد 5 آلاف جنيه تعويضاً، لتصير روحك أرخص من موبايل I Phone، أو جهاز I Pad.

وقد تبلغين وتصبحين "عروسة"، لتخرجي في نزهة بريئة أنتِ ورفيقاتك، فيلتفّ حولكن حفنة من المراهقين معدومي الضمير، ليقيموا عليكنّ حفل تحرش جنسي، بلا أي ذنب إلا لكونك أنثي، بغضّ النظر عن ملابسك أو حجابك أو حتى نقابك، لتصبح صور اغتيال أنوثتك وفيديو كسر وتحطيم نفسيتك مشاعاً على شبكة الإنترنت وفي كل الصحف المصرية والعالمية!

تلوّث الوطن يا ابنتي الحبيبة بالكراهية، والحقد، والضغينة، وصار التخوين والتفتيش في النوايا هو اللعبة الوحيدة التي نجيدها، وجاء رئيس جديد وصل إلى سدة الحكم بفعل مشروع "نهضة" تبيّن أنه سراب، وغير حقيقي، ثم رحل وجاء آخر، ثم رحل وجاء آخر في أقل من 3 سنوات!

ورغم ذلك، لا تصدّقي أي كاذب سيقول لكِ إن أباكِ وجيله قد صنعوا ثورة تسببت في كل ذلك.. هذا محض كذب وافتراء.. والله العظيم هذا ظلم لا نستحقه نحن وكل من نزل طالب بالتغيير من أجل غدٍ أفضل.. مين قال إن الثورة خربت البلد؟ البلد من زمان خربانة، بس الثورة

كشفت الخراب والفساد بحجمه الحقيقي وكشفت كل الوجوه، وكل ما فعلناه أننا كشفنا الدمار المستتر خلف الأكاذيب الزائفة التي صنعتها الأنظمة الحاكمة السابقة.

لا أعلم حين تكبري، ويشتدّ عودك، ويتفتح إدراكك، سأكون معك في الحياة الدنيا أم لا، لكني على الأقل أملك رفاهية النصح والوصية في خطابي هذا الذي أحمد الله أنه إلكتروني، فلو كان ورقياً لأفسدته دموعي التي تسيل على خدي الآن، وحوّلت كلماته إلى عصير من الحبر.

لقد ضحّى والدك ومعه ملايين الشباب كثيراً: من أجل غد أفضل لم يأت بعد.. غد حلموا فيه أن يكون وطنهم مثل باقي الأوطان التي تحترم آدمية شعوبها ويتقي حكامها ومسئولوها الله في رعيتهم، بغضّ النظر عن ملة أو ديانة الحاكم والمحكوم؛ لأن العدل واحد، والإتقان والأمانة واحدان في كل ملة ودين، فلا تفرّطي في هذا الحلم مهما كان البلاء والظلم الواقع عليك.

ستلاقين في هذا البلد آلاف من المرضى النفسيين، وأعداء النجاح الذين يستميتون في إفشال الآخرين وتكسير مجاديفهم، حتى يتساووا معهم في الفشل والضياع، فكوني مقاتلة شرسة في الدفاع عن حقوقك، وفهم وإدراك واجباتك، ولا تسمحين لأحد أن يكسرك أو ينغّص عليكِ حياتك بفعل عقدة نقص لديه، واعلمي أن المتعة والسعادة تكمنان في أبسط التفاصيل، وأن إسعاد الآخرين ومنحهم الأمل هو متعة في حد ذاتها.

وأخيراً وليس آخراً.. سامحيني على أني قد تمنيت أن يكون طفلي الأول ذكراً، ليس كراهية في البنات، أو خوفاً من عارهن كما كان يفكر الأقدمون، بل إشفاقاً عليكِ من مجتمع ظالم متوحش.. لكن ظني في

مكتبة عابث الإلكترونية

الله خيراً، وأعلم أنه لن يضيعك مهما كانت الصعوبات والمخاوف، وسأبذل قصارى جهدي لتكوني بـ"100 راجل".. وبعد أن أمليت عينيّ بجمالك، وابتسامتك الملائكية وأنتِ مغمضة العينين، ولمسة أصابعك الحانية التي تولد في جسدي كل طاقات الأمل والسعادة، أقسم بالله لو خيّروني من جديد لاخترت وتمنيت أن تكون مولودتي الأولى أنثى، وصدّقت نانسي عجرم حين غنت وقالت:

يا بنات يا بنات يا بنات..
اللي ماخلّفش بنات..
ما شبعش من الحنية..
ولا داقش الحلويات..
حلوة الأيام في عنيا..
علشان خلفت بنية..
ولا شوفت الأرض اتهدّت..
ولا مالت الحيطة عليا..
سقفوا وارقصوا يا ولاد..
الفرح مالوهش ميعاد..
ضحكتها لما اتولدت..
بتكتر في الأعياد..

بـــي بـّـــي!

من مفارقات القدر أن تجتمع الأضداد لدى البشر، وتؤدي كلها رغم اختلافها وانعكاسها إلى شعور واحد من السعادة والفرحة الغامرة، وهذا ما جربته معك يا ابنتي الحبيبة، وأنا أجرب الحب من أول حفاضة!

ما كنت أعرفه عن نفسي أن حاسة الشم كانت من أخطر الحواس بالنسبة لي، فقد كان لساني مستعداً أن يتحمّل الطعم المر كالعلقم، وكانت أذناي مستعدتين أن تحتملا الصوت العالي لدرجة ثقب طبلتها، وكانت عيناي قادرتين على أن تغمض جفنها فور وقوع نظري على ما يؤذيني، وكانت يداي قادرتين على أن تلمس النار نفسها، لكن من المستحيل أن يتحمّل أنفي رائحة غير طيبة تحلّ في مكان أتواجد فيه أو أمرّ إلى جواره.

كان الروائح -وما زالت- من أهم عوامل تحملي لصحبة البشر أو فراقهم، ومن أدق المعايير التي يتوقف عليها بقائي في مكان أو رحيلي عنه، بخلاف ارتدائي لملابس من عدمه، أو تذوقي لطعام أو النفور منه.

كانت كلمة "إف" في حد ذاتها كفيلة لكره موقف ما بكل من فيه من أشخاص!

مكتبة عابث الإلكترونية

وحين أخبرتنا الطبيبة فور ولادتك، بضرورة أن يعمل البيبي "بي بَي" لنتأكد من أن الأمور تسير على ما يرام، تغير كل شيء..

صرت أعد اللحظات والثواني والدقائق وأنا أكشف تلك الحفاضة ذات أصغر مقاس، لأفحص #*$@ سعادتك منتظراً أسوأ ما يخرج من البشر بلهفة؛ لأتأكد أن الأمور صارت تسير في نصابها الصحيح، وأن كل شيء على ما يرام!

صار الأمر المثير للغثيان والقرف، شيئاً أتمنى حدوثه، حتى حدث بالفعل في لحظة متأخرة من ليلة مولدك، حيث الممرضات في سُبات عميق، وأمك تعاني من بطنها المشقوقة بفعل الولادة القيصرية، وآثار البنج ما زالت تلاحقها، وجلدك الرقيق مثل ورق البفرة الذي تكفيه نفخة عنيفة ليتمزق، حيث ينبئ احمراره الشديد عن أنك في حاجة ضرورية لتغيير الحفاضة ومحو آثار فضلاتك حتى لا تتعرضي للالتهابات والتسلخات، وصار على الأب (العايق) أن يختبر مشاعر أبوّته في أول محك، مع أول لحظة "تغيير"!

في تلك اللحظات تعرفت فعلياً على المعنى الحرفي لجملة "علامة فارقة" و"لحظة تحول" في طباع وسلوكيات الإنسان، وطريقة رد فعله..

علّمت كيف تلتقي الأضداد في البشر وتكون النتيجة واحدة، رغم أن النفس أمام الشيء ونقيضه..

ضبط نفسي وهي تتعلم كيف يصبح العاشق للروائح الطيبة، متقبلاً لكل ما هو كريه، ومتصالحاً مع كل ما هو مقزز ومقرف، بشرط واحد فقط يقلب الموازين رأساً على عقب، أن يكون مصدر هذا الكريه والمقرف من هي أحب إلى نفسك وقلبك من كل ما تعافه نفسك.

لتتذكر في حضرتها مشاعر تنسيك كل ما هو سواها من روائح وفضلات، وتصبح المحصلة النهائية هي الرضا عما يحدث أياً ما كان.

ومع الوقت لم أتعلّم فقط التآلف مع فضلاتك التي صارت رائحتها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم بفعل تطور ما تأكلينه؛ إذ لا تتساوى فضلات من تشرب لبن الرضاعة فقط، مع من صارت تأكل الأكل المسلوق، ثم صارت تشاركنا في مأكلنا ومشربنا، لتصبح إنسانة مكتملة النضج، ومكتملة الفضلات البشرية المقيتة: بل تعلمت كيف أنفق على فضلاتك (الشيء الفلاني) في حفّاضات تُستخدم مرة واحدة ثم تغادر المنزل حاوية ما فاق احتمال البشر!

أخذت أتعرف على أنواع الحفاضات، وإيجابيات وسلبيات كل نوع، لأتعلم الفارق بين "البامبرز" المصري و"البامبرز" السعودي، ومتى أشتري "موليفيكس" ومتى أضع حول خصرك "بيبي جوي"، وأنا أقف لأدفع الحساب في الصيدلية متمتماً في سري: "الله يرحم أبوكي.. كان أخره كافولة قماش تتغسل وتتلبس تاني من غير مصاريف ووجع قلب"، وحين يرتفع صوتي قليلاً وتسمعني أمك، تبادلني التمتمة بدورها: "أبقى شوف مين فاضي يغيّر الكوافيل ويغسلها كل شوية، ويا ريت لو تشوف حد بالمرة ينضف لنا المرتبة لما يتسرب الـ"بي بَي" من الكافولة ويغرق الدنيا"، فأحترم نفسي وألتزم الصمت.

بصراحة كان معها حق.. صحيح أن الكافولة لا تسبب نفس تسلخات الحفاضات التي تهري الجلد، وتجعل الاعتماد على الكريمات والمراهم أمراً حتمياً، إلا أن تسريبها كان يعني احتمال أن تصابي بنزلة برد من البلل المتسرب إلى بطنك وصدرك، لاسيما في ليالي الشتاء الباردة، بخلاف تسلل الروائح الصعبة وإفساد المرتبة الفندقية التي كنت

مكتبة عابث الإلكترونية

حريصاً على شرائها أول شيء في الأثاث: لأرتاح في نومتي كأقل تعويض على عدم الراحة أثناء الصحيان والسعي في دنيا المشقة والويلات.

وبجملة التغييرات، نسيت وتناسيت كلمة (أصربة)، وأنا ألوي لساني وأضُمّ شَفَتيّ وأعلمك الجلوس على الـ(بُوتي) عشان نعمل "بي بَي" بعد أن كبرتي وصار عليكي أن تكوني مثل العيال الشاطرة، وإن لم تسمعي الكلام وتتعلمي أن الـ"بي بَي" قد صار له طريقة وأسلوب، بعد ما كان في أي مكان وأي وقت، فإن الـ(يح) سوف تلسعك حتى تتعلمي بالذوق أو بالعافية، إن لم يكن من أجل الحفاظ على شكلك أمام الناس، فعلى الأقل من أجل جيب بابا اللي صرف شيء وشويات وحان وقت الهدنة مع البامبرز اللي صرفت عليه خلال سنتين ما يكفي لتحويش مقدم عربية بالقسط، وحان وقت إنجاز تلك الخطوة المؤجلة، ويا تركبي عربية جديدة مع بابا، يا تركبي دماغك، تختاري إيه؟!

بلاي ليست

كلنا قد يسمع أغنيات تعجّبه وتؤثر فيه، رغم عدم ارتباط موضوعها وفكرتها أحياناً بموقف شخصي حدث له لتستحوذ إعجابه، لكنه يعشقها والسلام..

فقد نعشق أغنية تتحدّث عن الفراق قبل أن نرتبط أصلاً ونجربه بشكل فعلي، وقد نذوب في أغنية عن الهجر والاشتياق رغم أن من نحبهم مقيمين في دولة أحضاننا، ولا نعاني بُعد المسافات بينهم، لكن الأجمل والأروع حين تشعر أن أغنية بعينها تصف مشاعرك وأحاسيسك، وما تجيش به خواطرك وكأنها كُتبت خصيصاً لك.

حينها تخلّد تلك الأغنية موقفاً معيناً في حياتك يظل مرتبطاً بها للأبد، ويظل سماعها بمثابة آلة زمن تعيدك لهذا الموقف حين يصبح في المستقبل مجرد ذكرى قديمة لن تموت ما دامت تلك الأغنية موجودة في الحياة.

هذا ما شعرت به وأنا أعيش مع أغنيات بعينها ستخلّد لحظات الأبوة، ودموعي التي لم تكفّ عن الانهمار وأنا أترقب حركاتك الهزيلة منذ موعدك وحتى يومنا هذا..

حدث ذلك مع الكينج محمد منير الذي شعرت به يغني لي "من أول لمسة" وهو يتأملني وأنا أنام بجوارك على سرير بدا لكِ عالماً كبيراً تخشين فيه التوهان، وبدا لي كوكباً كبيراً اختصر السعادة والفرحة

مكتبة عابث الإلكترونية

وكل الأحلام وأنا أنام إلى جوار ملاكي الحارس لا أريد من الكون والوجود شيئاً آخر، وقد طهرني ميلادك من الخطايا والذنوب وما زلت أنهل من بهائك وملائكيتك المزيد..

عاشق، اعشقني كاره..

اكرهني، لكن..

اسمعني، حاول..

تتغير.. غير..غيرني..

من أول لمسة..

غير لي سنيني..

نسّيني.. رسيني

على أول مَرسَى

لأذوب فيكي عشقاً، واستمتع بطعم الدموع، ثم أنتفض وأنتفض حتى يهدئ هشام عباس من روعي وهو يغني "طول ما انت بخير":

طول مانت بخير، أنا بخير.. أنا مطمن عليك

أنا شايفك سنة والتانية بتكبر وبشوف روحي فيك

بتمنالك عيشة حلال.. ستر وصحة وراحة بال

عين مليانة ورضا بالحال

بدعي تكون بَعدى وحياتك..

سند في الدنيا لاخواتك..

ويقولوا ابنى راجل عال

دمعك.. تعبك.. نقط ضعفي..

عايزك جد مستعفي..

حبيبي ما تنكسرش في يوم

مش إنت طول عمرك بتقلدني..

عايزك تبقى زيّ اوعدني..

ما تباتش ظالم بات مظلوم

ثم أعود لأتأثر وأنا أسمع أغنية "حلقاتك برجالاتك" لحمادة هلال، وهو يقول:

يا رب يا ربنا.. تكبر وتبقى زينا

وتيجي تعيش وسطنا.. وسط الحبايب

تكبر وتروح المدرسة.. وتصاحب شلة كويسة

وتشوف عيون أمك وأبوك.. فرحانة بيك

وأحتضنكِ وأحملكِ من على الأرض لأراقصك كعاشقين وتدخل أمك معنا في وصلة الرقص ونحن نغني سويا تلك الأغنية التي غناها عمرو دياب لكل ملاك يحمل اسمك:

أنا حبيتها بكل ما فيا

واتعلقت بحبها ليا

أجمل واحدة شافتها عينيا

كل ما اشوفها بقول الله

جنى.. جنى.. يا أغلى ما فيا

يا جنى.. جنى.. يا روحي أنا

ونضحك سويا وأنتي تحاولين أن تغني معنا بصوتك الجميل: "دانا.. دانا.. أوحي آآآآ.." ليزداد احتضاني لجسدك الجميل البسيط، وتهزم مشاعر الأبوة مشاعر المراهقة حين كنت أشاهد فيلم "تايتانك" لاسيما ذلك المشهد الذي يراقص فيه ليوناردو دي كابريو الجميلة كيت وينسليت ويدور بها بسرعة تجعلها تصرخ وتغمض عينيها في

مكتبة عابث الإلكترونية

شقاوة ومرح انتزع قلبي انتزاعاً أنا وكل شاب شاهد الفيلم وعاش أياماً مريضاً بحبها ليراها في حلم النوم وحلم اليقظة، حاقداً على ليوناردو (ابن المحظوظة) ومتمنياً لو كان مكانه ولو لدقيقة واحدة، فصار ابن دي كابريو هو الذي عليه أن يحسدني الآن، وأنا أحتضن وأراقص من هي أحلى وأغلى من كيت وينسليت ومن كل البشر.. إحم.. هي ومامتها طبعاً التي تجلس إلى جواري الآن وتقرأ ما أكتب ☺

ثم يشطح بي الخيال لأسمع أغنية "الناجح يرفع إيده" بصوت العندليب عبدالحليم حافظ، وأراكِ يا حبيبة قلب بابا وأنتي تبلغيني بسعادة الكون أول خبر نجاح لكِ في الامتحانات، وتطلبي مني تنفيذ وعدي الذي وعدتك به إذا ما طلعتي الأولى على الفصل بأن أشتري العروسة التي أعجبتك، فأماطلك وأتهرب منك على طريقة الآباء وأقول: "إنتي طلعتي التانية مش الأولى.. يعني مالكيش حاجة عندي"!. لكنى لا أجرؤ على التمادي في الرخامة حين تلمع عيناكِ بالدموع، ويمتد بوزك شبرين للأمام، لأشتري لكي بدلاً من العروسة مجموعة عرائس.

ويتزامن مع نجاح العندليب صوت الكينج وهو يغني "يا بنت يا أم المربلة كُحلي" لأراكِ ملاكاً يمشي على قدمين رفيعتين، وذيل حصان ذهبي، وحقيبة صغيرة على ظهرك، ومربلة جميلة تجعل من يراكِ يود لو قبّلك ألف ألف قبلة دون كلل أو ملل!

يا بنت يا أم المربلة كُحلي
يا شمس هالّة وطالّة م الكولة
لو قلت عنك في الغزل قولة
ممنوع عليا ولّا مسموح لي

أنا أحب أقول الشعر في الحلوين
والحلو أقول له يا حلو في عيونه
ولو ابتديت بشفايفك النونو
ما يكفّنيش فيهم سبع دواوين
يا ملاك، يا جنية، يا ست الحسن
يعجبني توهانك في أحلامك
يعجبني شد الخصر في حزامك
يعجبني أخدك للكتب بالحضن

ثم أشغّل لكِ أغنية "يا دبلة الخطوبة" فتهزين يديكي وقدميكي الرقيقتين، وأنتي لا تدركين المعنى، لكن إحساسك بسعادة أبيكي واندماجه مع الأغنية يبعث في نفسك الطمأنينة والسعادة لتتذوقي الحالة وتندمجي مع الغناء واللحن، لكنك أبداً لا تدركين معنى دموعي التي تنسال حين يصل البلاي ليست لأغنية "ما تزوقيني يا ماما، قوام يا ماما.. ده عريسي هياخدني بالسلامة يا ماما"، وأنا أتساءل عن موقف العروسة من بابا في ذلك اليوم، وهل سيحضره أم لا؟

مكتبة عابث الإلكترونية

يوم يوم طاااااخ

وأي كلمات في الدنيا تفي بغرض الاعتذار لأميرتي الجميلة، التي تجرأت يدي -اللي عايزة قطعها- على التطاول عليها وضرب جسدها الملكي المحظور على البشر لمسه؟!

كنت أنظر بعين الدهشة التي تصل لحد الاحتقار إلى من يضربون صغارهم في الطرقات والمواصلات، لتُعلّم أصابعهم الغليظة على أجسادهم، دون أن يهتزّ لهم رمش، أو يبدو عليهم التأثر أو الشفقة على دموع تبدو أغلى من حبات الماس، وهي تتساقط في حزن وألم مع ملامح تمزّق نياط القلب.

طالما تساءلت في نفسي: ده أب ده؟ دي تنفع أمّ دي؟ قبل أن تأخذني الذاكرة في مشوار صغير لحد كام سنة فاتت وأتذكر الضربات واللكمات وعصا المقشة والحزام وسلك الكاسيت بخلاف الشبشب الطائر والقرص من (اللباليب)، وغيرها من أدوات التعذيب التي احترفها أبي وأمي -أطال الله عمرهما- وهما يعاقبانني على أشياء تافهة لم تستحق كل هذه الضجة والجلبة وفرجة الجيران، وأحياناً تدخلهم؛ لإنقاذي وأنا في النزع الأخير!

فيها إيه مثلاً لما أطلع على سور البلكونة في الدور الخامس وأركبه عصاني؟

مكتبة عابث الإلكترونية

كان هيجرى إيه يعني لو أختي الصغيرة سمعت كلامي ونزّلتني في (السَبَت) عشان أجرّب إحساس الخضار والمعلبات والعيش وغيرها من الطلبات اللي طالعة نازلة في الهواء الطلق وكأننا بنفسحها؟!!

كفرت مثلاً لما فتحت خزنة بابا وطلّعت باكو بألف جنيه ووقفت أنقط الناس في الشارع؟!!

مع كل علقة محترمة كنت باخدها أنا وعمتك الغلبانة اللي كانت بتاخد في الرِجلين من غير ذنب، كنت بتصل بكل قرايبنا وأطلب منهم ياخدوا لي حقي من بابا وماما الوحشين المفترين، ومرة اتصلت ببوليس النجدة وكبرت في دماغي أحبسهم، بس الظابط الله يسامحه طلب مني أنادي على بابا عشان يكلمه، وأنا زي العبيط رُحت ناديته فعلاً، بس الغريبة إن بابا فضل يضحك وما ضربنيش، لأ وباسني وحضني كمان (كان بحالات وحالات!) على الحركة اللي عجبته، لأ وحاول يقنعني هو وماما إنهم بيضربوني عشان خايفين عليا!

لكن بيني وبين نفسي ماكنتش بصدق، وياما قلت إني لما أكبر مستحيل أضرب ابني أو بنتي مهما عملوا، ولما يغلطوا هعرّفهم غلطهم بشويش وبالراحة!

لكن نفس الكوارث اللي كنا بنرتكبها وإحنا صغيرين، لازم ييجي اليوم وأولادنا يعملوا زيها عشان نشرب من نفس الكاس، ونعرف قد إيه كانت معاناة الأب والأم، وإن الموضوع ماكانش بنفس البساطة اللي كنا متخيلينها.

عرفت إزاي الواحد ممكن ينسى نفسه ويخرج عن شعوره ويجرح أقرب الناس إليه.. إزاي إيده ممكن تطاوعه وتتمد على حتة منه.. إزاي بيخالف كل الوعود اللي قطعها على نفسه، وأغلظ الأيمان اللي أقسم

بيها إنه مش هيعملها لما يكبر ويبقى أب في لحظة تحدّي بينه وبين أمه وأبوه اللي كان مش عاجبه تربيتهم وطريقتهم، وهو بيعدّل عليهم ويعرّفهم إنه هيبقى أطيب وأرحم بأولاده.

بالعكس بقى، أنا بعترف إني أسوأ من بابا وماما بكتير.. على الأقل كانوا فعلاً بيضربوني على كوارث خطيرة كانت ممكن تهلكني وتقضي على كل اللي في البيت، لكن أنا يا بنتي ياما ضربتك على أمور تافهة متعلقة بيا، زي إنك تكسري أسطوانة كمبيوتر، أو تقطعي سلك الـ(صب ووفر) وتحرميني من الموسيقى المفضلة اللي بحب أسمعها الصبح، بخلاف ورقة قطعتها من كتاب، أو رجل ترابيزة خلعتها، وحاجات تانية كتير كانت أتفه وأحقر شأناً من إن إيدي تتمدّ عليكي.

يمكن البيبي الجديد سواء هيكون أخوكي أو أختك هيبقوا محظوظين لأني اتعلمت فيكي ومنك حاجات كتير، أهمها إن كل خساير الدنيا مهما كانت لا تساوي دمعة واحدة من دموعك، وإن أكتر أوقات أتمنيت فيها يكون معايا آلة زمن هي الأوقات اللي كنت بتجرأ فيها على ضرب أجمل وأغلى ملاك، وبمجرد ما تهدى أعصابي ويروح غضبي، تبقى دموعك الأغلى من الدهب في مخيلتي لتفكرني بأي سوء اقترفته يدي، وإحساس رهيب بالحزن والندم لا أستطيع التكفير عنه حتى وأنا أمسك بيديكي لأجعلك تضربيني وتصفعيني وأنا أوبخ نفسي (بابا آآآآآه) لتتحول دموعك وملامحك العابسة إلى أجمل ضحكة في الكون، وتظني أن ضربك الموجع لي هو سبب دموعي، دون أن تفهمي بعد أنها دموع الندم من أب يقسم داخله في تلك اللحظات أن كل شيء يهون من أجل عينيكي اللتين أقسم ألا يُبكِيهما مرة أخرى مهما كان.

مكتبة عابث الإلكترونية

وصدق من كتب على الفيس بوك: «وهي العيال إيه غير موبايل يترمي في التواليت، أو إزازة برفان غالية تندلق على الأرض، أو لاب توب تقع عليه كوباية عصير، وشوية أطباق وكوبايات مكسرين فوق بعض.. ربنا يخليهم لينا ويجننونا كمان وكمان».☺

من أول شَكّة

في غمار الفرحة والسعادة بقدومك، غفل ذكري عن أن صرخة إعلان وصولك التي دقت لها القلوب فرحاً، لن تكون آخر صرخاتك، وأن الأيام المقبلة ستشهد صرخات طويلة لأسباب عديدة، بعضها يتعلق بالجوع، وبعضها يتعلق بالمغص، وبعضها يتعلق بالالتهاب والتسلخ، لكن أصعبها على الإطلاق كانت تلك الصرخة المرتبطة بأول شكة حقنة الغرست في جسدك الصغير لينخلع معها قلبي وتدمع عيني رغم أنه أمر طالما بدا لي بسيطاً ومألوفاً حين كنت صغيراً، وأذهب مع أمي إلى مكتب الصحة لنطعم إخوتي، ثم كبرت وجعلتني أختي الجميلة أحمل لقب (خالو) لأحمل معها أطفالها وأذهب بهم إلى نفس مكتب الصحة الذي ما زال كما هو ولم يتغير، وبين مشوار الأمس ومشوار اليوم سنوات طوال غيرت معها كل شيء من حولي، حتى تحوّل الطفل إلى خال، ثم أصبح أباً يحمل فلذة كبده بين يديه ليسلمها إلى من يدسون في جسدها الهزيل جرعة من المرض في صورة مصل، حتى يتعرف عليه جسدها في هذا السن الصغير، وتبدأ قلاعه المتمثلة في جهازه المناعي في أخذ الحيطة والحذر منه، قبل أن تهاجمه وتطرده شر طردة بعد أن صارت لديها مناعة وحصانة كفيلة بمنع عودته للأبد.

ومع تغيّر الزمن، ظهرت أمراض جديدة، وانتشرت أمراض لم تكن منتشرة هذا الانتشار، فصارت الأمصال المدعمة من وزارة الصحة

مكتبة عابث الإلكترونية

غير كافية لتحقيق الحد الأدنى من الأمان، وصار على كل أب أن يبذل قصارى جهده ليشتري تلك الأمصال الجديدة لوقاية فلذة كبده من فيروسات فتاكة مثل فيرس الروتا الذي يقتل سنوياً أكثر من 440 ألف طفل، ويتم الإبلاغ عما يقرب من 111 مليون حالة من حالات التهاب المعدة والأمعاء الناجمة عن الفيروس نفسه كل عام على مستوى العالم.

كل أموال الدنيا تهون من أجل لحظة ألم أخشى أن تشعري بها يا ملاكي الصغير. لكن ما لم أستطع أن اعتاده هي تلك اللحظات التي كان عليّ فيها أن أغرس الحقنة بنفسي في مؤخرتك دون أن تعرفي أن هذا الوخز الأليم الذي مسّك فجأة جاء على يد أكثر عاشق لكِ في الوجود.

كان هذا يحدث حين تمرضين ويكتب لك الطبيب حقناً تتعاطينها مرتين في اليوم، في مواقيت قد تكون مبكرة للغاية، حيث لم تفتح الصيدليات بعدُ، أو في ساعات متأخرة بعد إغلاق المحالّ، ولم تكن إلى جوارنا صيدليات مفتوحة على مدار الأربع وعشرين ساعة، ولم يكن هناك أمامي أي اختيار.

بدأت رحلتي مع ضرب الحقن مع والدتك حين كانت حاملاً فيكي، وطالما أخبرتني بأن يدي خفيفة حتى إنها كانت تسألني أحياناً: "مش هتديني الحقنة؟"، لتفاجأ بي أخبرها بأني أعطيتها لها وهي لا تشعر!

لكنني لم أتخيل أن الأمر سيكون معكِ بهذه الصعوبة والألم.. كان قلبي يرتجف، وفرائصي ترتعد مع صرختك المفاجئة، لأخرج الحقنة سريعاً من جسدك، وأقبّل موضع الجرح، وأضع القطنة المعطرة لمسح نقطة الدم وتطهير مكان الوخز، قبل أن أحتضنك احتضاناً لا يكفّ

قلبي فيه عن الخفقان بشدة، وأنا أمسح دموع عينيكي وأقبّلك ألف قبلة دون أن أسامح نفسي.

ربما جاء الوقت الذي تدور فيه الأيام وأسلمك جسدي لتعطي أباكي حقنة يحتاجها من يد خفيفة ورقيقة فلا أجد يداً أحنّ عليا منك، حتى ولو تهربتي من أداء هذا الواجب الثقيل، لتشعري حينها كيف كان والدك يتألم من أجلك، فهلا عذرتيني؟!

مكتبة عابث الإلكترونية

با.. بببببـــــــ... ـــــاااا

فور إبلاغي بخبر حمل أمك، دون أن أعرف إذا ما كانت حاملاً في ولد أم بنت، وأنا أموت اشتياقاً وانتظاراً لتلك اللحظة الفارقة من العمر التي أسمع فيها كلمة "بابا" وهي تغادر شفتيكي الرقيقتين لتكون صكّ شهادة فعلية لا تحتاج لختم النسر ولا إمضاء 2 موظفين على أني قد صرت أباً.

ومع نضجك ونموك يوماً بعد يوم، لم أكفّ عن فتح فمي بأشكال وطرق غريبة، وأنا أردد على مسامعك: "بابااااا.. بابي ي ي ي.. دادي ي ي ي" بنبرات صوت تشبه الأطفال أحياناً، وتقترب من طريقة نطق الكهول أحياناً أخرى، لتبتسمي مع ملامح وجهي وطريقة كلامي "المسخرة"، قبل أن تتحول الابتسامة إلى ضحكة بصوت عالٍ يكشف عن صفين غير مكتملين من اللولي، فأصرخ فرحاً واشتياقاً وأنكبّ عليكي لأغمرك بقبلاتي وأحضاني كالدراويش والمجاذيب دون كلل أو ملل، قبل أن تلتقط أذناي صوت ضحك أعلى لكنه يأتي من الخلف هذه المرة، فالتفت وأجد أمك التي لم تتمالك نفسها من الضحك على زوجها الطفل، قائلة بصوت رقيق ساحر: "ربنا رزقني بطفلين، ياما إنت كريم يا رب".

ومع بلوغك من العمر 8 شهور، ومع استمراري في أداء تلك الاسكتشات الكوميدية من كتاب (كيف تصبح أباً بدرجة أراجوز)، لم

مكتبة عابث الإلكترونية

أصدق إذنيّ حين انفرجت شفتاكي بغتة وأفرجتا عن كلمة ظلت حبيسة طوال كل هذه المدة..

«ماماااا!!»

وحياة أومّك؟!!

لأسمع من خلفي هذه المرة صرخة أمك التي تجاوزتني وانقضت عليكي تلتهمك في نهم حتى إنني خشيت عليكي حقاً من كل هذا الكم الرهيب من الأحضان والقبلات، والتمعت عيناي تأثراً وأنا أشاهد تلك الدموع الحزينة التي سالت على وجنتي أمك في معنى حرفي وعملي للبكاء من فرط السعادة، لأدير عيني عن هذا المشهد الذي لم يجسّده حتى الآن فيلم أو مسلسل ربما رفقاً بقلوب المشاهدين، وأجلس في ركن منزوٍ انتفض كالممسوس، غير مصدق أني عشت لحظات كهذه، وأنا أمنّي نفسي بأن يحين دوري يوماً، وأقفز قفزات مماثلة من الفرحة والسعادة، لأشعر بيد أمك الحنون وهي تجلس إلى جواري حاملة إياكي، وتهمس في أذني بعشق وهيام: "ما تزعلش يا حبيبي.. مادام لسانها نطق أخيراً يبقى بكرة أكيد هتقولهالك لحد ما تزهق منها".

لأنظر إلى عينيها بعيون دامعة وأهمس بدوري: "مادام قالتهالك وفرّحتك للدرجة دي يبقى كأنها قالتها لي بالظبط.. أنا وإنتي واحد".

ليحتضن كل منا الأخر ويسكت الكلام..

بعدها بأيام سافرتي مع أمك إلى الإسكندرية حيث مسقط رأس والدتك ومحلّ إقامة أهلها، كعادة متّبعة تفعلها أمك مرة كل شهر لمدة أسبوع لزيارة أهلها، ومن هناك تلقيت مكالمة تليفونية في الصباح الباكر وأنا في الشغل، لتقول لي أمك بشقاوة:

- عندي ليك مفاجأة.

- مفاجأة إيه؟

- خدي يا جوجو كلّمي بابا.. (ليختفي صوت أمك وأسمع صوت خرفشة بسبب عبث أصابعك بأزرار التليفون قبل أن يظهر صوتك أخيراً).. إيييييف

- مال جنى؟ هي شامّة ريحة وحشة ولّا إيه؟

- هههههه.. ريحة وحشة إيه بس.. البت بتنادي عليك باسمك يا سي إيف.. أصل الشين لسه تقيلة عليها.

- وحياة ربنا؟ ده أنا كنت مستعد أدفع نص عمري عشان تقول بابا.. نفسي تنادي عليا باسمي؟ ليه بس خلتها تقولهالي في التليفون؟ كنت عايز أسمعها وجها لوجه عشان آخدها في حضني وأهريها بوس.

- المرة اللي فاتت كنت هفعصها.. مش هيبقى أنا وإنت.. ممكن تبعت لها بوسة في التليفون.

- أمممممممممممموا!!!!!!!

- أمممممممما

- إيه ده؟ هي بتبوسني؟

- آه.. ما هي اتعلمت تبوس كمان.

- هي كلمة واحدة.. لازم ترجعوا من السفر النهارده.

وعُدتي إلى حضن أبيكي، وفي جعبتك أوبشن جديد أسكرتني لذته، وأفقدتني صوابي، "إيف" و"إموا"؟ الاتنين؟ وفي يوم واحد؟!

أي شكر يمكن أن أشكره لك يا رب؟ أي حمد وثناء يليق بك؟ أي فعل من أفعال البشر العجزة يستطيع أن يمنحك ولو مثقال ذرة من قدرك العالي الرفيع؟

مكتبة عابث الإلكترونية

عشت أياماً في الجنة وأنتي تتدرجين في مستويات الإبهار والسعادة التي منحتها لوالدك، لتتحول "إيف" إلى "شيف"، ثم تعلمتي كيف تدلليني وتقولي: "شيكووووو"..

حتى الـ"إمممممموا" تحولت من فعل صوتي إلى قُبلة حقيقية تعلمتي كيف تطبعينها على وجنتيّ، لتردّي القبلة بالقبلة، والحضن بالحضن، وكلما قبّلتُ خدك قبلتي خدي، وكلما لثمتُ يدك لثمتي يدي، وكلما احتضنتك احتضنتيني، ليزداد عناقي وأنا أنهض بك رافعاً قدميكي عن الأرض، وأدور بك بسرعة شديدة تجلب ضحكاتك وصرخاتك السعيدة، لنطير أنا وأنتي في السماء وننسى تماماً أي جذور لنا على الأرض.

ثم تسلل إليكي ذكاء الأطفال الأشقياء، لتمنحيني القبلة حين تريدين شيئاً في يدي، أو تفلتي بها من العقاب حين أزمجر وأنظر لكِ شذرا، وبعد أن استنفدتي حيلك في الكر والفر، حانت لحظة التجديد والتغيير حين احتضنتيني ذات مرة وهمستي وأنتي في حضني: "إبَك" لأكذّب سمعي ولا أصدقه إلا حين كررتيها بلهجة بدت أنها من كل قلبك لأتأكد بالفعل من أنك تريدين أن تقولي: "بحبك"، فأصرخ وأنا أعانقك بأقصى ما لديّ من طاقة وسعادة: "وأنا كمان بموت فيكي.. بموووووووت فيكي"، حتى ولو كنتي ستسيئين استخدام تلك الكلمة مثلما اسأتي استخدام الأحضان والقبلات من أجل تحقيق أهدافك الخبيثة، فحتى الأموال المزورة تستطيع أحياناً أن تفي بالغرض وتشتري ما هو غالٍ وثمين، وأنا راضٍ وموافق على النصب والابتزاز العاطفي من أجل لحظة سعادة أقتنصها من بين شفتيكي.

في يوم عيد ميلادنا!

كنت متخيل إنه إحساس مرعب وصعب وأنت تعبر حاجز الـ 20 نات إلى مرحلة الـ 30 نات من عمرك، وما يتبع تقدم السن من عجز، ومتاعب، والاقتراب من حقيقة مؤكدة كلنا نسيناها أو تناسيناها في زحام الحياة!

عبرت حاجز الثلاثينات والدنيا حولي ما زالت كما هي، والأهم أني ما زلت كما أنا..

صحيح أني قد أصبت بمرض السكر رغم سنوات عمري الصغيرة.. صحيح أني صرت أكثر عصبية رغماً عني.. صحيح أن قائمة الأسماء في هاتفي المحمول عرفت لأول مرة أشخاصاً جدداً دخلوا حياتي ويسبق كل منهم لقب دكتور، ويحمل كل منهم تخصصاً مختلفاً، إلا أني على الأقل ما زلت حياً سعيداً.. لا أحتاج لمن يأخذ بيدي عند صعود مترو الأنفاق، أو يحملني عند صعود السلم، أو يدخل معي دورة المياه عندما أريد أن أقضي حاجتي! ولا أحمل لقب المرحوم، ولا يوجد اسمي على شاهد قبر في انتظار من يمنّ عليّ بزيارة أو دعوة صالحة!

كنت أطير من الفرحة والسعادة حين يناديني أحدهم سابقاً اسمي بكلمة "أستاذ"، وأنا أسخر في قرارة نفسي من عجائب القدر ومفارقة الأيام، وقد تحول هذا الـ"عيل" الذي طالما صرخ فيه والده: "وحياة أمك ما إنت نافع" إلى كاتب شاب له بعض المحبين الذين تشرّف

مكتبة عابث الإلكترونية

بمعرفتهم مدينا بالفضل للكتابة، والورقة والقلم، ورائحة الحبر، وتكتكة الكيبورد، ومن آمن بموهبتي وأعطاني الفرصة لأخرج جنوني وخيالي، لتتحول هراءاتي إلى كلمات لها معجبون رغم أنها قد لا تعجبني أحياناً!

لكني اكتشفت أن كل هذه السعادة والطيران، مع لقب "أستاذ" لا حظَّ ولا فرصة لهما للمقارنة مع لقب أجمل وأغلى بكثير من كل ألقاب الدنيا.

إنه لقب "بابا" الذي عبرت حاجز الثلاثينات وأنا أحمله لأول مرة، حاملاً في حضني طفلة جميلة اسمها "جنى"، أحبها، وسأظل أحبها أكثر من نفسي، وأحب الحياة من أجلها، بعد أن كان الموت لعبة ممتعة راودتني نفسي مراراً أن ألعبها لاستكشاف متعة الذهاب إلى عالم جديد ومثير، ورؤية الأنبياء والرسل وأبطال التاريخ والجلوس في حضرتهم، بغضّ النظر أنه لا رجعة منه، وأن الذهاب إليه لا يعدّ إلا رحلة في اتجاه واحد إجباري، قبل أن أنظر لذراعي الذي تتأبطه زوجة مخلصة وفية، لا أشك لحظة أنها تمنحني أقصى ما يبلغه البشر من قدرة على العطاء والحب، حتى وإن صاحبت ذلك بعض أمراض الحياة العارضة من خناقات ومشاكل، سرعان ما تذوب مع أول حضن، وأول بوسة، وكلمة "بحبك"، وجملة "حقك عليّ" دون أن نهتم إذا ما كانت بفتح القاف أو كسرها.

نظرت إلى المرآة فلم أجد شيئاً قد تغير.. ما زال وجهي بشوشاً، وما زال شعري كستنائي اللون دون أن تغزوه الشعيرات البيضاء.. إذن فما زال المجال متسعاً، ولم يكتب القدر جملة "جيم أوفر" بعدُ!

الحياة كما هي ولن تتغير بسهولة من أجل شخص.. الناس تسير في الشوارع، والأطفال يذهبون إلى مدارسهم، وأبي وأمي حفظهما الله ما زالا يتمنيان لي الخير وتدمع عيناهما مع كل دعوة أثق تماماً بأنها من أعمق أعماق القلب، فيما تملأ كلمات الأصدقاء الأعزاء صفحتي الشخصية على "الفيس بوك" بأجمل كلمات التهنئة الرقيقة والأمنيات الطيبة.

صحيح أن القدر سيظل يمارس لعبته المفضلة في عمل عملية إحلال وتغيير لقائمتنا أهلينا ومعارفنا وأصدقائنا، ليرحل من يرحل، ويختفي من يختفي، فيما تظهر من الفينة للفينة وجوه جديدة، إلا أن ركب الحياة سيظل مستمراً بغضّ النظر عمن تخلّف عن الرحلة أو غيّبه القدر رغماً عنه، ولا مجال إلا للاستمتاع باللحظة، واقتناص الفرصة، مع مراعاة ألا نشغل أنفسنا بالادخار و"التحويش"، والابتعاد عن الصراعات التي لن تزيدنا إلا ما كُتب في صحائفنا من أرزاق، ولن تسلبنا إلا ما كُتب في أقدارنا من خسارة.

عندما سحرتني الكتابة ومنّت عليّ بنجاح ما زال نسبياً، لكني على الأقل لم أكن أتوقعه.. ندهتني نداهة الأدب، وصرت درويشاً في عالم الحروف، لأضع نصب عيني حوائط وجدراناً من الكتب والروايات التي تحمل اسمي وأتركها ميراثاً لابنتي الجميلة، لتحمل اسمي، وتنبئ الناس بعد غيابي عن هذا العالم أنه كان يوجد يوماً شخص ما اسمه "شريف عبد الهادي" حاول أن يترك رسالة ليتذكره من عاصروه، ويتعرف عليه من لم تجمعهم به الصدف والأقدار، علّها تكون صدقة جارية تزيد من حسناته بعد رحيله، وشفيعاً له عند ربه يوم الوقوف بين يديه، متذكراً مقولة جان جاك روسو الشهيرة: "إذا أردت أن تحيا

مكتبة عابث الإلكترونية

بعد موتك فافعل واحداً من اثنين: اكتب شيئاً يستحق أن يُقرأ، أو افعل شيئاً يستحق الكتابة".

وعندما وجدت أن الصحافة رغم أنها مهنة كتابة، إلا أن كثيراً منها يقتل بداخلك الكتابة الصالحة المبدعة، ويدخلك في فلك الكتابة التي لن تضيف إليك إن لم تأخذ منك وتسحب من رصيدك الآدمي والإبداعي، قررت فجأة التخلي عن وظيفة مرموقة بمرتب مُجْزٍ وثابت، لأذهب حيث العمل الإبداعي اللا مؤسسي، وكان هذا لا يعني سوى القفز من الطائرة بلا مظلة نحو المجهول، رغم أنه يتعلق في عنقك زوجة وطفلة أنت المسئول الأول عنهما بعد الله، لكن شيئاً ما داخلي كان يخبرني أن لا تخف ولا تحزن!

جلست في بيتي أنا وحاسبي الآلي لأكتب وأبدع رغم أني أدرك أن الأدب لا يكفي أن يكون مهنة، وأن الكتابة "ما بتاكّلش عيش".. لكني على الأقل كنت موقناً بأني سأستمتع بما أفعل، ولن يقيد أفكاري وقلمي حمقى ومتسلطون.

سأكون أنا كما أريد أن أكون على ما أبدو عليه، وسأترك الرهان للزمن واثقاً من الفوز بإذن الله، وبالفعل لم تمضِ سوى أيام معدودة حتى جاءني أكثر من اتصال، بأكثر من عرض أن نريد العمل سوياً في أكثر من مجال، أبرزهم إعداد البرامج التليفزيونية والإذاعية بمبلغ مادي أكبر، وعدد ساعات أقلّ، لا يعوق حلمي الأول والأخير في الكتابة حتى آخر نفَس، بقواعدي وشروطي التي ترضيني ولا ترضي الآخرين.

ابنتي الحبيبة "جنى".. لا تكوني إلا ما تريدين أن تصبحي عليه دون أن تنظري يميناً أو يساراً نحو الضغوط التي تكبّل حركتك وتقيّد

حلمك، واحصري نظرك في اتجاهين فقط.. الأعلى نحو السماء، والأمام حيث المستقبل، واعلمي أن النظر خلفك لن يترتب عليه إلا السقوط والانكباب على الوجه بعد الاصطدام بشيء أمامك لم تنتبليه.. تمردي على المسارات الإجبارية، والقوالب الجاهزة، واصنعي عالمك بشروطك، وقواعدك، وخيالك أنت، لا بقيود وخيال الآخرين.

وفي عيد ميلادي الثلاثين، حيث تبلغين من العمر 10 شهور فقط، أشكر الخالق على كل لحظة إضافية أمتعني فيها بالنظر إلى وجهك الجميل، والتنعم بالقرب منك، لأشعر أنه عيد ميلادك أنتِ، حيث وُلدت فعلياً يوم ميلادك وتشريفك لعالمي، ولا يسعني سوى أن أقول لكِ: كل سنة وإنتي طيبة، يا روح قلب بابا ☺

2013 - 9 – 29

مكتبة عابث الإلكترونية

أكبر

من العادي وغير المدهش، إنك تسأل طفلة أو طفلة عمرهم سنة ونص أو سنتين: فين ربنا؟، فيشير نحو السماء بخشوع وترقب، حتى ولو لم يخبره بشر من قبل أن الله عليّ مُتَعال، يقع عرشه فوق سبع سماوات.

حدث هذا معي مع أكثر من طفل وطفلة أشاروا للسماء حين سألتهم "فين ربنا"؟، وكنتي أنتي واحدة منهم، وجميعهم أخبرني أهلهم بأنهم فوجئوا بأطفالهم يشيرون للسماء كلما أتى ذكر الرحمن، مثلما فوجئت بكِ يا حبيبتي وأنتي تشيرين للسماء ذات يوم قائلة: "أكبر"، وتشيرين للبحر قائلة: "بَححححححَ"، حتى فهمت عملياً وبالتجربة كيف يخلقنا الله بالفطرة ونحن مدركون لوجوده، مؤمنون به، وموحدون لِذَاته الشريفة التي لا مثيل لها بين الذوات، وكيف علّم الله (آدم) الأسماء كلها فأصبح (آدم) عليماً باسم كل شيء تقع عليه عيناه مثل البحر والنهر والجبل، بينما عجزت الملائكة عن ذكر أسماء تلك الأشياء حين سألها الله؛ لأنه لم يُعلّمها، فقالوا: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}، لكن بعض البشر يُحمّلون عقولهم ما هو فوق طاقتها فيكون إعمال العقل المبالغ فيه سبباً للكفر والإلحاد وإنكار وجود الخالق الذي ولدنا مؤمنين به بالفطرة.

مكتبة عابث الإلكترونية

فتعالَيْ اليوم يا حبيبتي نتعرف على الله ونحاول الوصول إليه بشكل صحيح وسليم، على الأقل حتى لا تقعي في الخطأ نفسه الذي وقع فيه أبي وأمي وهم يُعرّفانني بذلك الخالق حين سألتهما: هو مين ربنا؟ فأجاباني: "هو اللي خلقنا، وهيحاسبنا يوم القيامة ويعذب الناس الوحشين في النار"، ومع كل غلطة كنت أقع فيها كان التحذير قاسياً وهما يشيران للسماء قائلين: "ربنا هيعذبك ويوديك النار"!

فصار الله في مخيلتي هو المعذّب القاسي، بينما للإله الحقيقي معانٍ أكبر وأوسع بكثير من مجرد أنه معذّب ومنتقم، ومن مجرد كونه مجرد كيان يسكن في السماء.

حتى حين كبرت وحاولت الوصول إليه بنفسي، كان شيء خفيّ في أعمق أعماقي يُنبئني بأن هذا الخالق جميل طيب رحيم رغم قوته المطلقة التي لا حدود لها، فإنه لا يحب أن يضر أحداً، أو يعذّب أحداً، ويريد لكل مخلوقاته الخير والسعادة، لكن البشر بسوء أخلاقهم وجهلهم هم الذين يجلبون لأنفسهم الضر والهلاك.

حاولت أن أستعين بالبعض ليأخذني إلى المعرفة بهذا الإله، فوجدت أن معظم رجال الدين المشهورين، ممن يتحدثون في الفضائيات والصحف ويسجلون الخطب والدروس الدينية، قد استغلوا علومهم ومكانتهم ليجنوا الأموال والثراء الفاحش، ويمدون أياديهم للبشر البسطاء حتى يطبعوا عليها قبلات العبودية وكأن رجال الدين أسياد، في حين أن جميعنا عبيد وعُبّاد لسيّد واحد، كلنا ضعفاء أذلاء إليه.

بينما وجدت في أركان المساجد رجالاً زاهدين في الدنيا، متواضعين في أخلاقهم، مبتسمين إذا تكلموا، لا يعرفهم أحد، ولا يُقبّل أيديهم أحد، ولا يملأون الدنيا ضجيجاً أو يظهرون ضيوفاً دائمين في الصحف

والفضائيات، لكنهم لديهم كلام يريح البدن، ويسمو بالروح، ويغسل القلب، لتدمع العين من خشية الله ومحبته أثناء الجلوس في حضرتهم والاستماع لعظمة الله وحكمته وحبه للبشر، حتى إن المرء يشعر أنه لم يعد راغباً في الجنة رغم ملذاتها وخيراتها، ولا خائفاً من النار رغم عذابها الرهيب الذي لا يتحمله بشر، وكل ما يهمه فقط هو القرب من الله الجدير بالعبادة حتى ولو لم يخلق جنةً أو ناراً، ليمنّي نفسه بلذة النظر إلى وجهه الكريم الأغلى والأجمل والأرق في بهائه وحسنه ومتعته من كل متاع الدنيا والآخرة.

حينها فهمت مقصد العالم والمفكر العظيم الراحل د. مصطفى محمود -رحمة الله عليه- حين قال: "إن الله أقرب إلى الذين يجتهدون في فهمه، من الذين يؤمنون به إيماناً أعمى"، بشرط ألا نحمّل العقل فوق طاقته، فنقع في الحيرة ويصيبنا الجنون، ونصاب بالشطط ونحن نسأل: "من خلق الله"؟، ومنذ متى جاء الله إلى الوجود؟ وما الذي كان موجوداً من قبله؟

والآن تعالَيْ يا ابنتي الحبيبة نبحر في ذات الله، ونستمتع بفهم بعض الأمور عن هذا الإله العظيم الواحد في ملكوته، ونحن نأنس ونستأنس باجتهاد أستاذنا د. مصطفى محمود -رحمة الله عليه- في وصف الله تعالى بكتابه المهم "الله" الذي قال فيه:

الشمس تأفل، والزهور تذبل، والربيع ينتهي إلى خريف، والصحة تنتهي إلى مرض، والحياة تنتهي إلى موت، والإمبراطوريات تزدهر وتندثر، والقارات يبتلعها المحيط، والنجوم تنفجر في فضاء الكون وتختفي، وعالم المظاهر حولنا عالم خادع مخادع، يتلون كالأكاذيب، ويتحرك

مكتبة عابث الإلكترونية

إلى زوال وفناء، وكأنه رسوم على الماء، أو نقش على رمال تذروها الرياح، والله ليس من هذا العالم، وإنما "متعالٍ" عليه.

العالم باطل، والله حق.. العالم زائل، والله دائم.. العالم متغيّر والله ثابت.. العالم سجين في حدود الزمان والمكان، والله متعالٍ على الزمان والمكان، لا يتحيز في مكان، فليس له حجم، ولا مواصفات مكانية، ولا يمكن أن يقال إنه فوق أو تحت، أو عن يمين أو شمال، أو داخل أو خارج..

وهو لهذا لا يحلّ في بدن، ولا يتحيز في حيز، ولا يتجسّد في صورة أو شكل..

ولأنه متعالٍ على الزمان، فإنه ليس له عمر، وليس له بداية أو نهاية، وليس له ماضٍ وحاضر ومستقبل، وإنما هو حضور مطلق، وآن مستمر، وديمومة أبدية ماثلة في الغيب والشهادة على الدوام.

ولأنه منزه عن الزمان والمكان، فهو لا يتحرك ولا ينتقل، وإنما هو ساكن سكوناً مطلقاً.. صامد.. وكل ما حوله يضطرب، وهذا معنى "الصمد"، أي الثابت ثباتاً مطلقاً، ولهذا فهو الملجأ والأمان من خضمّ الاضطراب..

تلقي النفوس إليه مراسيها كما ترسو السفن وتلقي بمراسيها إلى القاع الساكن، وتستمد ثباتها من ثباته.. فهو الصمد الذي يُصمد إليه.

نحن في القيد (الزمان والمكان).. والله في الإطلاق (الأزل والأبد)، ليس له مبتدأ ولا منتهى ولا حدود.

وهو "اللطيف"، منتهى اللطف.. ليس له جسم ولا مادة ولا كتلة ولا ثقل ولا كثافة تعوقه، ومن ثم فهو يتخلل كل شيء في حضور كامل مع

كل شيء، في كل وقت وفي خفاء واستسرار، وهذا هو معنى "اللطيف"، أي الخفاء المطلق.

وهو معنا أينما كنا، قريب منا، منتهى القرب، بحيث لا نراه كما لا يرى الواحد منا سواد عينيه..

هو الأحد.. والأحدية هي أنه لا ينقسم ولا يتجزأ، ولا يمكن أن يكون له بعض أو جزء أو ضد أو ند، ولا يجوز عليه التعدد أو التناقص أو الازدياد.. وهو لا ينحلّ ولا يتركب ولا ينفرط ولا يتّحد ولا يتّصل ولا ينفصل.

تلتقي فيه الأضداد (الجبار/ الرحيم، والمعز/ المذل، والنافع/ الضار) في وحدة مطلقة لا تضادّ فيها ولا تناقض ولا تصارع مثلما تحدث الصراعات داخل البشر، ومن هنا كان اسمه "السلام" حيث لا حرب داخله.

وهو "الحي" دون الحاجة إلى خالق يمنحه الحياة، ودون اعتماد على غيره، بعكس حياتنا الناقصة التي لا تقوم إلا بمدد منه..

وهو "القيوم" الذي يقيم كل شيء حياً، ويمنح الحياة للعدم، وكل شيء يقوم بالله ولله.. النجوم في أفلاكها تمسكها قوانين الله فتقوم به، والأشجار ترفع قامتها به وبمدده، ونحن نقوم كل يوم به وبمدده.. نرى به، ونسمع به.. بالمواهب التي بثّها فينا.. والكون كله يدين بقيومته لله.. فهو قيوم كل شيء.. وهو مقيمنا من الموت يوم القيامة.

وهو "السميع" مطلق السمع دون أذن ودون أدوات.. هو السميع بذاته.

وهو "البصير" دون بصر، ودون عين، ودون أعصاب بصرية.

مكتبة عابث الإلكترونية

وهو "المتكلم" دون حروف، ودون كلمات، ودون لسان، ودون شفتين.. هو المتكلم بذاته يلقي إلينا بالمعاني فنسمعها على أية لغة يشاء.

وهو "الأول" قبل الزمان وقبل خلق العالم حينما كان ولا شيء معه.

وهو "الآخر" بعد أن ينتهي الزمان، وينتهي العالم ويعود كل شيء إليه.

فهو "الباقي" بعد أن يفنى الكل، فلا شيء قبله، ولا شيء بعده، وهو "الظاهر" لنا بأفعاله، و"الباطن" بذاته، وهو "المنتقم" لنا لا لنفسه، وهو "الجبار" على الجبارين المتجبرين، و"المذل" للمذلين، و"المتكبر" بكبريائه على المخلوقات الناقصة، والماكر بالماكرين.

عذابه من عيون رحمته.. فهو "الرحمن" الذي يعذّب ليوقظ وينبّه ويعلّم.. وهو "الرحيم" الذي يمنح رحمته خالصة إذا شاء... ورحمته دائماً سابقة على غضبه.. يرسل الرسل والنذر والكتب، ويجلو آياته بينات في السماوات والأرض لكل ناظر، ثم بعد ذلك يكون الحساب.. يكون يوم الدين.. يوم الغضب على من يستحق الغضب.. فهو "الصبور" الذي يمهل ويمنح الفرص ويمد الأجل، وهو "التواب الغفار" لكل أواب رجّاع إليه..

نبع الرحمة والحنان، والملهم بالمغفرة والتوبة.. سبحانه "ذو الجلال والإكرام".

تعجز الحروف والكلمات، وتنقطع العبارات عن بلوغ مقامه الأسمى حيث هو.. حيث لا حيث، وعند لا عند، وحيث تهت العقول، وتسكت الألسن، وتجف الأقلام، وترفع الصحف.

هو "المبدئ والمعيد"، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، والإعادة دائماً أهون من الابتداء المطلق.

هو "المحيي والمميت".. "فالق الحب والنوى".. أي يفلق الحبة لتخرج البذرة الجديدة، ويفلق النواة لتنبت منها الشجرة، ونواة الخلية تنفلق مع كل دورة من دورات التكاثر لتصبح الخلية الواحدة خليتين، ونواة الذرة تنفلق لتولد منها ذرات جديدة وتخرج طاقة هائلة.

الانفلاق الذي يصنعه الله دائماً بداية الدورة، وبداية الميلاد، وهذا ما حدث مع الكون نفسه في الانفجار العظيم، حيث كان الكون كله وحدة واحدة، ونسيجاً واحداً من السديم الغازي، ثم حدث انفجار هائل جعل الكون يتفتق إلى أنوية كثيفة نشأت منها الشمس والأرض والكواكب، وهو ما جاء في كتاب الله تعالى حين قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

والله هو "المقدم والمؤخر"، الذي يؤقّت المواعيد لكل شيء، ويؤخر الآجال ليومها المقسوم، وهو خالق الزمن بإطلاقه، وهو الذي أقام الأسباب لتكون مؤدية إلى النتائج، فجعل العزم والكفاح سبباً للنجاح، وجعل الدواء سبباً للشفاء، ولأنه مسبب الأسباب، كان هو "الشافي المعافي" وليس الدواء؛ لأنه هو الإرادة المطلقة وراء الأسباب، ولو كان الشفاء إرادته فسوف يجربه على صاحبه بالدواء، أو بالجراحة، أو بأي سبيل، وإذا لم يكن الشفاء في تقديره، فلن ينفع طبّ ولا دواء؛ لأنه هو الحق، والظواهر جميعها وسائله الوهمية.

هو "الرقيب".. "الشهيد" مطلق الشهادة، يعلم السر وأخفى، ويعلم ذات الصدور، ويرى خائنة الأعين، ولا يغيب عنه شيء.

مكتبة عابث الإلكترونية

وفي علم الله لا مكان للشك، لذا كان من أسمائه "المؤمن": لأن كل مدركاته يقين وغيمان، وهو أيضاً مناط الأمن والأمان.

وهو "الوكيل": لأنه لا شيء يتم إلا بإذنه، ولأن الأمور كلها موكلة إليه، وهو الذي ينفذها ويحققها، وهو "المهيمن": لأن لا إرادة فوق إرادته، ولا إرادة معه، ولا رادّ لقضائه ولا معقّب لأمره.

وهو "الصبور" على عباده، يرزقهم ويمدّ لهم في الحياة وهم ينكرونه ويجحدونه، وهو يؤجل كل شيء لوقته بلا عجلة، ويقدم ما هو واجب التقديم، ويؤخر ما هو واجب التأخير في حكمة بالغة وصبر كريم.

وهو "الشكور"، يجازي الحسنات بعشر أمثالها، مع أنه هو الذي ألهم عباده بتلك الحسنات، وهذا غاية الفضل والتفضل.. سبحانه لا حدود لكرمه، ولا نهاية لمحبته، ولا يستطيع الواحد منا أن يكون شكوراً لله؛ لأنه لا يستطيع أن يحصي عليه نعمه ولا أن يحيط بأفعاله، فشكرنا شكر عجز، أما شكر الله فهو شكر علم وإحاطة وخبرة وقدرة؛ إذ لا يعرف قدر الله إلا الله.

والله هو "الملك" المطلق على جميع الأكوان، المستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، بينما الكل في حاجة إليه من الذرة إلى المجرة، فهو الذي يمسك كل شيء بقوانينه، ويدبر كل شيء بحكمته.

والله هو "القدوس"، المنزّه المبرّأ من كل وصف نتصوره بخيالنا، أو يسبق إليه وهمنا، وهو ليس فقط منزهاً عن صفات نقصنا، بل منزه أيضاً عن صفات كمالنا؛ لأن كل ما يخطر لنا من صفات كمالنا، هو نقص بالنسبة إلى ذاته.

وهو "القابض الباسط" الذي يقبض الأرواح والحظوظ والقلوب، ويبسط أسباب التوفيق، وهو "الحكيم" الذي يحقق أفضل الأشياء بأفضل الوسائل.

فأنا وأنت، وكل ركاب هذه السفينة الفضائية التي اسمها الأرض، نعلم أنها تمخر عباب هذا الفضاء منذ ملايين السنين، في صحبة كوكبة من الفرسان من أبناء أسرة الشمس، والشمس بدورها مع مائة ألف مليون شمس أخرى تؤلف مدينة سابحة اسمها المجرة، ومثلها من المجرات مائة ألف مليون مجرة تسبح في طول الكون وعرضه على مدى اللا نهاية من الرؤية.

نظرة في السماء في منتصف ليل ساجٍ إلى هذه العمارة الكونية الهائلة سوف تثير الذهول.

إلى أين نسير؟ وما النهاية؟ ومن الذي خلق؟ وكيف؟

فيأتينا العلم بالإجابة حين يقول لنا إن هذه العمارة الهائلة على سعتها وترامبها، كلها مبنية من نسيج واحد وخامة واحدة ومصممة كلها بأسلوب واحد وخطة واحدة ومحكومة بقوانين واحدة.

سوف يقول لنا العقل لابد أن الخالق واحد، والمبدع واحد، فإذا أدرنا البصر عائدين إلى الأرض وأحوالها ورحنا نتأمل ما فيها من حياة ونبات وحيوان وإنسان، وجدنا نفس الشيء.. نفس القوانين الواحدة، والخامة الواحدة، والنسيج الواحد، والأسلوب الواحد، والخطة الواحدة في الجميع..

الذي بنى السماء، هو هو الذي صنع أوراق الشجر، وهو الذي وضع السمّ في العقرب، والعطر في الورد، والعقل في البشر، وهو الذي صنع الجميع من خلايا متشابهة، كما تُبنى البيوت من لبنات واحدة، لذا

مكتبة عابث الإلكترونية

فإن وحدة القوانين المعمارية تؤكد لنا وحدة الخالق الذي انفرد وحده في بناء كل شيء.

وفي بعض المخطوطات القديمة لـ"النفري"، وهو من كبار الصوفية ومن أشهر كتبه "المواقف والمخاطبات"، تناول تفسير اسم الله "العزيز" فقال:

يقول الله لعبده: ما أنا معيون للعيون، وما أنا معلوم للعلوم، وما أنا مُعرّف للمعارف، أنا العزيز الذي لا يُنال".

أنا الملك الظاهر بالكرم، المحتجب بالعزة، أنا الظاهر ولا تراني العيون، وأنا الباطن ولا تطيف بي الظنون.

وقد تطرق "النفري" إلى تفسير الآية القرآنية {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى}، فقال إن الله يقول لعبده: يا عبدُ إذا حصلت على كل شيء فأين غناك؟!

إذا فاتك كل شيء، فأين فقرك؟!

إذا أعذْتُك من النار، فأين سكينتك؟!

إنما أنا سكنك، وعندي مقرّك، وبين يديّ موقفك.. أنا المنتهى وليس دون المنتهى راحة.

وفي مخطوطة قديمة "للنفري" يتكلم فيها عن الوسوسة ويقول قال لي ربي: إذا جاءتك الوسوسة جاءتك بكيف وهو لسانها، وهو سؤالها لتردّك إلى العلم، فإذا دخلت إلى العلم وقفت بين إقبال العقل وإدباره، فقل للوسوسة: به عرفت صفته، لا بصفته عرفته، وبه علمت العلم، لا بالعلم علمته، وبه عرفت المعرفة لا بالمعرفة عرفته".

متقابلين على مدار حياتك فِرَقاً كثيرة، وكل فريق يريد جذب الله قسراً ليكون كابتن فريقه ويحرز لهم الأهداف، وقد نسوا جميعاً أن الله هو حكم المباراة!

فانعرفي الله بقلبك، وتشاهديه بروحك، بعد أن تحرصي على مقاومة نزواتك والتخلي عن شهواتك ومطالب نفسك الأمّارة بالسوء، ووساوس شيطانك، بالاستماع لصوت الله الحي داخلك والساكن في ضميرك، حتى يحلّ ضياؤه وبهاؤه في جسدك المادي الفاني ويخلصك من ظلمات الطين الذي جبلنا منه، لتسمو روحك في ملكوته الواسع وتشعري أنك في حضرته الإلهية تتمتعين بسبحات ضيائه الخفي عن الغافلين رغم أن قدميكِ ما زالتا على الأرض، فقد عجز المكان والكون والوجود عن احتواء خالق المكان، وعجز الزمان عن تحديد بداية ونهاية خالق الزمان، ورغم ذلك يمكن لقلب الإنسان الصالح احتواء كل هذا الهيلمان.

فقد سأله أحد الصالحين المتصوفين من قبل أن "أريد ربي مقابلتك"، فقال له: "اترك نفسك وتعالَ".

لذا أوصيكِ يا ابنتي الحبيبة ألا تلتفتي لمحبي السفسطة والجدل حول الله، حتى إنهم يضيعون الوقت في الخلاف عليه بدلاً من توظيف هذا الوقت في عبادته.

ليست الحكمة ولا القوة أن تنتصري في الجدل والخلاف، بل ألا تخوضي في الخلاف أصلاً، وللناس فيما يعبدون مذاهب، وكل إنسان سيحاسب وحده، لكن لا يعني ذلك ألا تخوضي الصراع إذا ما تم فرضه عليكِ فرضاً، بل خوضيه وانتصري لما تؤمنين به، لكن اجعلي الصراع أضيق الحدود، واحرصي على ألا يستمر طويلاً.

مكتبة عابث الإلكترونية

لا تستمتعي لمن عبدوا عقولهم القاصرة الضعيفة، فأنكروا ألوهيته بعد أن اختبروا وجوده بمقاييس عقلية، وهو الأعلى من الفكر، ولا يقاس مقامه وتواجده بمقاييس العقل المحدود ورؤى البشر التي تُكبلها الحجب.

لا تنسبي كل الشرور للشيطان، فالبعض جعلوا من الشيطان كبش فداء لهم على مذبح الضمير.. فإذا ما فعلوا قالوا لم نفعل ولكن الشيطان فعل.. يخادعون الله وهو خادعهم..

لو نظر هؤلاء في دواخلهم لرأوا شيطاناً أخطر من إبليس، متمثلاً في الأنا متزوعة الضمير في كل إنسان.. هو النفس الحيوانية بكل شهواتها بلا رادع ولا ضابط.. لم يعد إبليس كياناً مفارقاً للذات كما كان سابقاً.. هو يجرى فينا مجرى الدم، وشهوات النفس ومطالبها التي لا تنتهي جند من جنوده، لتصبح الخطيئة محض انتصار الأنا الشيطانية على النفخة الإلهية التي هي من روح الله في وجود الوعى والإرادة، وبأمر من النفس الأمارة بالسوء وبعونها ينتصر الشيطان ليكون له علينا حجّة يوم القيامة حين يقول: {وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} وما كان التنفيذ رغماً عن إرادتنا!

فسبحان من علّمك يا حبيبتي أن تختصري كل هذه الأوصاف، والأسماء، وذاك الشرح الطويل الذي لا يكفيه الكلام في كلمة واحدة، حين تقولين من أعمق أعماقك وأنتِ تنظرين للسماء: "أكبر"، وكأنها الكلمة الوحيدة التي كانت استثناءً لجهلك وعلمك المحدود وطفولتك عديمة الخبرات إلا من خبرة وُلدنا بها وغُرست فينا بالفطرة.. أن الله أكبر من أي وكل شيء.

نونو

هل هناك أمر أكثر إضحاكاً ومرحاً، من أن تجد طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها العام وبضعة أشهر، وهي تشير بسبابتها للأطفال الصغار الذين قد يكبرونها في السن قائلة بصوت رقيق عذب "نونو"؟! هكذا كنتي أنتي يا حبيبة باباكي، وأنتي تشيرين نحو الصغار الـ"نونو"، لم تنزعين يدكِ الصغيرة من يدي وتركضين نحو أي طفل أو طفلة تقع عليها عيناكي في أي مكان عام نكون فيه، سواء حديقة، أو كافيه شوب، أو مول تجاري، لتحتضنهم وتطبعي على الخدود قبلات حنانك الذي لا ينضب، وسط نظرات الإعجاب والمحبة من أهل الأطفال الذين يفاجأون برد فعلك، ويشيدون بطيبتك المفرطة، ويدعون لكِ بأغلى الدعوات الطيبة.

حباكِ الله من يومك غريزة متدفقة من الحنان والمشاعر، لتكونين أُمّاً لمن حولك وأنتي الأصغر سناً..

أم لأبيكي الذي يفاجأ بقبلاتك وحضنك الدافئ وهو جالس على جهاز الكمبيوتر يكتب رواية جديدة أو مقالاً يعبّر فيه عن رأيه بخصوص قضية أو موضوع ما، ليجدك تشبّين وتقفين على أطراف أصابعك حتى تطولي خده البعيد عن فمك، فإن لم يسعفك طولك، لا تيأسي لتصوبي شفتيكي نحو ذراعه أو فخذه، وتحتضني خصره وتضعي رأسك الحنون عليه في وصلة مشاعر لا تُقدّر بثمن.

مكتبة عابث الإلكترونية

أُمٌّ لأمك التي كانت تفاجأ بردّ فعلك حين تمتدّ أصابعك الرقيقة لتمسح دموعها الحزينة حين تختار أن تذرفها في صمت بين 4 جدران لغرفة مغلقة وهي ترضعك، فإذا بالأوضاع تنقلب، وتصبح هي طفلتك الباكية، وأنتي مصدر الحنان والتهدئة وامتصاص الحزن وتحويله إلى سعادة مهما كانت جرعته أو سبب حدوثه.

أُمٌّ للأطفال من حولك، سواء أطفال العائلة المتفاوتون في الأعمار، أو الأطفال الغرباء الذين تجمعك بهم الأقدار في مشاوير وخروجات تقابلينهم فيها ليأخذوا اللي فيه النصيب ثم يرحلون وعلى وجوههم بصماتك التي لن يمحوها الدهر.

بل إنك كنتي أُمّاً لنفسك، حين ندخل أحد محالّ الملابس أو الأحذية ذات المرايا الكثيرة، فتنظرين لنفسك في المرآة وتشيرين نحو ذاتك قائلة ببراءة، وبشفتين مضمومتين عايزين يتّاكلوا: "نونو" وسط ضحكات العاملين في المحلّ والزبائن!

أُمٌّ للدمى والعرائس الذين تطبطبين عليهم حين يُصدرون أصواتاً صناعية بالبكاء، وحين تريدين تغيير ملابسهم، وتسريح شعورهم وتصفيفها.

ولأن عاطفة الأمومة عندك عالية -ما شاء الله- فأوصيكي بتشذيبها وصقلها عندما تحملين يوماً لقب "ماما" بحق وحقيقي، لتصبحي أُمّاً مثالية بحق، سواء بقلبك أو عقلك.

- لا تكثري من استخدام كلمة "عيب" و"حرام" لتخويف طفلك أو تعليمه الصواب من الخطأ، إذ إن تكرار تلك الكلمتين يفقدهما معناهما وسطوتهما في النفس، فينكسر حاجز المهابة والاحترام والإجلال، وتفقد كلتاهما المعنى المقصود والتأثير المراد.. اكتفي

بالنظرة الصارمة الحادة، فإن لم تؤدّ الغرض يمكن أن تتبعيها بتحذير قوي وصوت حاد يحمل كلمات بسيطة تفي بالغرض مثل: "وبعدين؟" أو "أنا قلت إيه؟"، واجعلي كلمتي "عيب" و"حرام" للأمور الكبرى فقط.

- الطفل العنيد لن ينصلح حاله بالضرب والصراخ، بل سيؤدي ذلك إلى كسر شخصيته للأبد، والصواب أن يتم ترويضه بشعرة معاوية، ما بين مكافأته إذا ما تخلّى عن عناده مرة، أو معاقبته بتجاهل طلباته مرة، مع اتّباع أقصى درجات ضبط النفس.

وبشكل عام فإن هناك 9 أخطاء قد تدمّر شخصية أي طفل، فأنصحك بتفاديها إذا صرتِ أُمّاً -إن شاء الله- وهي:

1- أن يبالغ الأب أو الأم في الاهتمام بطفلهما، فيحميانه من أي شيء مزعج أو مملّ، فيصبح ضعيفاً حين يكبر، ولا يقوى على تحمّل أي خبر سيئ، أو الصبر على أي أمر جلل.

2- أن ينخرط الأب أو الأم أكثر من اللازم في مشاكل طفلهما بدلاً من تركه يواجهها ويحلها بنفسه، فيشب ضعيف الشخصية.

3- أن يجد الطفل أن والده أو والدته يتكلمان بالنيابة عنه كثيراً أو دائماً، فلا يملك القدرة على التعبير عن نفسه، والحديث والتفاعل مع الآخرين.

4- أن يتوقّع الأب أو الأم أن يستجيب طفلهما مثل الكبار، ويعاقبانه على أساس أنه شخص كبير، دون أن يفهم سبب ضربه ومعاقبته، فيصبح مهزوزاً ضعيف الثقة بنفسه، جباناً، متوقعاً الضرب والعقاب من الآخرين طوال الوقت.

مكتبة عابث الإلكترونية

5- التركيز أكثر من اللازم على المهارات الأكاديمية أو الرياضية دون تشجيع المهارات المتعلقة بالعلاقات بين الأشخاص أو التعاطف مع الآخرين، فيتميز الطفل حين يكبر في التعليم أو الرياضة، لكنه يصير من جانب آخر إنساناً انطوائياً وغير اجتماعي.

6- مقارنة الطفل بغيره من الأولاد، وسؤاله: "لماذا لا تكون مثل فلان؟" يترتب عليه تربية إنسان حاقد وحاسد وشديد الغيرة ممن حوله.

7- هدم وانتقاد السُلطة أمام الطفل، سواء سُلطة الأب مثلاً أو المعلم، من شأنها كسر القدوة والمثل الأعلى في نفسية الطفل، فيتساوى الجميع في نظره، ولا يقيم للكبار احتراماً ولا وزناً.

8- أن يرتكب الأب أو الأم نفس الأخطاء التي يحذّران طفلهما من ارتكابها مثل الكذب والنفاق وعدم احترام القانون أو الإعلان عن كراهية البلد، فيشعر بالحيرة والتناقض، قبل أن تنهار القيم والمبادئ في نظره، ويوقن أنها مجرد عبارات جوفاء للاستخدام الشفهي فقط أمام الناس.

9- أن تخفي عن طفلك الصعوبات التي تواجهك: الأمر الذي يجعله يعتقد أن الأمور السيئة لا تحدث إلا له!

فاللهم احفظك لأطفالك الذين ستكونين لهم أُمّاً في المستقبل، ويحفظهم لك، وينبتهم نباتاً حسناً، ويكونون قرة عين لك، وذرية صالحة، وليتذكروا جدّهم وجدّتهم بالخير!

بابي.. إش

ابنتي المُرزقة!

كثيراً ما سمعت تلك المقولة الشهيرة "وش جديد برزق جديد"، أي أن كل مولود جديد يأتي برزقه، لكن من سمع ليس كمن رأى..

ربما احتجت لأهل العلم والذكر أن يفسروا لي معاني وأسرار أسماء الله الحسنى التي تنبئنا أكثر وأكثر عن خفايا الله، وصفاته، وخصائصه التي لم تدركها عقول البسطاء غير المفكرين ولا المتأملين في الملكوت، لكن اسم "الرزاق" رأيت معانيه وعاينت كراماته وفتوحاته في شخصك، ليس فقط في لحظة مَولِدِك فحسب، بل منذ لحظة إعلان حدوث الحمل فيكي، وتأكيد طبيبة التحليل أنكِ صرتي نطفة في بطن أُمك..

في نفس اليوم تلقيت خبر قبول أول عمل روائي لي مع دفع عربون مناسب كان بمثابة قُبلة حياة لبيت خالي الوفاض، ولا أعلم كيف سأدبر أمره في ظل انتظار مولود جديد، والطريف أنني كنت أفكر في أن أبيع جزءاً من ذهب والدتك لأطبع الكتاب على حسابي، فإذ به يُطبَع من على حساب دار النشر، وأنال أيضاً مبلغاً مناسباً من المال ليعينني على ظرف الحمل فيكي..

مكتبة عابث الإلكترونية

قبل مولدك تلقّيت هدايا كثيرة جداً باسمك، تمثلت في ملابسك وكل ما تحتاجين من أدوات وتجهيزات من أرقى المحلات، وأفخر الماركات العالمية رغم مرتبي الهزيل في مهنة الصحافة.

فور مولدك، فوجئت باتصال تليفوني من رئيس تحرير موقع "بص وطل" الإلكتروني، ليعرض عليّ أن أصبح رئيس قسم الفن بالموقع، وبمرتب مجزٍ ثابت مع وجود تأمينات ومعاش.

بعدها تلقيت عروضاً أخرى لإعداد برامج تليفزيونية وإذاعية بمبالغ مالية جيدة، ساعدتني على تلبية كل احتياجاتك، وتهيئة جو مناسب لتربية أميرتي الجميلة في حياة مرفهة أكثر مما حلمتُ وتمنيتُ لها..

وظلّ الله يرزقني برزقك في أحلك اللحظات الحرجة، دون أن يخذلني أمام نفسي أو أمامك أنتي وأمك حتى لا أبدو في مظهر العاجز، لتأتي الأرزاق والعطايا الإلهية في صورة معجزات صعبة التخيل على عقلي القاصر، بينما يحكم هذا الكون إله كريم رزاق، له خزائن لا تنفد خيراتها ونعمها حتى ولو منح كل مخلوقاته جميع مطالبهم وأجاب كل دعواتهم في وقت واحد، إلا بمثل ما تنتقص إبرة توضع في البحر فتخرج بنقطة ماء.

وبفضل هذا الإله الرزّاق، لم أخشَ يوماً أن تشير سبابتك نحو لعبة، أو فستان، أو حذاء في فاترينة محل، وأنا لا أملك أن أحضر لكِ ما وقعت عليه عيناكِ، لأنسحب بعيداً شاعراً بالخذلان والانكسار، بل كل ما كنتِ تطيلين النظر إليه كان لابد وأن تعودي به لبيت أبيكي الذي تربعتي على عرش قلبه، وملكتِ زمام أمره، فصار مسحوراً بكِ، ملبياً لأوامرك ولو بالنظراتِ، باللفتاتِ، بالصمت الرهيب!

لن أنسى أبداً ذلك يوم الذي كنت أسير بكِ مع والدتك في أحد شوارع وسط البلد بعد منتصف الليل، فإذا بكِ تمسكين فجأة بحذاء صغير، أصغر من مقاسك، ولن يفيد شراؤه لكِ بأي حال، لكنك أصررتي على التمسك به رغم كل محاولاتي أنا وأمك في تخليص الحذاء من يدكي التي ماتت أصابعها عليه، فإذا برجل سوداني ضخم الجثة، يرتدي جلباباً ناصع البياض، وتبدو على هيئته الرزانة والهيبة، يقترب منك ويراقب الموقف، ثم يُخرج مبلغاً من المال ويقسم بأغلظ الأيمان أن يمنحه لكِ..

- ليه بس حضرتك بتحلف؟ البنت مش ناقصها حاجة والله، ووفّر الفلوس لأي طفل غلبان.

- أنا أريد أن أعطيها هي بالذات.. عجبني إصرارها وتمسكها بهدفها حتى إنك إنت وأمها ما قدرتوا عليها!

ليضرب الناس في الشارع كفّاً بكف، وأحتضنك أكثر حين أفلتّي الحذاء وأمسكتي النقود بسعادة وأنتي تلوحين بها في وجهي قائلة بفرحة غامرة:

- بابي.. إشّ!!

لتتعلمي من صغرك كيف ترمزين للنقود بالقرش، حتى ولو كانت في يدكِ ورقة من فئة المائة جنيه، وأتعلم أنا منكِ كيف أن إصرار الإنسان على هدفه سيجعله يصل إلى ما يصبو إليه، حتى ولو كان هذا الإنسان مجرد طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها عاماً ونصف..

وعندما تكبرين ستعلمين أيضاً أن الرزق لا يتقيد بسبب أو علة، بل هو هبة إلهية تعرف مكان صاحبها وتسعى خلفه أكثر مما يعرف هو مكانها ويبحث عنها، وأنه لا حيلة في الرزق ولا شفاعة في الموت.

مكتبة عابث الإلكترونية

وستعلمين أيضاً أنه ليس كل الرزق نقوداً، وليست كل النقود رزقاً.
وأن الصحة رزق عزيز لا ندرك قيمته إلا حين يضيع منا بلا رجعة.
وأن الصحبة الطيبة الصالحة رزق لا نستشعره إلا في لحظات الوحدة أو الجراح والضرر من أصدقاء السوء، وأن الأفكار الجيدة رزق عظيم نستلذّ بروعته وجماله حين تتحوّل إلى واقع، وأن الذرية الصالحة رزق لا يدرك قيمته إلا من حُرِم من نعمة الإنجاب، أو ابتلاه القدر بأولاد جاحدين عاقين، وأن وجود الأب والأم على قيد الحياة رزق لا يتمناه إلا من ذاق مرار اليُتم.

فلا تحصري سعادتك في ذلك الـ"إشّ"، وتأمّلي نعم الله الكثيرة حولك، وستدركين حينها أن كل البشر مرزقون، لكن قليلهم يدرك أن الأرزاق مقسمة بمقادير، لكن الفقير حقا هو من ينظر لرزق غيره، ولا يحمد الله على الرزق الوفير الذي في يديه.

أنا وماما

لم أكفّ يوما منذ طفولتي عن الشغف بمحاولة استكشاف كيف تعرّف أبي على أمي.

من الذي ألقى الطّعم، ومن الذي ابتلعه؟!

من الصياد ومن الفريسة؟!

كيف قيلت كلمة "بحبك"، وكيف كان ردّ الفعل، وما هي الطريقة التي مهّدت للإعلان عنها؟

هل كانت العلاقة في النور منذ بدايتها؟ أم سبقتها "الخلبصة" و"العط"؟

وأين كانت الخروجات والفسح؟ هل في السينما حيث الأفلام الهندي والعربي؟ أم في حديقة الحيوانات والأسماك، حيث لم تظهر "كوستا" و"سلينترو" و"مول العرب" و"سيتي ستارز"؟

وهل كانت القعدة تحلى في "جروبي" أم "الأمريكين" أم "كازينو قصر النيل"؟

أكانت علاقة شريفة بريئة؟ أم تخللتها..... إحم!

لكن الأهم من كل ذلك، هو: لماذا كنت شغوفاً؟

كان وراء اهتمامي، هو استشراف المشاعر بينهما في الماضي، وما التغير والتعديل الذي طرأ عليها اليوم بعدما "كل شيءٍ انكشفن وبان"!

مكتبة عابث الإلكترونية

ما الأقنعة التي كان يرتديها كل منهما؟ ومن الذي نزع قناعه أولاً؟ ومتى خلع الطرف الثاني قناعه؟

من الذي استسلم للواقع؟ ومن الذي أصر على موقفه رغم الظروف والتحديات؟

من الذي ضحى؟ وكيف كانت التضحيات والنتائج التي ترتبت عليها؟

وبعدما لعبت دور الجاسوس المزدوج "ديفيد شارل سمحون" الشهير برأفت الهجان، وقمت بتجنيد جدتي، ووضعت الحاجة الساقعة لخالتي في كوب أصفر جعلها تُخرج كل ما بجعبتها، واستجوبت خالي، وأجلست عمتي على جهاز كشف الكذب، استطعت أن أرى الصورة كاملة بين أبي حبيبي وأمي الحبيبة بعد أن استحضرت مواقف لم أعشها، وذكريات لم يروها لي الطرفان.

وحتى لا أتركك يوماً تلعبين دور "سونيا جراهام" أو "إستر بولانسكي" لاستكشاف حقيقة ما كان بيني وبين أمك منذ لحظات التعارف وحتى حلول سيادتك وتشريفك لهذا العالم، فقد قررت أن أطبّق الحكمة القائلة "الحاجة اللي خايف تخسرها، اخسرها وبطّل تخاف"، وعلى رأي المثل: "قال ضربوا الأعور على عينه، قال ما هي خسرانة خسرانة"!

ها يا ستي.. عايزة تعرفي إيه؟

أي سؤال أنا تحت أمرك فيه، إلا السؤال الرخم اللي كل العيال بتحب تسأله مش عارف ليه: "هو إنت خلّفتني إزاي يا بابا"؟!

بحس إنه الأسهل أبص للأرض بحزن وآخد نفس طويل قبل ما أقول بحزن وتأثر: "لقيتك على باب جامع"، لكن بدل ما نقلب لجو فيلم "الخطايا"، وتعملي فيها عبدالحليم حافظ وتصرخي وتقولي: "إنت مش

أبويا، وإنتي مش أمي، وإنت مش حسن يوسف"! خليني أجاوبك بصراحة مضطراً..

عادي يا حبيبتي، حبيت ماما واتجوزنا فربنا نفخ فيكي الروح واتخلقتي في بطنها، رغم إني أشك إن الأيام المقبلة ستوفر على جيلك طرح مثل هذا السؤال!

على أيامي كانت النكتة الشهيرة: "هو إنتوا على أيامكم ما كانش فيه جنس يا بابا؟" وفي أيامك (اللهم تحفظنا) أتمنى ألا تصبح ممارسة اللي بالي بالك علناً في الشوارع، بحيث تخلي كل عيل فاهم كل حاجة.

عرفنا بعض ازاي؟

المعنى الحرفي لجملة "الحب من أول نظرة".. أمي وأبو أمك كان بينهم صلة قرابة.. ولاد خالة.. يعني عشان أسهلها عليكي، تخيلي إن إنتي وابن خالتك بيحي ابنك يحب بنته.. كانت والدتك إسكندرانية، وجدتها اللي هي خالة أمي توفت، فجاءنا الخبر، وكان لابد من الذهاب للإسكندرية لتقديم واجب العزاء، وهناك حصل اللي حصل!

أبوه ما تستغربيش.. عرفنا بعض في عزا.. مالناش في نفسنا حاجة، وسهم الحب لما بيطلع من كيوبيد بيكون ما عندهوش دم، ولا بيفرق معاه ميتم ولا عزا، ولا حتى دورة مياه!

تعارف بين 2 قرايب ما شافوش بعض قبل كده، تبادل أرقام تليفونات، Missed Calls.. رسايل.. مكالمات في أوقات مختلفة لحجج باين أوي إنها مكشوفة وما تدخلش دماغ عيل صغير.. بَجِبك (بكسر الباء).. بَجِبَك (بفتح الباء)..

كان ذلك يوم 23 أبريل سنة 2007 الساعة 2 بعد منتصف الليل..

وبدأت الرحلة..

مكتبة عابث الإلكترونية

بصي يا بنت الحلال.. أول حاجة لازم تعرفيها هي عيوبي.. أنا عصبي.

- وأنا كمان.

- وغيور.

- هاهاهاها وأنا كمان.

- واستحميت النهارده.

- وده من ضمن عيوبك؟

- لأ بس كنت عايزك تقولي وأنا كمان ☺

- هههههه طب والله وأنا كمان.

- ولسه ظروفي على قدها، أنا بابا مجرد موظف طلع تربانتينه عشان يربيني أنا وأخواتي ويخلينا نخلص كلياتنا وناخد شهادة محترمة، وهيديني حوالي 50 ألف من الفلوس اللي خدها ساعة ما خرج معاش مبكر.

- كتر ألف خيره، مستحيل موظف يعرف يعمل كده في الزمن ده.

- يعني نقرا الفاتحة؟

- لأ سيادتك الفاتحة دي تقراها مع بابا.

وهكذا جت رجل الزبون!

ماكانتش قصة الحب من بدايتها في النور..

والسبب؟

نعرف بعض الأول ونتأكد من مشاعرنا عشان إحنا قرايب وأي تسرع هيجيب زعل بين العيلتين..

أيوه، معترف -يا لمضة- إننا كنا بنستعبط، ولو فكرتي تقلدينا -وكنت عايش- هنفخك، ولو ما كنتش عايش برضه هنفخك وحياتك، ده لأنك هتلاقيني دايماً عايش معاكي، لو مش بوجودي المادي، فعلى الأقل

برة ي.. بالوصايا اللي سايبها معاكي، بصوتي اللي هتسمعيه في ضميرك، وبعدين مين قال لك إن كل حاجة فضلت زي ما في خيالنا؟!

ده إحنا شوفنا أيام سودة!!

أبو أمّك!

لأن إسكندرية مدينة صغيرة، وممكن الواحد يلفّها في ساعتين زمن، كان من المغامرة -وربما من الحماقة- إن أنا وأمك نتخيل إننا هنتقابل في السر في أماكن عامة من غير ما نخبط في حد نعرفه..

في غمرة الحب والمشاعر نسلم عقولنا، ونمضي لكيوبيد عقود إذعان على بياض.. تتلاقى نظرات العشق، وتتشابك الأيادي لتسري في العروق طاقات الحب والهيام، دون أن نتأمل الغد ونحسب عواقب الأمور، وكما قيل قديماً "الطريق إلى الجحيم مفروش بالنوايا الحسنة".

كان من الأجدر بنا أن نعلن كل شيء بوضوح، ونترك الأمور تسير في نصابها الصحيح..

كان من الأحق أن نأتي البيوت من أبوابها.. صحيح أن بعض الأهل يقعون في خطأ عدم مصاحبة الأبناء واحتوائهم.. صحيح أنهم قد لا يتفهمون حسن النوايا وصدق المشاعر، لكن الحب الحقيقي الطاهر قادر على فرض نفسه ما دام مبنياً على المصارحة، والمكاشفة، والتخطيط الجيد، والاستعداد للإجابة عن التساؤلات المنطقية.

وهكذا تعلمت أنا وأمك الدرس، لكن "محدش بيتعلم ببلاش"!

مكتبة عابث الإلكترونية

ثورة عارمة فاقت التوقعات حين فوجئ أهل والدتك بعلاقتها بي، خاصة أنه كان المخطط أن ترتبط بشخص آخر.

صدام بين عائلتين، وغضب هائل أعقبه قرارات غير محسوبة..

«انسوا الارتباط والموضوع منتهي!»

محاولات لتوضيح وجهات النظر وإثبات حسن النية، لكن الأمر فعلاً كان في عداد المستحيل..

لم نتخيّل أن الأمور ستصل إلى هذا الحد من العناد والتحدي والغضب الذي أوصد كل الأبواب، لكن هذا كان سبباً للسعادة والفرحة، وكيف لا وقد سنحت الفرصة لنخوض قصة حب ملتهبة ينسج الواقع والصعاب أحداثها الدرامية..

ربما كانت أشبه بفيلم عربي يرفض فيه الباشا أن تتزوّج الأميرة "إنجي" من "ابن عبدالواحد الجنايني". لكن أحياناً تكون الأفلام العربي القديمة أجمل من كل أفلام هوليود التي أعشق مشاهدتها.

الآن صرنا في اختبار لمدى تمسّك كل طرف بالآخر، بقدرة الطرفين على الصمود وفرض مشاعرهما على الجميع، بصدق كل طرف في وعوده ومواثيقه، في صحة تشبيهات العشق وأوصاف الوله.

لم أتصوّر يوماً أن مذاق العذاب سيكون ممتعاً لهذا الحد، كمتعة شخص عاشق للأكل بمذاق الفلفل الحار رغم عذابه الجهنمي!

إنها كلمات أغنية جديدة نكتبها ونعزفها بأوتار العشق والألم، ويقف خلفنا العشاق في كورال يردد مذهبها بلا ملل ولا سأم، وينضم لنا كل مطربي الكون ليصاحبوا قصة حبنا بأغنياتهم التي تلائم الموقف، وتعبّر عن المشاعر..

ادخلي على موقع Sound Cloud واكتبي "لو كان لي قلبان" وأطربي أذنيك بأداء بعضهم لكلمات الشاعر "قيس بن الملوح" وهو يتوجع قائلاً:

ولو كانَ لي قلبان عشت بواحدٍ
وأفردت قلباً في هواك يعذبُ
ولكنَّ لي قلباً تملّكَهُ الهَوى
فلا العَيشُ يحلو لَي ولا الموت يقربُ
كعصفورة في كفّ طفلٍ يهينها
أعاني عَذابَ المَوتِ والطِفلُ يلعبُ
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها
ولا الطيرُ مطلوقُ الجناحِ فيذهبُ

أو اقرئي أبيات الشعر ده للشاعر الجميل محمد إبراهيم وهو بيقول:

أنا وإنتى كُنا إيدين..
متعلقين في مفيش
بنعيش سوا فـ نتوه
ونموت فـ بعض نعيش
ولادنا مجوش صحيح لكن
بيترجونا نبقى لبعض
ويدعو فـ علم غيب الله
نكون أنا وانتى ليهم أهل
وده لإن الفراق مش سهل..
ومش واقع هنقبل بيه

مكتبة عابث الإلكترونية

وبيتنا اللى منعرفهوش
بيستنانا نسكن فيه

وبعدين؟

طالما سيادتك شرّفتي يبقى انتصرنا، مش هنستغبى بقى من أولها، ده لسه الكتاب طويل وعايزك مصححة بدل ما أسيبك وأختم الكتاب على كده!

من الفروق بيني وبينك في نقطة استكشاف ماضي الأهل، والكواليس الخفية إنك هتشوفي صور مالهاش حصر لوالدك ووالدتك سواء يوم الخطوبة أو الزفاف بجودة أعلى بكتير من صور فرح أبويا وأمي، اللي الألوان فيها كانت باهتة، والصور مشوهة بفعل السنين، في حين إن أنا وأمك صورنا كانت ديجيتال وهتفضل محافظة على جودتها على أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة المحفوظة فيها..

هتشوفي مقاطع فيديو كتير صوّرها المعازيم بكاميرا الموبايل.. ليصبح أمامك أكثر من مشهد وأكثر من زاوية لذلك اليوم التاريخي، وكل مشهد حسب مدى قرب صاحب المحمول من والدك أو والدتك، ليس قرب المسافات فحسب، بل قرب الصلة والعلاقة أيضاً.

ستشاهدين الألعاب النارية وهي تضيء السماء في مسيرة السيارات يوم الزفة بما يشبه موكباً ملكياً تنافس الجميع خلاله في التعبير عن فرحتهم وسعادتهم بكل جنون، وستلاحظين كيف تهتزّ الصورة أثناء الطريق بفعل تهور قائدي السيارات من عائلة الأب والأم بخلاف المعارف والأصدقاء.

ستسمعين صوت والدك وهو يمسك الميكروفون ليعلنها على الملأ بكل حب وفخر تجاه أمك والمأذون وكل الحضور: "وأنا قبلت الزواج على الصداق المسمى بيننا" قبل انطلاق عاصفة الزغاريد، وأغنية "مبروك" لرامي عياش.

لم تنجح كل محاولاتي الدءوبة في كشف ماضي أبي وأمي، وتجنيد الأهل في الوصول إلى تلك التفاصيل التي لم تكن هناك وسائل لتخليدها أبد الدهر، بينما أتيحت لك لترصدي وتتابعي كل شيء عني وعن والدتك العزيزة.

فلتملّي عينيكِ بلحظات سعادة لا حدّ لها في ليلة تحقيق الحلم، وتوثيق العهود التي سبقت مولدك وقدومك لهذا العالم، لتنيري حياتنا بنور إلهي، يذكرنا دوماً بأنك أجمل هدية تحمل توقيع الخالق ضمن أجمل وأعظم ما أهدانا على مدار العمر.

طب وبعد السنين دي كلها ندمتوا زي اللي ندموا قبلكم، ولّا لأ؟

أكيد ندمنا، واللي ما بيندمش كداب كبير إوعي تصدقيه، لكن الندم كان بيظهر في لحظات مؤقتة ممكن تكبر وتطول لساعات أو أيام، وتلك عادة البشر.

البني آدم مننا ممكن يندم إن ده أبوه أو دي أمه، ممكن يندم إنه اتولد أصلاً، وممكن يندم إنه قصّر في حق اللي خلقه وبعد عنه، فطبيعي في سلسلة الندم أن يندم لحظة على ارتباطه بمن أحب، لكنه سيندم على هذا الندم إذا كان صادقاً في مشاعره، ليتحول الندم على الندم إلى إثبات لصدق مشاعره، زي ما نفي النفي يُعتبر إثبات، وسينتصر الحب الحقيقي ويطغى على خلافات البشر ومصاعب الحياة.

مكتبة عابث الإلكترونية

ثم توثق تلك الأنشودة مخلوقة ملائكية تهبط من سماء الرحمن لتصبح بشراً سوياً يملأ حياة أبويه بالسعادة والفرح، ويعينهما على متاعب الحياة، ويكون رمانة الميزان التي تضبط مكيال الحب بين كفتين في كل منهما قلب عاشق.

وكنتي أنتي يا ملاكي صمام الأمان لبيت سعيد طالما أوشك على الانفجار.

لا تكتمي مشاعرك أو تخجلي من الإفصاح عنها، الحب ليس عيباً، وارتباطك ليس عورة يجب أن تتوارى في الظلام بعيداً عن الأعين، إذا دقّ قلبك بالغرام والوله وأنا حي أرزق، فسأكون معكِ أخاً وصديقاً، وليس عليكي وقتها إلا أن تصارحيني، ولقد أوصيت أمك بذلك، فإذا ما أخلفنا الوعد فاختبئي عنا ومارسي حقك الإنساني مع من أحببتي حتى تحين لحظة الإعلان عن هذا الحب، لكننا أبداً لن نُخلف الوعد، وسنكون سندك في مشاعرك البكر، ومستشاريك العاطفيين، وكمان كام صفحة هقول لك هنعمل إيه لما تكبري شوية ويبدأ قلبك يدق!

بابا وماما وحمايَ العزيز.. آسف

صدق من قال إن الحياة مدرسة، فقد كنت طالباً غبياً، يستحق بالفعل عدد مرات الرسوب التي وقع فيها، لكن الأمر المطمئن أنني لم أحصل على الفصل النهائي حتى الآن، لذا أتمنى أن أكون قد تعلمت الدرس، وأنال بمغفرتكم اليوم شهادة التأهل، ولتشهد ابنتي الحبيبة على سوء أدب أبيها، لعلها لا تقع فيما وقع فيه، فقد لا تكون محظوظة بنعمة الندم والتراجع في الوقت المناسب مثلما نالني الحظ اليوم.

أبي وأمي الغاليين..

أي كلمات تفي بفضيلة الاعتذار، وأنا أتذكر اليوم تمردي على أوامركما التي لم تكن إلا لمصلحتي، ونواهيكما التي لم تكن إلا حرصاً على سعادتي وخوفاً وخشية من لحظة حزن أو فشل قد أتجرعها إن لم أمتثل لنصائح وتعليمات من هم أكبر مني سناً وخبرة.

استمرأت التحدي، وظننت أن سنين عمري التي لم أجنيها إلا في كنفكما ورعايتكما قد أنضجت عقلي بما يكفي لأن أكفّ عن السمع والاستماع لأصواتكم الحنونة حتى وإن غلّفها الصراخ والعصبية..

بادلت صراخكما بالصراخ، وتحديت أوامركما ونواهيكما بالعصيان، رفضاً واعتراضاً على عقليتكما التي ظننت أنها تاهت في مجرى الزمن، ولم تعد قادرة على مواكبة العصر وفكر المجتمع، ونسيت وتناسيت

مكتبة عابث الإلكترونية

أن بداخلكما فطرة كفيلة بالخوف مما يستحق الخوف حقاً. حتى وإن بدت مخاوفكما لعقلي الجهول مجرد حذر مبالغ فيه. وخشية من سعادة لا تدركها عقليتكما القاصرة. لأنتبه وأتبين مع الوقت أنكما كنتما محقين حين تنغرس قدمي في الخطر وأصرخ فلا أجد معيناً لألمي وهلعي غيركما.

وعندما كبرت وتعقلت قليلاً بعد أن أعيتني التجارب وأثقلتني بعض الخبرات. سألت نفسي كيف لكما أن تغفرا ما بدر مني من سوء أدب. وزلات. وتحدٍّ. وعناد. وأنا نطفتكما التي لم تكبر إلا برعايتكما. ولم تتعلم إلا بفضلكما؟

لم تسعفني الدموع. ولن يكفيني الندم. رغم أنكما لا تتذكران سوى أني فلذة كبديكما. ولم يكفّ لسانكما يوماً عن الدعاء لي بأعظم وأجمل الدعوات التي لم أوفّق في حياتي قيد أنملة إلا بفضل إجابتها من الرحمن. دون أن يعلق بذاكرتكما كل ما بدر من ابنكما العاق.

أنظر إلى عناد طفلتي الجميلة وتحديها. وأراقب نفسي كيف يفور الدم في عروقي من نظراتها الشرسة وعدم انصياعها وامتثالها للأوامر أحياناً. رغم أنها ما زالت ملاكاً بريئاً ليس عليه حرج. فأسأل وأتساءل كيف صبرتما على شخص مثلي أرهقكما كل هذا الإرهاق. وهو الذي إذا سجد لكما على جمر من النار لن يوفيكما خردلة من حقكما وفضلكما عليه.

كل ما أرجوه منكما هو المغفرة. وأن تضيفا إلى دعواتكما الطيبة التي لا تتوقف. دعوة جديدة بأن يهدي الله طفلتي حين تنضج. فلا أعاني نفس معاناتكما. أو يلهمني الصحة والصبر مثلما صبرتما معي وقد نالكما الكثير والكثير. وأن تدرك أميرتي الصغيرة حين تنضج. ما

أدركته الآن من أفضالكما ونعمكما الكثيرة التي لا تكفيها الإشارة. ولن تسعفها العبارة.

حمايَ العزيز..

لا أدري بأي وجه أطلب منك المعذرة والصفح على ما كان مني حين أخذتني البجاحة والأنانية ذات يوم. وطلبت من ابنتك أن أكون الرجل الأول في حياتها. لتعلو محبتي وغلاوتي في قلبها كل ما سواي. حتى وإن كان أباها!

أخذتني العزة بالإثم والجهل. حين فعلت ذلك. دون أن أعي أو أفهم معنى كلمة (بابا) ثم دارت الأيام وصرت أحملها لأدرك معانيها التي لا تكفيها الكلمات والأوصاف..

ولأن الشيء بالشيء يذكر. ما كنت لأدرك دلالة وأفضال الأبوة إلا حين أجرّب مشاعر الأبوة..

حين أجرب كيف تكون التضحية من أجل فلذة كبدك سعادة. ويكون الحرمان فرحة. ويكون الألم فخراً. ويكون العرق والدم هدية بسيطة وواجبة يمنحها الأب لمن تحمل امتداد جيناته وتكوينه وماءه الذي خرج من صلبه. ثم يأتي شخص (ابن إمبارح) بدعوى المشاعر والحب الذي ما زال وليداً تجاه ابنتي. ليهيل التراب والجحود والنكران على سنوات طويلة من الشقاء والتعب والمحبة والرعاية والتضحية والبذل والعطاء من أجلها بكل بساطة. ويريد أن تكون له مكانة في قلبها أغلى من مكانتي!

يا له من ذنب لا يُغتفر. لكني ندمت عليه وتراجعت عنه. بحق ما أرفض وأكره أن يرتكبه عريس ابنتي يوماً ما نحوي. فهل غفرت يا حمايَ العزيز؟

مكتبة عابث الإلكترونية

هل رأيتي يا ابنتي الحبيبة كيف كان أبوكي ظالماً في حق أبيه وأمه وحماه؟

هل تعلمتي كيف يكون الندم؟

هل ستحرصين على ألا تمري بتلك المشاعر النادمة ذات يوم؟

أتمنى ذلك يا أميرتي الجميلة. فكم وقع غيري في نفس الخطايا، وقبل أن يفيء إلى رشده وصوابه رحل عنه أغلى الناس تاركين الندم والحسرة ما بقى من العمر حيث لا يفيد الندم.

قلة أدب!

من وأنا صغير، وأنا حيران متمزق بين آراء كتير في أفضل وأسلم رد فعل المفروض أعمله لما حد يشتمني ويقلّ أدبه عليا..

"حبيبي عامل الناس بأخلاقك مش بأخلاقهم.. لو رديت على كل واحد سايع قليل الأدب وعملت مقامك بمقامه هتبقى زيك زيه.. هو مش متربي لكن إنت متربي".

"لالالالا.. سيبك من الكلام المثالي ده، واجمد كده وانشف، وخد حقك بدراعك.. خش في الناس شمال بقلب جامد عشان الشعب ده ما يجيش غير بكده.. اللي يشتمك طلّع *#$%^&@ أمه.. لو قال لك كلمة رد عليه بعشرة.. حاكم فيه ناس ولاد *#$%^&@ ممكن يفتكروا سكوتك ضعف ويسوقوا فيها، ولازم ياخدوا بالجزمة عشان يتعدلوا".

"إممم.. بُص.. خليك ماسك العصاية من النص.. العادي بتاعك هادي ومحترم ومؤدب، لكن لو حد قلّ أدبه عليك إوعى تسكت له، وزي ما شتمك اشتمه، ولو ضربك اضربه".

تحبي أعترف لك اعتراف؟

ما كنتش بقدر أشتم أصلاً.. حتى لو حاولت، لساني ما كانش بيطاوعني.. كان اللي يشتمني بالأم أو الأب أقول له: "قول الشيطان" عشان يبقى كأنه شتم الشيطان وما غلطش في بابا وماما، وبكده أبقى حافظت على اسمهم وشرفهم من غير ما حد يلوث سيرتهم في غيابهم!

مكتبة عابث الإلكترونية

فيه اللي كان بيستغرب ويتنّح ويفضل مذبهل ومش مصدق ودانه، وفيه اللي كان بيقع من الضحك وبنده كل أصحابه عشان يحكي لهم على النكتة والإفيه، وفيه اللي كان بيتمادى فيها ويشتم بزيادة، وساعتها كان بيستغرب من رد فعل العيل الفرفور اللي فجأة بيتحول لوحش كاسر لدرجة إن عيال زي البغال كانت بتجري زي الفيران من كتر كمية الغضب والصوت الهادر والضرب الهستيري اللي كان بيطلع مني كطفل جريح لكرامة أهله وثائر لكبريائه إنه ما قدرش يحفظ هيبتهم في مجتمع سافل، ولا إنه قادر يشتم ويوسّخ لسانه.

ولما كبرت شوية ازدادت المعادلة صعوبة لما اتحولت الألفاظ القبيحة من شتيمة لمفردات أساسية في التعامل بين طلبة إعدادي وثانوي، واتحوّل سبّ الأم والأب والدين نفسه لبديل عن "صباح الخير، صباح النور" بين البعض!

أكيد مش هربيكي إنك تدخلي في خناقات مع السفلة عشان تضربيهم وتعلميهم الأدب زي ما كنت بعمل، وغالباً في قلب الخناقة كنت بشتمهم عشان أعرّفهم إن الشتيمة عيب! خصوصاً -إنك بنت- وخصوصا إن قلة الأدب بتتطور بشكل مذهل والله أعلم هتوصل لفين على أيامك، إذا كانت بنات اليوم بيشتموا عادي على "فيس بوك" و"تويتر"، لدرجة إن كلمة "فشخ" بقت عادية ومتعارف عليها! وبعض البنات بتهزر مع الشباب في شلّتهم بالشتايم القبيحة، وساعات بالأب والأم!

طب والعمل؟

ببساطة هربيكي إنك تكوني متربية لأقصى درجة كواحدة من الصحابيات الطاهرات، وهعلّمك إزاي تختاري صاحباتك من البنات

اللي شبهك في الأخلاق والتربية والأدب، عشان دي أهم خطوة في صنع عالمك المحترم بقواعدك وأخلاقك حتى تستغني بيه عن الغابة اللي حواليكي..

وفي نفس الوقت هديكي كورس مكثف في قلة الأدب والصياعة، اللي لازم تكوني عارفاهم كويس؛ لأن المؤدب الحقيقي هو اللي عارف يعني إيه قلة أدب عشان ياخد باله من تصرفاته ويتفهم صح، وفي نفس الوقت لو حد حب يصيع عليه يلاقيه فاهم وعارف، لأن الأدب والاحترام مش معناه السذاجة أو إننا نبقى محل سخرية الناس اللي عاملة نفسها صايعة.. لو ما دقتيش طعم المر عمرك ما هتقدّري قيمة الحلو، ولو ما عرفتيش يعني إيه قلة أدب، عمرك ما هتكوني مؤدبة!

ده غير إن قلة الأدب أمر نسبي أحياناً، وبيختلف من ثقافة لثقافة، ومن بلد لبلد، وأحياناً من محافظة لمحافظة داخل نفس البلد..

باعتبار إن أمك إسكندرانية أكيد ودنك هتسمع كتير كلمة (أحيه)، وده ممكن يخليكي تتعلمي تقوليها عادي في كلامك، وساعتها ممكن تلاقي العيون بتتسع من الدهشة، وكام بنت من صاحباتك فاتحة بقّها وكأنك عملتي مصيبة؛ لأن الكلمة دي بتتفهم من غير الإسكندرانية على إنها كلمة قبيحة خصوصاً إنها بتتشابه مع كلمة تانية بتُستخدم للاعتراض!

في المجتمعات العربية لاسيما الخليج، يقولون على المرأة كلمة (مَرَة) رغم إنها كلمة سوقية بالنسبة لنا في مصر، وفي لبنان يستخدمون كلمة (اللبوءة) بشكل عادي وطبيعي، لكنها إذا قيلت على امرأة أو بنت مصرية قد تسيل الدماء أنهاراً، وهكذا، عشان كده لازم تبقي عارفة

مكتبة عابث الإلكترونية

كل مجتمع بيفكر وبيتكلم إزاي: لأن أدبك ممكن يكون بالنسبة للآخرين قلة أدب!

بصراحة تربية البنت في مجتمع يتجه معظمه نحو الانحدار، لا يقل صعوبة عن دفع صخرة لأعلى في منحدر جبل يميل للأسفل بزاوية مخيفة، لكن الموضوع كله بالنسبة لي عبارة عن باكدج أو جرعة متكاملة لازم تاخديها كلها على بعضها وإلا بلاش منها!

تعليم أساسيات الدين الحنيف من الصغر.. التحلي بالأخلاق الكريمة وكأننا نعيش في عصر النبوة، وأن أنبياء الله ورسله يعيشون بيننا.. غرس بذور التعامل الراقي مع البشر بغض النظر عن مناصبهم وأعمارهم وأماكن سكنهم.. الابتسامة في وجه الناس، والبدء بكلمة "ممكن لو سمحت" قبل ما نطلب أي طلب، وختام الحديث بـ"ألف شكر".. التواجد في بيئة نظيفة من الصاحبات اللي بجد في الأخلاق والمعدن الأصيل، سواء زملائك في المدرسة اللي هكون حريص إنها تكون مدرسة شيك فيها مستويات كويسة وبنات أهالي محترمين، أو صاحبات النادي اللي هيتمرنوا معاكي باليه وسباحة، أو زميلاتك في كورس الفرنساوي اللي هخليكي تدرسيه إن شاء الله، لكن مش معنى كده احتقار باقي الطلبة والطالبات اللي في مدارس حكومية أو غير المتعلمين وغيرهم من اللي ربنا أعلم بأحوالهم وظروفهم، واللي ممكن يكونوا بالمناسبة أحسن عند ربنا -سبحانه وتعالى- مننا، ووارد جداً تلاقي ناس منهم أحسن من صاحباتك اللي معاكي في مدرستك الأجنبية، ومعيارك في الخروج من هذه المعادلة الصعبة هو معرفة الناس عن قرب، مع توخّي الحذر الشديد.

ولما تبدئي تتعلمي العصبية والخناق مع زميلاتك، هعلّمك إن الحياة مش حرب، ومش مستاهلة صراعات وخناقات وقيل وقال في جلسات سرية، وغيبة ونميمة في التليفون، وإنك طول ما انتي زاهدة في اللي في ايد الناس إنتي أغنى منهم، وإنه أحسن لك وأكرم لك تمنحي الهبات والعطايا بمحض اختيارك، فتكسبي محبة الناس واحترامهم، بدل ما يبقى يوم وتتخطف منك حاجة غصب عنك وتبكي عليها.. لكن مش معنى كده إنك مش هتصطدمي بحد.. حاكم فيه نوعية من البشر هتضايقهم جداً أخلاقك وطهارتك اللي هتفكّرهم بوساختهم وحقارة أصلهم.. حاكم فيه ناس عاملة زي الكبريت، بتفضل تحك تحك، وبرضه في النهاية بتموت محروقة!

عشان كده هيتلككوا.. هيفتعلوا أي مشكلة معاكي.. هيحاولوا يستفزوكي لحد ما تغلطي، وساعتها هينبسطوا أوي إنهم نجحوا يخلوكي زيهم، والحل السليم إنك تكوني راقية دايماً.. اللي يشتم وتصدر منه أقوال أو أفعال مشينة بكل بساطة تمحيه من حياتك كأنه ما اتخلقش وما تحطيش نفسك في أي موقف يجمعك بيه تاني أبداً.. لو اللي غلطت وأظهرت سوء أخلاقها زميلة في المدرسة يبقى ما تقبليش إنها تكون من شلة أصحابك.. ولو زميلة في الشغل يبقى العلاقة تبقى قاصرة على العمل وبس، والكلام يكون في أضيق الحدود.. ولو الغلط صدر من حد عزيز عليكي وإنتي عارفة إن حقيقته غير كده يبقى حقه عليكي النصيحة والعتاب والتسامح لو أبدى اعتذاره وأسفه، لكن لو كابر وأصر يبقى هي دي حقيقته وإنتي كنتي مخدوعة فيه، والحمد لله على المشاكل والمواقف اللي بتبيّن معادن الناس وحقيقتهم.

مكتبة عابث الإلكترونية

أما اللي يفتكر إن رقيك في التعفف عن الرد عليه ضعف، وبحرفه صمتك وتجاهلك ويصمم على الاحتكاك بيكي، فلازم ياخد وش غباوة تظهر فيه قوتك وضوافرك اللي بتتطول فجأة لحظة المواجهة اللي اتفرضت عليكي مش اللي إنتي سعيتي لها، وبرضه تعملي كده وإنتي ملتزمة بأخلاقك وتربيتك.. اللي معاه الحق إيده قوية، واللي بيتعدى حدوده بالغلط تجاهك أكيد فيه حد أقوى منه ممكن يردعه، وأخد الحق حرفة كما يقول المثل..

يعني لو التجاوز والوقاحة وقلة الأدب صدروا من زميلتك في المدرسة فأكيد مدير المدرسة والناظر والمدرسين هيجيبوا حقك طول ما إنتي معروف عنك تربيتك الراقية، وأخلاقك العالية، ومعروف إن شلتك من زبنة البنات الكويسة اللي هيشهدوا معاكي وقت اللزوم..

ولو اللي بيتعدى حدوده معاكي ولد فاكرك صيدة سهلة في الشارع يبقى ساعتها لازم ياخد درس وكل الشارع يتفرج عليه وهو بينضرب ويتهزق، ولو محدش من الواقفين اتدخل عشان يساندك اشتمي الشارع كله وقولي الشارع ده مفهوش نخوة ولا رجولة، وما تخافيش.. المتحرش اللي بيتطاول على بنت بيكون أجبن من الجُبن، ورد الفعل بيبقى عدوّة، وبمجرد ما حد يتدخل عشان يساندك باقي الناس كلها هتتدخل وتساعدك.

ولو اللي غلطت فيكي زميلة في الشغل، قدرت تحصّن نفسها بطرق غير شريفة جعلتها في مكانة متميزة عند المدير، وبعد ما اتبعتي الخطوات المحترمة في إنك تجيبي حقك وما عرفتيش، يبقى بناقص التواجد في مكان مديره وزميلتك بهذه الأخلاقيات، وصدّقيني ربنا هيعوّضك بحاجة أفضل.

ولو الدنيا ضاقت بيكي ما تكتميش دموعك.. لكن خليها عزيزة ومش سهل إنها تنزل على اللي يسوى واللي ما يسواش.. يعني يوم ما تبكي لازم يكون البكا ده هو الحل الأخير، واللي مش بيحصل غير كل فين وفين.. ساعتها بس هتكتشفي إن الدموع دي أفضل سلاح ربنا وضعه في إيدك عشان يكون ضعفك هو سر قوتك، وما تنسيش الحكمة اللي بتقول: "لو بكى الرجل خسر كل شيء، وإذا بكت المرأة ملكت كل شيء".

باختصار الناس هتشوفك بالصورة اللي إنتي شايفة نفسك بيها.. لو امنتي من جواكي إنك ملكة أرقى من صغاير وتفاهات الجواري هتبقي في عيون الناس ملكة بجد، وهتلاقي اللي بيتطوع بلعب دور الوصيفات والخدم والحرس، أما لو انزلقتي للقاع وإنتي فاكرة إن اللي قدامك واطي ولازم تبقي أوطى منه، فهتلاقي القاع مزحوم بمن هم أحقر منك شأناً وأسوأ خلقاً، ولا هتقدري تتعاملي معاهم بقلة أدبهم، ولا هتعرفي ترتقي تاني لمصاف الملكات، يعني لا هتحصّلي جنة ولا حتى نار، وهتفضلي كده في الأوفسايد!

مكتبة عابث الإلكترونية

Make up

أفضل لقب كنتي تستحقيه وإنتي صغيرة هو "عب راشق" بكل جدارة! فأنتي بلا فخر جاية في أي حاجة، بابا بياخد دوا تصممي تدوقي وناخدي زيه، طب بابا بياكل فلفل وهيلسعك يح، بضره ما ترتاحيش غير لما تدوقي حتة وتفضلي تصوصوي بعدها وتضربيني أأة عشان أنا السبب!

حتى اللبوس كنتي بتحاولي تقلدينا فيه، أنا ما شوفتش بجاحة وبرشطة بالشكل ده!!

ده غير طبعاً البرفان اللي لازم ترشي منه، والعصير اللي بتخطفيه مني.. يلّا المسامح كريم، لكن بجد أجمل لحظة فرحت فيها بتقليدك ليا أنا وأمك، وبرشطتك على حاجاتنا، لما صممتي تحطي مونيكير زي ماما، وكان عمرك ساعتها سنتين إلا شهرين..

كان لون المونيكير ساعتها أحمر قطيفة، وحوّل صوابعك البيضا الرقيقة لأصابع أنثوية مليئة بالسحر والجمال، لأشعر بكِ وقد قفزتي بالعمر سنوات وسنوات، وأرى فيكي بعين الخيال عروسة جميلة أشبه بحوريات الجنة في ليلة العمر..

يا الله.. أهذه الملكة الجميلة ابنتي؟ أهذا تأثير لمسات بسيطة من المونيكير أضفت عليها كل هذا السحر؟

مكتبة عابث الإلكترونية

ويبدو أنك شعرتي بانهياري. فأخذتي تلوحين بأصابعك أمام عيني بابتسامة خلابة اختتمتها بإمداد يدكي أمامي كـ Lady تنتظر من هذا الشاب الواقف أمامها أن يلثم يدها وهو ينحني إعجاباً وتقديراً. لأفعل ذلك بالفعل وأنا مبهور وأتساءل: أين ومتى تعلمتي هذا الإتيكيت والدلال الملكي؟ لأدرك حينها طبيعة المرأة التي تولد ملكة بالفطرة، فإما أن تجد من يقدرها ويزين رأسها بتاج مرصع بالتقدير والاحترام والحب، أو يلقيها حظها العاثر في يد غاشمة ترسف حول معصمها الأغلال والقيود كجارية.

من يومها، ولم أنتظر رخامتك وإصرارك على مقاسمة أمك في المكياج، بل كنت أكثر حرصاً منك على عمل الـ Make up بنفسي، ومراقبة ملامحك الملائكية الجميلة وهي تصير أكثر لمعاناً وبريقاً..

ليست العبرة بكثرة الروجاجو الأحمر على وجنتيكي الجميلتين، ولا وضع الإطار الأزرق من الأي لاينر حول عينيكي، ولا بلون الروج البنفسجي على شفتيكي، بل بذلك الجمال الكامن داخلك من تصالح مع النفس، وبساطة ووضوح لا يلوّن وجهك وملامحك بلون الأكاذيب.

كنتي جميلة لأنك جميلة من الداخل، وبريئة ورقيقة؛ لأنك لم تتلوثي بعدُ بأحقاد البشر وضغائنهم. فكانت لمسة بسيطة من المكياج كفيلة بمضاعفة جمالك أضعافاً مضاعفة. لذا فلتحرصي على أن تظلي حقيقية وغير مزيفة أو ملونة كالحرباء حسب طبيعة البيئة التي تتواجدين فيها، بل كوني أنتي أياً ما كان من حولك، وإذا تلوّنوا كالحرباوات المتلونة، فلتتميزي عنهم وعن بيئتهم بلونك الحقيقي المميز، فقد خُلق الـ Make up للجميلات أصلاً، ولن يغيّر من الأمر شيئاً مع القبيحات من دواخلهن.

زمان وأنا صغير

حبيبتي جوجو..

باباكي عيّان بمرض خطير لازم تاخدي فكرة عنه.. بس فيه أغنية عايزك تسمعيها وإحنا بندردش لو سمحتي.. بتحبي هشام عباس؟!

زمان وأنا صغير.. كنت بحلم أبقى كبير

تعب القلب واتحير.. م الدنيا وم المشاوير

شوفي بقى يا ستي.. المرض اللي أنا عيان بيه اسمه "نوستالجيا"، ومعناه الحب والحنين الشديد للماضي، يعني بعد ما الواحد يكبر يلاقي جواه حنين شديد لأيام زمان بحلوها ومرها، وبفضل يفتكر مواقف كتير وذكريات مرت بسرعة ومش راجعة تاني..

حتى المواقف الصعبة اللي بكى فيها، لما باباه كان بيضربه، أو الميس بتعبطه في الفصل، بيفتكرها بلهفة شديدة ويتمنى إنها ترجع بنفس تفاصيلها اللي وحشته حتى لو هينضرب تاني!

بيكون مشتاق إنه يشوف صحابه اللي اختفوا ومش عارف يوصل لهم، ويلعب في حوش المدرسة اللي ياما شاف فيه أيام جميلة وهو بيجري مع أصحابه في الفسحة في لعبة "استغماية" أو "قفاشة الملك". أو واقف بإزازة الحاجة الساقعة والبسكوت قدام الكانتين، ده غير الضرب على القفا في لعبة "ثبّت صنم"!

مكتبة عابث الإلكترونية

بيلاقي نفسه عايز يسلّم على كل العيال الرخمة اللي كان بيتخانق معاهم ساعتها، وبيكتشف إنهم واحشينه دلوقتي، ولو شافهم هياخدهم بالحضن، لكن للأسف الأيام والمواقف دي ما بترجعش، وكل اللي بيتبقى منها ذكريات بيشوفها في خياله وبس، من غير ما يقدر يلمسها أو حتى يشوفها بعنيه من بعيد لبعيد!

ساعتها بس بيفتكر أيام ما كان بيحلم إنه يبقى كبير..

الحلم، كان بريء.. مفروش بالورود

والقلب، كان جريء.. مليان بالوعود

ولما كبرت قلت يا ربت ما كنت حلمت ولا اتمنيت

قلت يا ربتني فضلت صغير زي زمان

كان نفسي أكبر عشان أسهر مع أصحابي لوقت متأخر من غير ما بابا وماما يخافوا عليا.. عشان أبطل أروح المدرسة كل يوم، والميس تضربني لما ما أعملش الواجب أو أنسى الكشكول وهي بتقول لي: "نسيت تاكل؟ نسيت تشرب؟ نسيت تخش الحمام؟ أومال نسيت الكشكول ليه؟!"..

عشان أشتغل ويبقى معايا فلوس أصرفها زي ما أنا عايز بدل ما بابا بيديني المصروف اللي بيذلّني بيه كل شوية، وساعات بيحرمني منه لما أغلط..

عشان أتعرف على بنت جميلة تحبني وأحبها ونروح مع بعض السينما، وأقلع الجاكت وقت المطر وأحطه على كتفها، وأخطف منها بوسة وإحنا ماشيين في الجنينة وأحسّ إن روحي بتتخطف مني وإني طاير في السما، أو أتكلم معاها في التليفون بالليل لما أكون مخنوق ومتضايق ومحتاج أفضفض لحد بيحبني وهيسمعني..

وكنت أتغاظ جداً من بابا وماما لما يسألوني: "عايز تكبر من دلوقتي ليه؟ بكرة تكبر وتندم على الأيام دي وتقول يا ربتني أرجع صغير تاني.. وإحنا في سنك كنا بنقول كده برضه ودلوقتي ندمانين".

حلمت زمان ببيت.. وبقلب يكون معايا

وم الأحلام صحيت.. على جرح ملوش نهاية

ودايرت، ودايرت.. الجرح في قلبي دايرت

ولقيت العمر يا دنيا قصير، قلت يا ربتني فضلت صغير

وفعلاً ندمت، زي ما أهلي ندموا، وزي ما كل واحد حلم زمان وهو صغير إنه يكبر بسرعة وندم لما كبر، واتمنى يرجع بالزمن تاني للخلف..

واكتشفت إن مرض "النوستالجيا" اللي عندي، تقريباً مصاب بيه كل سكان الكوكب، والسليم اللي مش مصاب بيه هو اللي حالته تُعتبر خطيرة وربنا يستر عليه!

حبيبتي جوجو.. إوعي تحاولي تسرّعي إيقاع الزمن عشان العمر يجري بيكي بسرعة وتكبري.. الزمن مش محتاج توصية أو تغيير في الـ Settings بتاعته، وبيجري زي الصاروخ

حد يحاول يكبر عشان مثلاً يكتب بالقلم الجاف بدل ما بيكتب بالقلم الرصاص؟

حد يتضايق من لبس المدرسة الجميل اللي كان بيثبت إننا لسه ملايكة مغمضة، ويستنى امتحانات آخر السنة عشان ييجي لابس لبس خروج، وغالباً يروّح بالتي شيرت مقطوع، أو البنطلون مخروم، ويترنّ في البيت علقة محترمة؟

مكتبة عابث الإلكترونية

فيها إيه لو فضلنا سُذّج على نياتنا، لدرجة إننا بنشاور للطيارة في السما عشان الطيار يعمل لنا باي باي؟!

فيها إيه لو فضلت أجمل طموحاتنا إننا نجيب جهاز أتاري، أو نروح دريم بارك، أو نشتري عروسة جديدة؟

كل الكلام في الكتاب ده كاتهولك عشان لما تكبري، إلا الكلام ده بالذات لازم تفهميه وتعملي بيه وإنتي صغيرة..

الحمل كل يوم بيتقل لحد ما الكتاف بتعجز إنها تشيله، والضهر بيتقسم أو ينحني، والصحة بتتدهور والمرض بيذلّ، والمسئوليات والالتزامات ما بتخلصش..

عيشي طفولتك واشبعي منها على قدّ ما تقدري، واشبعي من مدرستك ومن صحابك ومن كل حاجة حلوة أو حتى وحشة، قبل ما ييجي يوم تحكي فيه لولادك عن طفولتك زي ما أنا بحكي لك دلوقتي عن أول الحكاية من غير ما أعرف نهايتها، ويا خوفي من نهايتها!

على نضيف

في ليلة ما يعلم بيها إلا ربنا من ضمن الليالي اللي كنت لسه فيها تمام الـ 5 سنين، لقيت بابا نزل يشتري عيش فينو وبيقول لماما يلّا عشان تلحقي تعملي له الساندوتشات وتحضّري له الفطار، وإنت يا حبيبي خلاص مفيش سهر تاني عشان من بكرة هتروح المدرسة.

- مرّسة؟

- لأ اسمها مدرسة.

- ها؟

- مكان جميل هتروحه وتقابل فيه عيال شطورة وأمورة زيك، وتلعب معاهم وتتعلم ألف به، وإيه بي.

- بيَ بيَ!

- لا ده إنت باين عليك هتستعبط من أولها.. خش اتخمد عشان تصحى بدري تلبس مريلتك وتروح المدرسة.

طبعاً كنت فاهم اللي فيها وبستعبط.. الاستعباط حلو مفيش كلام.. ما هو مش معقول يجبروني أخش أنام بدري وهمّا سهرانين يتفرجوا على التليفزيون، واللي كان غايظني أكتر إن أختي الأصغر مني كانت لسه ما دخلتش المدرسة، وبالتالي معاها أوبشن إنها تسهر تتفرج براحتها من غير ما حد يراعي مشاعري.

مكتبة عابث الإلكترونية

وزي ما توقعت بالظبط، طلعت المدرسة دي شيء خنيق وفصيل من أول يوم.. يا دوب لسه واصل على الباب وتلاقي ماسورة عياط وصريخ انفجرت في وشك.. اللي متشعبط في هدوم أبوه ومكلبش في القميص مش عايز يدخل، واللي بيحاول يفلفص من المستر وعمال يرفّس يمين وشمال تقولش هينفخوه، ده غير اللي من كتر العياط مناخيره ساحت وإنتوا فاهمين الباقي بقى!

يا نهار إسود.. بقى هيّ دي العيال الشطورة الأمورة؟ اللي "بربالة"، واللي "مبربر"، واللي من أولها عايز ماما.. ما تجمد يالا يا خرع إنت وهوّ.. ثم أنظر حولي يميناً ويساراً: إهئ أهئ إهئ، طب أنا عايز بابا.. أعاااااااا

واللي زاد وغطى، لما فوجئت بالميس بتقول في الحصة: قولوا ورايا: "مدرستي جميلة نظيفة متطورة".

- قولي والمصحف؟

- إنت بتبرطم بتقول حاجة؟

- لأ أبداً.. زي الفل.. استمري!

ومن يومها وأنا ما بصدقش كلام بابا وماما، ولا المدرسين، ولا النصايح والإرشادات اللي كانت بتبقى مكتوبة في ضهر الكشاكيل والكراريس، من أول "مدرستي جميلة نظيفة متطورة" لحد حاجات تانية كتير اتكعبلت فيها في السكة.

الكذب حرام.. وبابا وماما بيكدبوا ويقولوا قول للي بيتصل بابا وماما مش موجودين.. والميس بتكدب وتقول الفصل مستواه وحش ومحتاج مجموعة تقوية مع إن شرحها في المجموعة زي شرحها في الفصل، لكن

اللي بيغلط في المجموعة أو ما يعرفش يسمّع جدول الضرب برضه بيفضل شاطر، ومش بتضربه.

من غشنا فليس منا.. وكل الأهالي اللي حواليا بيقولوا لولادهم لو لقيت فيه غش، غِش، بس اتأكد أحسن تكون بتغش غلط.. ونفس الأبلة بتاعة الغش حرام بتدخل تملّي العيال اللي بياخدوا عندها درس الإجابات في الامتحانات.

الفتنة أشد من القتل.. وأختي لما تفتن عليا محدش بيقول لها عيب وحرام، وبنضرب بسببها، وفي الفصل الميس بتوّقف الواد اللي بياخد عندها درس علينا عشان لما تسيب الفصل وتفضل ترغي مع المدرسين يكتب أسامي اللي بيتكلموا وترجع الميس تضربهم.

اتعلمت من صغري أكره الشرطة، لما العيال اللي تبع الكوتش بتاع الألعاب كانوا بيبقوا شرطة مدرسية، عشان يراقبونا في الطابور المدرسي ويطلّعونا في قلب الطابور ننضرب قدام المدرسة كلها ونتلطش كمان.

أطفال في سنّ الورود، اتملت أدمغتهم بأحقر العادات والسلوكيات المدمرة لأي مجتمع، وكأن المدرسة معمل لتفريخ المؤامرات، وتعليم الدسائس، والرشوة، والفساد على أصوله!

كل ده ولسه ما اتكلمتش عن المناهج التعليمية الفاشلة اللي كان المدرسين بيحشوا عقولنا بيها زي السفنجة، وبمجرد الخروج من لجنة الامتحان ننسى كل اللي اتعلمناه وما نستفيدش منه بأي شيء في حياتنا العامة، زي ما بالظبط السفنجة بتفرغ كل الميا اللي فيها بمجرد ما بتدوس عليها وترجع ناشفة وفاضية ومفيهاش أي حاجة.

مكتبة عابث الإلكترونية

في أمريكا وأوروبا والدول المتقدمة، لما الأهل بيحبوا يعاقبوا الطفل بيحرموه يروح المدرسة، وعندنا الأطفال بتقفز من على أسوار المدارس عشان كارهة المناهج وحشو العقول، وسوء معاملة المدرسين، وتكديس العشرات في الفصول وكأنهم في حظيرة بهائم، واللي ما بيعرفش ينط من على السور بيعمل نفسه عيان عشان يغيب، ومع الوقت بيتعلم إزاي يزوّغ ويصيع طول اليوم بره ويرجع بيته مع نهاية اليوم الدراسي.

أجيال كانت بريئة داخلة المدارس وهيَ في سن الزهور المتفتحة، فقطفوها قبل الأوان..

ولأن المدارس زمان في أمريكا وأوروبا كانت شبه مدارسنا حالياً، حصل عندهم نفس التناقض المؤسف اللي بنمر بيه دلوقتي، إن العيال الفاشلة في الدراسة طلعوا همّا اللي عباقرة وجهابزة، أما معظم المتفوقين الأوائل في التعليم الأساسي فشلوا في التعليم الجامعي، أو فشلوا في سوق العمل بعد التخرج!

توماس إديسون مخترع المصباح الكهربي، لم يتعلم في مدارس الدولة إلا ثلاثة أشهر فقط، فقد وجده ناظر المدرسة طفلاً بليداً متخلفاً عقلياً، فاخترع إديسون ألف اختراع!

ستيف جوبز مخترع إمبراطورية "آبل"، وواحد ممن أحدثوا ثورة وثروة في مجال التكنولوجيا وجعل شركة "آبل" الأعلى قيمة في أمريكا، لم يكمل دراسته، وكذلك بيل جيتس أحد أغنياء العالم، ومؤسس صناعة البرمجيات في العالم من خلال شركة "مايكروسوفت" الذي لم يكمل تعليمه هو الآخر.

وفي مصر أيضاً لدينا عباقرة وعظماء كانوا في عرف البيئة المصرية فشلة فصنعوا المجد ودخلوا التاريخ مثل العالم المصري الشهير أحمد زويل.

عشان كده لما تكبري يا جوجو وتدخلي المدرسة -إن شاء الله- مش هفضل أقول لك "ذاكري بدل ما تسقطي وتبقي فاشلة"، ولا هقول لك "لو سقطتي في المدرسة هتبقي صايعة وتلّمي زبالة" زي ما أهلي وكل الأهالي كانوا بيهينوا مهنة جامع القمامة ويسموه زبّال مع إن الزبال الحقيقي هو إحنا: لأننا اللي بنرمي الزبالة.

هعلمك إزاي تستفيدي من اللي بتدرسيه، ونشوف إيه تطبيقه في حياتنا.. هاخدك ونخرج ونتفسح وأعلمك من الواقع اللي حواليكي أحسن دروس وبشكل عملي، وبطريقة مبسطة ودمها خفيف، بدل ما التعليم كلمتين محفوظين في الكتب والكل بيحفظ وهو مش فاهم حاجة.

مش هطالبك تطلعي الأولى في نظام تعليم غبي؛ لأن الأول على مجموعة جهلاء هو أجهل واحد فيهم، ولا هخلي الامتحانات بالنسبة لك عبء نفسي تفضلي شايلة همه..

جهمّني إنك تكوني مثقفة ودماغك كبيرة وبتجيدي إتقان حاجة في حياتك، أكتر ما يهمني إنك تاخدي شهادة تتعلق ع الحيطة وإنتي مش مستفيدة من اللي درستيه بشيء.

لو الأستاذ أو الميس طلبوا منك تحفظي حاجة مش فاهماها، هخليكي تردي عليهم: "أنا مش بغبغان، ولو عايزين حد يبردد وخلاص فيه بغبغانات كتير بتتباع في السوق".

مكتبة عابث الإلكترونية

مش هسمح لمدرس أو مدرّسة يمدوا إيدهم عليكي أو يلمسوا شعرة واحدة منك، بس لو غلطتي في حقهم وشاغبتي في الفصل أنا اللي مش هسكت لك ساعتها؛ لأنك بتمثليني بره البيت، وبتمثلي تربيتي ليكي وتعي فيكي.. مفهوم؟

ولحد ما البلد تدرك إن حل مشاكل التعليم يبدأ من تثقيف المدرسين والارتقاء بأحوالهم، وتغيير المناهج البالية اللي بنحشي بها أدمغة الطلبة، هبني معاكي دماغك على نضيف وبطريقتي، بعيداً عن التعليم اللي بقى يخرب العقول بعد ما كان الشعار بيقول "العلم نور".

إخواتك في الوطن

أول مرة أعرف فيها الفرق بين مسلم ومسيحي، كانت وأنا في حضانة.. يومها ولد سألني: "إنت مسلم ولّا مسيحي؟" فتنّحت شوية مش عارف أقول إيه وبعدين قلت أضرب أي كلمة والسلام وقلت له: "مسيحي"!

ولما روحت البيت، وحكيت عن الموقف، بابا وماما فهّموني إني مسلم، وساعتها اكتشفت إني عمري ما حد فهّمني الفرق بين المسلم والمسيحي..

اتربيت إن فيه ربنا، وفيه ملايكة، وفيه نبي طيب جميل ربنا بعته عشان يعرفنا إزاي نعبده، لكن ما اتربيتش إن فيه دين تاني معانا في الوطن، وإن أبناءه همّا كمان بيحبوا ربنا وبيعبدوه بس بطريقة مختلفة عنا..

كانت مدرستي مدرسة خاصة كاثوليكية وفيها كنيسة.. اتعلّمت أسلّم على القسيس عادي وأقول له "يا أبونا"، وهو يطبطب عليا ويقول لي: "إزيك يا ابني".

وكنت ساكن في حي "الظاهر" اللي فيه كنائس كتير ومعظم ساكنيه من المسيحيين.. وفي الوقت نفسه كان لينا جيران سلفيين متشددين بيقولوا على المسيحيين نصارى، ومش بيكلموا سكان العمارة المسيحيين غير في أضيق الحدود، ومستحيل يقولوا لجار مسيحي "كل

مكتبة عابث الإلكترونية

سنة وإنت طيب" في أعياد المسيحيين. ولما مرة قلت قدامهم على القسيس "أبونا" قامت الدنيا وما قعدتش. ومن هنا بدأت الحكاية.

"أبونا ده إيه؟ إوعى تقول الكلمة دي تاني.. ده أبوهم همّا لوحدهم". وخد عندك جلسة وعظ وشحن ضد النصارى اللي بيقولوا على المسيح إنه ابن ربنا، وساعات يقولوا عليه ربنا ومش عارفين يرسوا على بر، ومش بيؤمنوا بسيدنا محمد وبيقولوا عليه كاذب ومش نبي، وإنه اخترع القرآن من دماغه!

يا نهار إسود.. معقولة المسيحيين وحشين كده؟

- طب وأصحابي المسيحيين الطيبين اللي بيحبوني وبيلعبوا معايا في المدرسة؟

- سيبك منهم وألعب مع أصحابك المسلمين.. أصحابك المسيحيين لو لقوك في يوم بتتخانق مع واحد مسيحي زيهم هيضربوك ويكسروا عضمك

لحد ما في مرة اتخانقت مع زميل مسيحي، وفعلاً باقي أصحابه المسيحيين ضربوني، بس الفكرة إنهم ضربوني عشان همّا أصحابه، مش عشان هو مسيحي زيهم، لكن دي كانت علامة فارقة خلّتني أصدق جيراني السلفيين، اللي بالمناسبة مرة ابنهم اتخانق مع ولد مسيحي، فأصحاب ابنهم المسلمين اتعاونوا معاه وضربوا الولد المسيحي، برضه عشان يجاملوا صاحبهم مش عشان يجاملوا ابن دينهم، لكن مين يفهم الفرق الكبير!

حتى الحمامة اللي مرة شوفتها طايرة فوق كنيسة وأنا ماشي مع ابن جيراننا في الشارع، فوجئت بيه بيقول دي حمامة كافرة بالله!

وفي المقابل.. كان فيه ميس مسيحية عندنا في المدرسة، وكان فيه لقديم على شقق بجوار المدرسة، وكان الحجز والتقديم تبع المدرسة، ولما قدّمت الميس وما أخدتش شقة في حين إن الأستاذ المسلم أخد قالت: بقى تدّوا المسلم وما تدونيش؟!

ده غير الميس المسيحية اللي كانت بتهتم بالطلبة المسيحيين أكتر وتفضّلهم على المسلمين، في الوقت اللي كان فيه ميس تانية اسمها "إيفون" كانت بتشرح لنا سورة "النمل" المقررة علينا في منهج اللغة العربية، وترفض أن نقوم بتسميع السورة وإحنا واقفين قائلة: "النشيد تسمّعوه وإنتوا واقفين، لكن كلام ربنا يتقال وإحنا قاعدين مربعين"، ده غير خشوعها وهي بتفهمنا حكمة ربنا اللي علّم سيدنا سليمان أقوى ملوك الأرض درس مستمد من نملة حذرت باقي النمل من إن جيش سليمان ممكن يحطمهم وهو مش حاسس بيهم، وإزاي سيدنا سليمان تبسم ضاحكاً من كلام النملة وقال: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}، بطريقة كانت بتخلي جسمي يقشعر وهي بتندمج في شرح الآية الكريمة!

- أنا حيران يا بابا ومش فاهم حاجة.. هما المسيحيين كويسين ولّا وحشين؟

- كل دين فيه الكويس والوحش.. وربنا اللي هيحاسبنا.. مالكش دعوة بدين غيرك ولا غيرك ليهم دعوة بدينك.

- بس جيرانا اللي جنبنا بيقولوا عليهم وحشين وخوّفوني منهم.

- ما تسمعش كلامهم.. دول متعصبين.

- عصبيين؟

مكتبة عابث الإلكترونية

- لأ متعصبين.. يعني من كتر حبهم لدينهم ساعات بيقولوا أفكار ربنا وسيدنا النبي ما قالوهاش.

- يعني همّا مش كفرة؟

- شوف يا حبيبي.. اللي بيحكم إذا كان الإنسان مؤمن أو كافر هو ربنا وحده.. إحنا مالناش دعوة.. الدين الإسلامي بيقول إن سيدنا عيسى أو سيدنا المسيح ما اتصلبش لكن بيؤمرنا نؤمن بيه ونحبه وما نفرقش بين نبي ونبي، وفي نفس الوقت بيقول إن اللي بيقول عليه ربنا يبقى كافر.. وهمّا كمان مش بيؤمنوا بسيدنا محمد عشان دينهم مختلف عن دينه، وممكن يكون دينهم بيعتبرنا إحنا كمان كفار عشان مش مؤمنين بإن المسيح هو الله.. يبقى كل دين هو اللي بيقول، مش إحنا اللي نقول.. لحد ما ييجي يوم القيامة وربنا ساعتها هيحكم بينّا، ويقول مين فينا الصح ومين الغلط.. مش إنت بتروح المدرسة وآخر السنة تمتحن؟ ولو نجحت بتروح السنة اللي بعدها؟ ربنا كمان خلقنا في امتحان كبير هيخلص لما نموت وساعتها هيصحّح ورقنا واللي هينجح هيدخل الجنة واللي هيسقط هيدخل النار.. هل عمرك إنت اللي صححت ورقة امتحان زميلك؟

- لأ.

- خلاص، يبقى برضه ما تصححش ورقة الامتحان اللي ربنا حاططها، وخليك في ورقتك، وبعدين الإنسان المسلم لو غلط وعصى ربنا وما سمعش كلامه وكلام النبي هيدخل النار، ومش معنى إنه مسلم إنه لازم ينجح.. فهمت؟

- طب ليه ربنا ما خلناش كلنا زي بعض بدل ما يعذبنا؟

- عشان هو خالقنا في اختبار.. لو كلنا بقينا زي بعض يبقى إزاي هيفرق بين الكويس والوحش؟ ينفع آخر السنة اللي ذاكر ينجح زي اللي ما ذاكرش؟

- نوتو.

- طب أديك جاوبت على نفسك.

- طيب ليه فيه مسيحيين متصاحبين على بعض وبيحبوا بعض لكن مش بيحبوا المسلمين؟

- زي ما فيه مسلمين متصاحبين على بعض ومش بيحبوا المسيحيين.. هو ده التعصب اللي قلت لك عليه من شوية.. كل دين هتلاقي فيه ناس بتحبه بشكل غلط يخليهم يكرهوا باقي الأديان التانية.. لا يرضوا يصاحبوهم ولا يشغّلوهم ولا حتى يسكّنوهم معاهم في نفس العمارة، ربنا لو كان عايز يخلقنا كلنا مسلمين أو مسيحيين كان سهل يعمل كده، لكن الاختلاف ده جزء من الامتحان.. وفي كل دين ربنا بيقول "اعبدوني" لكن ما قالش أكرهوا بعض.. إحنا اللي اخترعنا الكره من دماغنا، وحاولنا نثبت ولاءنا لربنا أكتر بإننا نكره اللي مش من ديننا، مع إننا ممكن نثبت إيماننا وولاءنا لربنا بإننا نعبده أكتر ونصوم ونصلي ونلتزم بأوامره، لكن يظهر إن كراهية التانيين وضربهم وشتيمتهم أسهل، فكله بيدور على عركة تخلص ونضمن بعدها إن ربنا راضي عننا بدل ما لسه هنتعب نفسنا ونتوضى ونصلي الخمس فروض كل يوم، ويكون عندنا أمانة في المعاملة، ونحترم بعض، ونرحم بعض، وما نكدبش على بعض، ونشتغل بضمير، ونفضّل مصلحة الناس الغلابة على مصلحتنا عشان هما محتاجين أكتر مننا.. شوفت ليه بقى كل الناس بتستسهل وتكره بتوع الدين التاني وتربح دماغها؟

مكتبة عابث الإلكترونية

المشكلة بقى لما حد كويس يقابل واحد متعصب من دين تاني بيفتكر إن كل أصحاب الدين التاني وحشين، فيبدأ يتحول لمتعصب ويغير رأيه ويعلم ولاده إنهم يكرهوا الدين التاني وكل اللي بيؤمنوا بيه، مع إن الأديان مالهاش ذنب، لكن الذنب ذنبنا.

كنت محظوظاً بسماع هذا الكلام في لحظة أوشكت فيها على كراهية المسيحيين من كل قلبي، لكن الكلمات العاقلة الهادئة الذكية أنقذتني وأقنعتني، في الوقت الذي كان فيه أهل بعض زملائي يقولون لهم ما يملأ الأدمغة والقلوب بالكراهية، سواء كراهية المسلم للمسيحي، أو كراهية المسيحي للمسلم.

كنت محظوظاً أيضاً أني وُلدت في بيئة توافقية، ما بين مسيحيين كاثوليك، ومسيحيين أرثوذوكس، وسلفيين، ومسلمين لا ينتمون إلى أي جماعة دينية، وولائهم إلى "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بمعناها الصافي النقي المعتدل، بعيداً عن أحاديث مكذوبة مثل "رزقي تحت رمحي" و"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى"، وغيرها من الأحاديث التي حرّفها وزيفها إما أعداء الدين ليلصقوا بالنبي ما ليس فيه، أو مسلمون طغاة كانوا يفعلون ذلك فحاولوا أن يضفوا على أفعالهم صفة القداسة ويبرروا الأمر بأنها تعاليم الرسول، بينما يقول الله سبحانه وتعالى:

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حتى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}.. [يونس:99]

{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}.. [الكهف:29]

{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}.. [الكافرون:6]

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا}.. [الرعد:31]

{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}.. [القصص:56]

إياك يا ابنتي الحبيبة أن تمزحي مع أصدقائك المسيحيين وتقولي لهم ذات يوم "يلّا يا كفاتسة" تحتى وإن كانوا سيقبلون منك هذا المزاح.

إياك أن تمنعي نفسك عن تهنئتهم بأعيادهم، والإخلاص لهم في الصداقة والقول والعمل، أو تقيمي صداقتك ذات يوم على أساس عقائدي، وتنسي الروابط والصلة الإنسانية الأسمى بين البشر، أو تغفلي عن أن في القرآن سورة كاملة اسمها "مريم"، بخلاف وصايا الرسول عليه الصلاة والسلام بأقباط مصر بشكل خاص، وأهل الكتاب من المسيحيين واليهود بشكل عام.

إياكي أن تقيمي علاقتك بالبشر على أساس معتقداتهم الدينية حتى وإن كانوا يؤمنون بأديان غير سماوية مثل البهائية والمجوسية، أو كانوا ملحدين لا يؤمنون بوجود إله من أصله، واتركي لله وحده مهمة محاسبة البشر والحكم على إيمانهم ومعتقداتهم، واتركي لنفسك فقط تقييم أخلاقياتهم وسلوكياتهم ومعاملاتهم، ليس من باب محاسبتهم والحكم على مصيرهم الأبدي، ولكن من باب الفرز والفلترة وتحديد من هو جدير بصداقتك أو زمالتك من عدمه، بمعنى أنك تقيّمينهم عشان تعرفي مين ينفع صاحب، أو زميل في الدراسة والعمل، أو يكون فيه مساحة لإلقاء السلام والمعرفة السطحية، أو ما ينفعش حتى إنك تسلمي عليه ولو من بعيد لبعيد، لكن اللي بين البشر وربنا مالناش دخل بيه.

مكتبة عابث الإلكترونية

ولو ضايقك كلام تسلل إليكي من بعض المخالفين لنا في الدين من خلف الجدران المغلقة، وسمعتي حد بيغلط في دينك أو رسولك، إوعي تقعي في نفس الغلطة وتغلطي في دينه، بل بالعكس، ارجعي لدينك الموجود في القرآن الكريم، وسيرة النبي الأمين، واقرئي في دينك العظيم أكتر، وافهميه أكتر، حتى تطمئنّ نفسك، ويبقى عندك الرد المنطقي المبني على الفقه والعلم فلا تشعري بالحيرة أو الحزن أو الغضب بعدما يطمئن عقلك وينشرح قلبك، وأثبتي عظمة دينك بأخلاقك ومعاملاتك، فتصبحي بشكل عملي وفعال خير سفير لهذا الدين، وتحققي له الدعاية العملية والفعالة بدلاً من الكلام الجميل الحلو اللي بنقوله للآخرين حتى يعرفوا ديننا ثم نهدمه تماماً مع أول فعل مخالف لكل كلمة قلناها!

في كل دين ومعتقد -يا عزيزتي- هناك جدران مغلقة بناها المتعصبون ليقفوا خلفها ويفرزوا أفكارهم المسمومة فيمن حولهم في الخفاء، ليملأوا القلوب بالغل والسواد والصديد، ويلوثوا العقول بالجهل والظلام والتشدد، وحين يشعروا بعزوتهم وزيادة عددهم، يتجرأون ويخرجون من خلف الجدران المغلقة ليجاهروا بجهلهم وتعصبهم، عبر الميكروفونات، أو الفضائيات، وكلامي ليس على المتعصبين الجهلاء المسلمين والمسيحيين فحسب، بل على كل أصحاب معتقد ديني أو لا ديني.

فلا تحكمي على دين من خلال جهلائه ومتعصبيه، ولا تعممي حكمك على كل أبناء الدين بذنب جهلائه وأغبيائه، بل اجعلي كل إنسان حالة منفردة بذاتها.

أتمنى يا ابنتي أن تكوني قد فهمتي ووعيتي الدرس مثلما فهمته مبكراً، ليظل المسلمون إخوانك في الدين، والمسيحيون إخوانك في الوطن، وأي إنسان بشكل عام أخوكي في الإنسانية: إذ كلنا ننتمي في النهاية لنفس الأب والأم، آدم وحواء، والله وحده من سيحاسبنا ويفصل بيننا يوم القيامة.

مكتبة عابث الإلكترونية

أوتا هيه.. هيه هيه!

من أجمل اللحظات اللي حسيت فيها إن الأمل في ربنا كبير، وإنه ميرعاكي وهيخليكي إنسانة صالحة وسوية إن شاء الله، كانت لما شوفتي قطة صغيرة وعمرك أقل من سنة، فشاورتي عليها بسعادة وفضلتي تصرخي: "أوتا هيه.. هيه هيه هيه"! وساعتها لاحظت إنك بدأتي تتعرفي على أشكال وأسماء الحيوانات أسرع من البشر.. وبدل ما كنتي تخافي منهم زي كتير من الأطفال، كنتي بتحبي تقربي منهم وتطبطبي عليهم، حتى لو كان الحيوان ده كلب ضخم أبوكي يخاف إنه يبص عليه من على مسافة 100 متر.

وده كان أكبر دليل على رحمة ربنا اللي غرسها في قلبك..

تعرفي إن في الأفلام الأجنبية لما يحب صناع الفيلم يعرفوا المتفرج من بداية الفيلم إن الشخص ده شرير، ساعات بيجيبوه بيضرب الحيوانات ويعذبها، وفعلاً بنكتشف آخر العمل إنه مش سوي، سواء شرير أو مختلّ عقلياً!

وإن من ثقافة تربية الطفل في الدول المتقدمة، إنه يتربّى مع حيوان سواء قطة أو كلب؛ لأن ده بيخليه يطلّع نفسيته سوية وسليمة، وبتغرس فيه المسئولية والاعتناء بالأرواح وبتنزع من قلبه الأنانية والقسوة، وبتعلّمه حب الخير للغير.

مكتبة عابث الإلكترونية

عشان كده قررت أجيب لك قطة لما تكبري شوية، ومش بس هعلمك تكوني طيبة معاها، لكن كمان حتى الحيوانات في الشوارع أو العصافير اللي في الجو لازم يكون لها نصيب من رحمتنا.

سيبك من كلام الناس اللي بتستخسر الأكل في قطة جعانة أو كلب عطشان، وحجتهم في الكلام: "نروح نوكّل نفسنا الأول"؛ لأن الأكيد إن الفتفوتة اللي هترميها لحيوان جعان بالذات في حر الصيف مش هتفرق معاكي، ده غير إن معظم الأكل بيتبقى منه بواقي بترمي في الزبالة.

وطبعاً لو هنستشهد بسماحة الإسلام وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام هنلاقي عشرات الأحاديث اللي عايزة لها كتاب لوحده، لكن هنكتفي بالآية الكريمة: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأنعام: 38].

وحديث الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: "الراحمون يرحمهم الرَّحمن"، وحديث آخر قال فيه: "مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ".

ده غير إن العلماء أقرّوا بحرمة تجويع الحيوان وتعريضه للهزال والضعف، والتلهي به في الصيد، وطول المكوث على ظهره، وتحميله أكثر من طاقته، إلى رحمته قبل ذبحه إن كان مما يؤكل.

طب تعرفي إن ستّ دخلت النار بسبب قطة، لما حبستها في غرفة ومنعت عنها الأكل لحد ما ماتت!

وتعرفي إن راجل دخل الجنة بسبب كلب، لما شافه عطشان ومش عارف يشرب من البحر، فخلع حذاءه وملاه مَية عشان الكلب يشرب؟

طبعاً مش مقصود بالكلام إنك تعطفي على الحيوان وتنسي الإنسان، لكن حاولي تخلي للحيوان نصيب من رحمتك باعتباره هو كمان روح.

دايماً بصّي حواليكي وشوف حيوان تعطفي عليه.. العصفور اللي طاير في السما، ممكن تحطي على الشباك أو في البلكونة طبق فيه حبوب قمح وحلبة عشان ياكل منها، وكوباية صغيرة فيها مية عشان يشرب.. القطط اللي بتبات على السلم، ممكن تحطي طبق صغير فيه بواقي الأكل اللي كده كده هترميه، أو شوية لبن صغيرين تشرب منه.

وساعتها، أنا واثق إنك هتكوني إنسانة عظيمة مع البشر؛ لأن اللي بعطف على الحيوانات أكيد هيكون للبني آدم نصيب للرحمة في قلبه.. ربنا يحميكي، ويخليكي للمستضعفين.

مكتبة عابث الإلكترونية

تيك أواي

مع بداية نضجي ودخولي في مرحلة الصبا، طالما تبرّمت من إصرار أمي وأبي على أن آكل الطبيخ الذي تتقبله معدتي، ولم ترتخ إليه نفسي.

اغتال كانتين المدرسة حبي للرز والخضار، بعد أن جرّبت الهامبورجر الساخن بالبيض والجبنة، وتذوّقت الهوت دوج بالكاتشب والمايونيز، وذبت عشقاً في البيتزا لاسيما بعد إعلان (كل ما تشتري واحدة بيتزا تاخد واحدة مجانا)، وباتت الحاجة الساقعة شريك أساسي في كل وجبة، حتى أدمنت زغزغة الصودا في الزور!

صرت أنا وأقراني من الشباب مجاذيب في دنيا التيك أواي، ودراويش في عشق كل ما هو ساخن وسريع ويسبح في الصوصات المتنوعة التي لا طعم للأكل بدونها..

ما زالت صرخات أمي وأبي تتردد في إذني وهما يمتعضان من هجري للطعام المليء بالفوائد، والذي يمري على الجسم ويمده بالصحة والبناء السليم الذي احتاجه في سني، وأتشاجر معهما حين يأخذان مني ساندوتش تيك أواي ويقلبانه في أيديهم بامتعاض قائلين بلهجة تثير الغثيان: "إيه القرف اللي إنت بتاكله ده" قبل أن يقضم أحدهما منه قطعة ثم يبصقها بقرف لاعنا ذوقي (اللي يقرف) في الأكل!

ومع الوقت استسلم كلاهما ومعهما معظم الأهالي وأولياء الأمور لموجة العصر التي كانت أعتى من الصمود أمامها أو مقاومتها، ليصبح الهوت

مكتبة عابث الإلكترونية

دوج والسوسيس والبرجر والبيتزا وساندوتشات الفراخ التشيكن رول وتشيكن كييف والبيتزا وغيرها من مفردات الغداء أو العشاء، ليصحبني أهلي بأنفسهم في الخروجات إلى محلات (السم الهاري) حسب وصفهم القديم، كنوع من الفسحة والخروجة (عشان تتبسط) حسب العصر الجديد!

لكن الكارثة اللي تأكدت منها مؤخراً، أنه لا الخضار وأكل زمان عاد صحياً، ولا أكل التيك أواي، لنحيا فقط بستر ربنا وبركاته، رغم أننا من المفترض أن نكون في عداد الأموات، وخدي عندك خلاصة كواليس صناعة الأكل في مصر، اللي كشفها على الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ناس عرفت السر.

- أنواع الهامبورجر المنتشرة في السوق (عدا نوعين تلاتة) عبارة عن كوكتيل من البهارات ومادة جيلاتينية بتبقى مبطنة لجلد الحيوانات بعد الذبح، وبيتباع الطن منها في المذبح بـ 250 جنيه تقريباً، ويستخدم الطن منها بعد الغلي في قدور كبيرة مقززة في مناطق لا آدمية يتم تقليبها بواسطة عصاية شبه المجداف، لتدخل في نحو 500 عبوة (زنة 1 كيلو برجر) وبباع الكيلو بـ 10 جنيه حتى تستخدمه محلات الساندوتشات لتبيعه بسعر معقول وخلي الفقير يلبس، قصدي ياكل!

- الحلاوة الطحينية اللي في المحلات.. عليها أكسيد تيتانيوم عشان تاخد اللون بتاعها، وبعضها مفهوش ريحة السمسم أصلاً.. ده غير إن عليها دقيق وفورمالين عشان تمسك نفسها.. أصل السمسم بقى غالي والزبون عاوز الأرخص مش الأنضف!

- سمك المزارع السمكية.. يتغذى على مخلفات عمليات الذبح عشان يكبر بسرعة.

- فراخ المزارع.. حتى يتحول الكتكوت اللي عمره يوم إلى فرخة كاملة وزنها كيلو علي الأقل إلى كيلو و200 جرام خلال 19 يوماً فقط، بيتم حقنه بهرمونات في الأكل ومياه الشرب، وأحياناً حبوب أو حقن منع الحمل علماً بأن الفرخة الطبيعية عاوزة 4 شهور عشان تقرب من الحجم ده.

- محلات الحلويات اللي بتبيع الحلويات الشرقية وبتقول إنها مصنوعة من السمنة البلدي.. ولا بلدي ولا نيلة في معظم المحلات.. وبتكون معمولة بسمنة صناعي وعليها مكسبات طعم.

- الجبنة الرومي القديمة.. مش قديمة ولا نيلة برضه.. هما يعني هيعتّقوها ويركنوها في المخزن 6 شهور عشان حضرتك تستمتعي؟! بيضيفوا هيدروكلوريد أسيد تركيز 30%.. 10 لتر لكل طن جبنة، وتتكتم في قبو قديم 24 ساعة وتطلع قديمة وطالع عين أمها كمان.

- اللانشون والبسطرمة.. اللي المفروض مكتوب عليهم لحم بقري خالص حلال.. مفهاش ريحة اللحمة أصلاً.. ده سقط حيوانات مفروم مع بهارات وتوابل وجيلاتين وعضم فراخ.

- ده غير طبعا الخضار اللي بقى يتزرع ويتسقي بمياه المجاري المليئة بالكوارث البيئية، واللي بتتسبب في أمراض خطيرة.

- حتى عصير المانجو اللي في محلات العصير، 70% منه ليس له أي علاقة بالمانجو أصلاً.. ده قرع عسلي هتلاقيه تخين وملزق.

طب والحل.. ناكل إيه؟

شوفي يا ستي.. الله أعلم بأيامك هتكون إيه الموضة في الأكل أصلاً، لكن بالنسبة للأيام دي، مفيش قدامنا غير 3 حلول: الحل الأول، إننا نشتري لحم وخضار أورجانيك..

مكتبة عابث الإلكترونية

يعني إيه؟

يعني البهيمة متربية على الغالي في مزارع نضيفة وبتاكل أكل صحي تماماً، والخضار خالي من الكيماويات تماماً ومزروع بدون استخدام أي مواد ضارة ممكن تزود المحصول، وده طبعاً مكلف جداً، عشان كده كيلو اللحمة الأورجانيك بيتباع بـ 500 جنيه، وكيلو الجبنة بـ 250 جنيه، والخضار ممكن يوصل لـ 80 جنيه الكيلو.

*#@$%^^^

عيب يا بنت.. بلاش تقلدي القراء الوحشين اللي بيشتموا دلوقتي. أنا بس قلت أعرّفك من باب العلم بالشيء، وما طلبتش منك ولا من أي حد إنه يدفع تحويشة عمره في كيلو لحمة أستغفر الله العظيم أورجانيك!

طب والحل التاني؟

الحل التاني إن الواحد يكون نباتي، ويحاول يستنضف الخضار اللي بياكله، ويخليه في الأكل التقليدي بتاع ستي وستك.

أما الحل التالت بقى، فإنه يسمي بالله ويقول يا باسط، وهو وحظه بقى، يا يعيش سليم، يا ييجي عليه الدور في مرض زي اللي جالهم قبل منه، وكل واحد وقدره المقدر ليه!

ورقة وقلم

تعرفي إنا بابا بيشتغل كاتب، وإن أحلامه، ومشاعره، وأفكاره، بتنزل في كتب ممكن تأثر في الناس، لدرجة ممكن تخلي الشخص المكتئب يضحك، والشخص الحزين يفرح، واللي حاسس بالوحدة والتعاسة يلاقي صاحب ليه من الورق فيطمئن قلبه، ده غير إن ممكن حد يكون بيدوّر على الحزن وعايز يعيط فنقعد نعيط أنا وهو على قصة أو موقف بكتبه من أعمق مشاعري، واستنزفه من طاقتي وأعصابي، فأبكي وأنا بكتب، ويبكي وهو بيقرأ!

تعرفي إن ممكن يكون حد بيغلط وبيرتكب في حق نفسه وحق الناس حواليه خطأ فادح، وحياته كلها تتغير بسبب كتاب؟!

أو إن ممكن يكون حد تايه وضلّ الطريق، ويعرف من الكتاب السكة السليمة اللي المفروض يمشي فيها؟

عشان كده كان أول أمر إلهي في الدين الإسلامي "اقرأ".

بس مش معنى كده إن الكاتب دايماً إنسان عظيم وراقي!

خليني أصدمك وأعترف لك إني في بداية ظهوري بعالم الكتابة، كنت أبحث عن مجد شخصي وحاجة أتباهى بها قصاد المعارف والأهل والأصدقاء!

وخليني أصدمك أكتر وأقول لك إني كنت بسأل كام نسخة اتباعت في حفلات التوقيع عشان أعرف الحفلات دي بتجيب همها ولّا لأ!!

مكتبة عابث الإلكترونية

أنا مش نبي ولا ملاك، وفي النهاية الكاتب مجرد إنسان زيه زيك مش من درجة تانية أرقى من البشر لا سمح الله..

خصوصاً لو كان الكاتب ده شاب عنده احتياجات مادية، والتزامات فوق طاقته..

ده غير إنه ممكن يكون لسه في بداية جوازه ومراته حامل ومنتظر بيبي -اللي هو حضرتك- لازم يوفّر له هدوم اكتشف إنها بالشيء الفلاني، ومتابعة عند الدكتور وأشعة سونار وأدوية وفيتامينات عايزة ميزانية ممكن توصل لألف جنيه في الشهر، وهو أصلاً قاعد في قانون جديد بحوالي ألف جنيه، يعني مطلوب منه ألفين جنيه للسكن ومتابعة الحمل ولسه ما اتكلمناش في أكل وشرب ومواصلات وتليفونات، مع إن كل اللي بيقبضه من مرتب في الصحافة كان حوالي 550 جنيه من جورنال "روزاليوسف" الحكومي، وشوية مقالات بيكتبها لموقع "بص وطل" الإلكتروني وبياخد عليها حوالي 700 جنيه مثلاً، وبكده يكون الإجمالي حوالي 1200 جنيه، ولحد يومنا هذا مش عارف كنت بعرف أكمل الشهر إزاي في ظل هذا العجز بين مصاريفنا وبين الدخل الهزيل اللي بقبضه!

ولما جه الكاتب الشاب -اللي هو أنا- يطلّع إبداعه وأفكاره اللي ملازماه من سنين، اكتشف إن الأدب مهنة ما بتاكّلش عيش، وإن الكاتب لما يروح دور النشر ومعاه عمله اللي تعب في كتابته سنين، غالباً بيطلبوا منه إن هو اللي يدفع فلوس بدل ما ياخد، عشان يحقق حلمه ويشوف كتابه مطبوع!

وفوق ده كله حواليه مجتمع لا يقدّر معظمه قيمة الكتاب والمبدعين، ولا يهتم إعلامه بتسليط الضوء على فعالياته وأنشطته، في الوقت

اللي بيلهث فيه وراء التفاهات والعهر، ووسط ثقافي كان مترهل وضعيف، انعزل معظم كتابه ومثقفيه عن المجتمع، وبقوا يعملوا قعدات يقولوا فيها كلام مجعلص محدش من الناس البسيطة يفهمه، لحد ما السينما والدراما بقت تسخر منهم!

وبشاء السميع العليم إنك يا ملاكي الرقيق تتولدي بعد صدور كتابي الأول "كوابيس سعيدة" بشهرين، ومع ميلادك، كل شيء اتغير!

الكتاب خلصت منه طبعتين في وقت قياسي، وربنا أكرمني بفنانة عظيمة وجميلة زي "بشرى" اللي دعمتني دعم ما حلمتش بيه، ده غير دعم الكاتب العظيم وأستاذي الدكتور "نبيل فاروق" اللي وقف جنبي وقفة لا تقدّر بثمن، ده غير رزق ربنا اللي بعته ليكي، عن طريق التعيين في وظيفة رئيس قسم الفن بموقع "بص وطل" بعد ما كنت محرر شغال بالقطعة، وبقى ليا دخل ثابت محترم، بجانب إعداد برامج تليفزيونية وإذاعية ساعدتني ألبي احتياجات البيت وأوفر لك متطلباتك اللي كان ممكن أنتحر فعلياً لو فشلت إني أوفرها، وأنا شايفك بتبكي وترفّصي من الجوع أو المرض لا قدّر الله!

وبدأت نظرتي للأدب والثقافة تتغير 180 درجة مع الوقت..

من كلمات رقيقة مليئة بالمدح والمحبة والصدق من قراء جايين من آخر الدنيا، ومسافرين من محافظات بعيدة عشان يقابلوك ويثنوا على عملك..

من شاب ما تعرفوش يقول لك "أنا اتعلمت من كتابك حاجات كتير، وهاخدك قدوة ليا"..

من بنت جميلة تقولك بكل فخر "أنا ما كنتش بحب أقرا وكنت بحس إن القراية بتصدعني وتوجع عيني لحد ما بنت صاحبتي كانت بتقرا

مكتبة عابث الإلكترونية

كتابك وكانت ميتة من الضحك وبتضحك بصوت عالي عرفتني على كتابك واستلفته منها فاكتشفت إن القراءة دي شيء ممتع وعابرة حضرتك ترشح لي كتب تانية أقراها".

من جيل عظيم من الكتاب الشباب اللي كانت القراءة سبب إننا نبقى أصحاب وإخوات، زي محمد صادق وحسن الجندي وحسن كمال وعمرو الجندي وأحمد عبدالمجيد ومروة سمير ومحمد نجيب عبدالله ومي أشرف حمدي وأحمد القرملاوي وسارة شمس الدين وآن أدهم ومحمد الصفتي وأمير عاطف ومحمد عصمت وعمرو المنوفي ومحمد الزمزمي وأدهم العبودي وهدى عبدالمنعم ومحمد عبدالقوي مصيلحي ووائل نصار ومحمد صلاح راجح وهدير مجدي وأميرة عزالدين وشيرين سامي وعمرو العادلي... وغيرهم كتير. وآسف لو الذاكرة خانتني، وقبل منهم جيل أقدم لكنه دمث الخلق واحتضننا بمعنى الكلمة مثل عصام يوسف والمستشار أشرف العشماوي اللي بيرفض إن حد يناديه بهذا اللقب عشان ما يكونش فيه حواجز بينه وبين القراء وبين محبيه.

من قراء اتحولوا مع الوقت لأهلك وناسك وإخواتك اللي كانت الكتابة سبب إنك تتعرف عليهم زي وليد عبدالمنعم ونور مانجا وتيام الترك وسلمى شمس الدين ومحمد فؤاد الحديدي ومحمد فؤاد عيسى وصافيناز صادق ودون تيتو وهبة مصطفى ومحمد محسن وسمر الباز وهبة علي وهبة شلبي وعبدالرحمن عاصم وأحمد سعد ومي عبدالخالق وإيمان أسامة وتسنيم عبدالله وهبة محمود وإيمان عبدالمقصود وغيرهم كتير. والعظيم إن معظمهم مع الوقت هيتحولوا لكتاب موهوبين زي ما كلنا في يوم من الأيام كنا قراء واتحولنا لكتاب.

ده غير ناشرين شباب زي الورد حايّين الشغلانة زي هاني عبدالله وأحمد سعيد ومحمد مفيد وأحمد مهنى وعيد عبدالله وفتحي المزين، وناس أفاضل كبار في السن والمقام بقينا أصدقاء ليهم وكسبنا شرف معرفتهم زي أستاذ مصطفى الفرماوي وأستاذ حسام حسين وأستاذة نشوى الحوفي ودكتور محمد فتحي.

عرفت إن الكتابة هي أجمل شيء في الوجود رغم إنها لسه ما بتأكّلش عيش، وبقيت أصرف من جيبي أكتر عشان أسعد ناس حبتني وأمنت بيا وبما أكتب، زي إني أقدم هدايا وكتب مجانية في حفلات التوقيع والندوات وبقى اللي يهمني كام واحد استفاد وخد نسخة مجانية واتعلم حاجة جديدة بعد ما كنت بحسب أنا بِعْت كام نسخة!

بقيت أرهق نفسي وآجي على حساب صحتي وقعدتي مع أسرتي سواء زوجتي اللي صابرة عليا صبر لا يُحتمل، وبنتي اللي مش بتشوفني كتير، ووالدي ووالدتي اللي مقصر معاهم عشان أسافر هنا وهناك في كل محافظات مصر وأقابل القراء وأحاول أوصّل رسالة أنا مؤمن بيها. ده غير الرد على القراء والاهتمام بالنقد والتواصل الدائم سواء عبر "الفيس بوك" أو "تويتر" أو "جود ريدز".

لو أطول إني أمر على كل بيت فيكي يا مصر وأهديه كتاب مجاني عشان كل أسرة تقرأ وتحب القراءة.. لو أملك من الأمر كنت وفرت وسيلة مواصلات لكل القراء عشان تجيبهم لحد حفلات التوقيع والندوات عشان أستمد منهم طاقة الاستمرار، وأبلغهم إني من غيرهم ولا حاجة، وإني دلوقتي بقيت أحسب أنا أثرت في كام شخص ونفعت كام واحد، وبطلت أحسب بعت كام نسخة واستفدت كام قرش!

مكتبة عابث الإلكترونية

عشان كده بقيت اهتم -يا ابنتي الحبيبة- أكتر وأكتر بحفلات التوقيع والندوات، بعيداً عن المجد الشخصي، والتباهي، والماديات، وغيرها من الأمور التافهة، وبقى كل همي إني أكبّر عيلتي بكل قارئ وقارئة جدد بتعرف عليهم وأضمهم لأهلي، بكل شاب وفتاة بعرفهم عليكي وكأني بقول لهم وبقول لك: "خلوا بالكم من بعض".. تاركاً في ثنايا اللقاءات والحفلات وصايا خفية من بين السطور وكل لبيب بالإشارة يفهم.

هؤلاء هم الإرث الحقيقي الذي اهتممت بتركه لكِ من بعدي، واثقاً أن منهم من سيكون لكِ نعم الأب والعم والخال والخالة والعمة، لذا كان لابد وأن أعرّفك بأهلك الجدد كلما سنحت الفرصة ولاحت في الأفق مناسبة أو ندوة أو حفل توقيع، ليتحولوا من خانة أصدقاء الورق لخانة أهل نعرفهم بشكل شخصي، بالشكل، والاسم، وأحياناً برقم التليفون.

حتى لو هصرف أكتر على النسخ المجانية اللي بوزّعها.. حتى لو برهق نفسي.. بس فعلاً المكسب أكبر بكتير مما تتخيلين، والمتعة أكبر من وصفها واختصارها في الكام سطر اللي فاتوا، لكن يمكن المعاني اللي بين السطور وخلف النص توصلك فتفهمي قصدي إنتي وكل واحد بيقرأ أعمالي، وكفاية إن من الكتابة بوصل أفكاري ورسالتي، أو على الأقل مشاعري المسيطرة عليا الآن من أب لابنته اللي خايف تكبر وما تلاقيهوش، فتعرف عنه كل ما كان يجول بخاطره من أفكار وأحاسيس وهواجس عبر الورقة والقلم وكفى بها ميزة.

لما تكبـري شوية

طلب ولد من أبيه أن يلخّص له خبرته في الحياة والحكمة التي أخذها منها، فقال له:

- هل تقدر على الاستماع؟

فأجابه الولد:

- نعم.

فقال الأب:

- يا بُنيّ:

إيّاك أن تتكلم في الناس والأشياء إلا بعد أن تتأكد من صحة المصدر، وإذا جاءك أحد بنبأ فتبين قبل أن تثور!

وإيّاك والشائعة، لا تُصدّق كل ما يقال ولا نصف ما تبصر.

وإذا ابتلاك الله بعدو قاومه بالإحسان إليه، ادفع بالتي هي أحسن فستنقلب العداوة حباً.

وإذا أردت أن تكتشف صديقاً فسافر معه، ففي السفر ينكشف الإنسان، ويذوب المظهر، وينكشف المخبر، ولماذا سمي السفر سفراً؟ إلا لأنه عن الأخلاق والطبائع يُسفر.

وإذا هاجمك الناس وأنت على حق فافرح! لأنهم يقولون لك أنت ناجح ومؤثر، ولا يُرمى إلا الشجر المثمر.

يا بُنيّ..

مكتبة عابث الإلكترونية

عندما تنتقد أحداً فبعين النحل تعوّد أن تُبصر، ولا تنظر للناس بعين ذباب فتقع على ما هو مستقذر!

نم باكراً يا بني فالبركة في الرزق صباحاً، وأخاف أن يفوتك رزق الرحمن لأنك تسهر، وانظر لحكمته ودرسه المتمثل في العصافير حين تصحو وتبكر، وتحلق في السماء بثقة وإيمان، فتجد في الأرض رزقها وتعثر، ثم تعود إلى عشها ولا تتأخر، وتنام مع حلول الظلام ولا تسهر.

وحينما يثق بك أحد، فإياك ثم إياك أن تغدر.

سأذهب بك لعرين الأسد، وسأعلّمك أن الأسد لم يصبح ملكاً للغابة؛ لأنه يزأر، ولكن لأنه عزيز النفس، لا يقع على فريسة غيره مهما كان جائعاً يتضوّر، فلا تسرق جهد غيرك فتتجوّر!

سأذهب بك للحرباء، حتى تشاهد بنفسك حيلتها، فهي تلوّن جلدها بلون المكان، لتعلم أن في البشر مثلها نسخاً تتكرر.

تعوّد يا بني أن تشكر، اشكر الله على أنه خلقك، ويكفي أنك تمشي وتسمع وتبصر، اشكر الله واشكر الناس، فالله يزيد الشاكرين، والناس تحب الشخص الذي عندما تبذل له يُقدّر.

أعظم فضيلة في الحياة هي الصدق، واعلم أن الكذب وإن نجّى هو أرذل رذيلة.

يا بُنيّ..

وفّر لنفسك بديلاً لأي شيء، استعدّ لأي أمر، حتى لا تتوسل لنذل يَذِل ويحُقِر.

واستفد من كل الفرص؛ لأن الفرص التي تأتي الآن قد لا تتكرر.

لا تشتكِ ولا تتذمر، أريدك متفائلاً مقبلاً على الحياة، اهرب من اليائسين والمتشائمين، وإياك أن تجلس مع رجل يتطيّر!

لا تشمت ولا تفرح بمصيبة غيرك، وإياك أن تسخر من شكل أحد: فالمرء لم يَخلق نفسه، وفي سخريتك أنت في الحقيقة تسخر من صُنع الذي أبدع وخلق وصوّر.

كل هذا الكلام، هو ما يشرفني أن أوصيه بك يا ابنتي الحبيبة، فهو بصلح -دائما- أن يكون وصايا عظيمة من أب لابنه، وبالمثل من أب وعاشق متيّم لابنته الجميلة التي حتماً ما ستحتاج إليه لا سيما حين تبدأ سنوات عمرها في النضج، وحين تدخل المدرسة وتبدأ في الاصطدام بنفوس الزملاء والأصدقاء الملوثة، وتتفتح عينها على الصدام والأحقاد والنفسنة.

فلتذكري يا حبيبتي حينها تلك الكلمات وتطبّقيها في حياتك مع الجميع؛ إذ فيها الخلاصة التي تعينك على شر الخلق وخيرهم على حد سواء.

مكتبة عابث الإلكترونية

همّا عايزين منك إيه؟!

حبيبة قلب بابا..

بما إنك اتخلقتي بنوتة، فأنتي دائماً موضع اتهام، في مجتمع ذكوري مريض، معظمه يفكر بنصفه الأسفل!

بمجرد ما تكبري شوية بسيطة ويبقى عمرك ييجي 6 - 7 سنين يبقى لازم تاخدي وصايا مكثفة من بابا وماما ضد الغرباء الأحقر من حيوانات، حتى لا تتكرر معكي مأساة بنات أخرى مثل الورد، أعتقد أهاليهم أنهم لسّه صغيرين ومفيش إنسان طبيعي ممكن يطمع فيهم، فإذا بالقدر الأليم يفاجئهم بمن اعتدى على طفولتهن ونزع عنهن براءتهن، وهذا أقل الضرر بالمقارنة بمن يتخلص من حياة ضحاياه بعد الاعتداء عليهن حتى لا ينفضح أمره!

وبعد ما تكبري أكتر، ويفور جسدك، ويلعب التغيير الفسيولوجي لعبته في إبراز مواطن جمالك ومفاتن أنوثتك على يد (خرّاط البنات)، ستعانين -بكل أسف- من "الكلاب البلدي" التي زاد عددها وصارت في كل مكان بلا حسيب ولا رقيب، لتثير ذعر البنات، وتطلق منها صرخات الفزع والرعب، خوفاً من التحرش بأنوثتهن، أو اختراق أجسادهن بأصابع حقيرة وأيادي عايزة قطعها.

ستدركين أن هذا المجتمع يقتل أنوثة البنت ويحوّلها إلى نقيضين..

إما بلطجية حتى تستطيع أن تتعايش مع واقع قذر..

مكتبة عابث الإلكترونية

أو خاضعة، ضعيفة، مستسلمة، ومتساهلة في حقوقها.. شخصية بلا ملامح ولا أي روح!

حين يصبح ارتداء الفستان مخاطرة، وركوب العجل مغامرة، والسير، مجرد السير في الشارع، أو ركوب الأتوبيس وقت الذروة معناه أنها ستفقد جزءاً من كرامتها وشرفها!

ستكتشفين أن السجن أرحم بكثير من التعايش في مجتمع يحتقر البنات، ويستبيح أجسادهن، ويمطر مسامعهن بأقذر وأحطّ الألفاظ، ساخراً وغير عابئ بروح الأنوثة، وقد أصبحت كل أعياده الدينية والاجتماعية هي مواسم مهمة للتحرش!

ستشعرين أثناء سيرك في الشارع بألف عين تتبعك، وترصد حركتك، وتراقب تحركاتك استعداداً من الوحش للانقضاض على فريسته، حتى تكرهي عيشتك، وتخافي كل شيء.

لكل وظيفة في العالم ما يعرف بالـ Job Description أو الوصف الوظيفي الذي يبيّن المهام الوظيفية لمن يعمل بهذه المهنة، واختصاصاته وواجباته، وعلى حد علمي فإن وظيفة الإله لا يشغلها سوى الله وحده في هذا الوجود السرمدي.. وحده هو من ينظر للقلوب ويطّلع على النوايا، ويدبر شئون مخلوقاته ويحاسبهم على جميع أفعالهم وأقوالهم كبيرة كانت أو صغيرة، لكن يبدو أن تلك الوظيفة التي لا مدير ولا سلطة أعلى فوقها قد أغرت الكثيرين للعمل فيها، وظنوا أنها حاجة سهلة، رغم أن من يملك مقوماتها هو الله وحده، فبات البعض يحترف الدخول في نوايا غيره، والحكم عليهم ومحاسبتهم، فيدخل من يتفق معه الجنة، ويلقي بمن يخالفه في النار.

وهو أحوج ما يكون لرحمة الخالق الذي انتحل شخصيته ونازعه في مهامه!

بات هذا السلوك أمراً طبيعياً نقترفه في حق أنفسنا بشكل عام، وتجاه النساء والفتيات بشكل خاص، فأصبحت هذه عاهرة في عُرف الظاهر والمظاهر، وهذه قديسة بحكم الواضح، رغم أن الحقيقة الخفية عند الله قد تكون العكس تماماً!

الكثير من أشباه الرجال -يا عزيزتي- ينتقدون المرأة في ملابسها، وضحكتها، وطريقة مشيها، بل وحتى نبرة صوتها، رغم أن معظم الفتيات اللاتي يتعرضن للنقد وقعن في فخ محاولة إرضاء الرجل.

قال صديقي حسام فتحي ذات مرة:

"هل يزعجك ما ترتديه تلك الأنثى في مجتمعك؟! حسناً أنا لن أحدّثك عن الحريات، بل سأقول إنها فقط تحاول أن تحاكي نموذج الأنثى المثالية الموجود في داخلك، لا النموذج الذي تدّعيه أمام الناس.. تحاول أن تثير اهتمامك حسب مقاييسك التي تبطنها، لا التي تظهرها.. أنت من صنع النموذج الذي تهاجمه الآن.. هي فقط سارت في الطريق إلى قلبك المحفوف بالأجساد العارية ذات الرؤوس الفارغة.. ووضعت نفسها في القالب الذي صنعته لها.. وإن عُدتم عُدنَ"!

الرجل هو المسئول الأول عما وصل إليه حال النساء، لكنه لا يجيد سوى محاكمتها رغم أنه المتهم والمجرم..

حين احتشمت البنت المحترمة المتربية، ظلّ ينظر للعاريات ويتغزّل في مفاتنهن، ويبدي حظه العاثر على البنات "الغفر" اللي حواليه، لكن بمجرد ما يرتبط بواحدة ذات مواصفات أنثوية من اللي بيسميهم

مكتبة عابث الإلكترونية

"مُزز" و"صواريخ"، على طول تطلع عقد النقص والرجولة الفارغة، وسلسلة من التحكمات:

ما تلبسيش..

ما تخرجيش..

ما تسلّميش..

ما تتكلميش..

ما تتصوريش..

ما تتمكيجيش..

وبعد كل الـ يييييش دي كلها: إنتي ما تنفعيش، وما تلزمينيش!

ودي فعلاً حكمة كتبتها بنات كتير على "الفيس بوك" عن تجربة وقلب مكسور..

ده لأن المسكينة اللي رضخت وسلمت عقلها وقلبها وتصرفاتها بأمر الحب، بتتحول تلقائياً إلى واحدة من البنات التقليدية الغفر اللي كان مش عايز يرتبط بيهم "سي السيد"، مع إنه هو اللي صنع هذا المسخ، وساعتها عينه تزوغ من تاني ويندب حظه العاثر، بينما تتجه معظم البنات للملابس الضيقة أو القصيرة والمكياج والعدسات اللاصقة عشان تعجب، بعد أن اختلّت الموازين، وهكذا ندور في دوائر مفرغة.

ومع الوقت قصاد كل هذه العقد والكلاكيع ونباح الكلاب، هتلاقي نفسك محاصرة بين نوعين أسوأ من بعض من البشر، كما قال صديقي "حسام"..

واحد عاوز يغطيكي، مش من أجل الدين والتدين، لكن عشان يطمس معالمك ويخفي إنسانيتك، ويحوّلك لجارية مسلوبة الإرادة، وواحد عاوز يكشفك ويعريكي لإشباع نزواته وشهواته..

وهيفضل يقول لك إنتي حرة في لبسك لحد ما تقلعيه، وهيفضل يقول لك إنتي حرة في جسمك لحد ما تسلميه.. وبعد ما تهربي من اللي بيستغلوا الدين عشان يحققوا أهدافهم هتواجهي اللي بيستغلوا الحريات عشان أهداف أحقر وأقذر، وصفحات الحوادث وخبرات البشر مليئة بمئات القصص لبنات سلّموا أجسادهن على سرير التنوير!

طب والحل؟

الحل أن تكون لكِ قناعاتك الخاصة، النابعة من إيمانك بالله - الإيمان بالله يكون من أجل الله وليس من أجل البشر- وأن تكون عقليتك ملكية خاصة لا تشركي بها أحداً، حتى ولو كان والدك، أو أخوكي، أو زوجك: لأن الله خلقك تحفة أصلية، فلا تقبلي أبداً أن تصيري مقلّدة أو مستنسخة.

سأعلمك -إن أحياني الله- أن تقولي بفخر: "أنا ابنة لرجل لم يراقبني يوماً.. بل علّمني كيف أستشعر مراقبة الله لي". وسأطبّق نصيحة فؤاد المهندس -رحمة الله عليه- في مسرحية "سك على بناتك" حين قال: "لازم نسكّ على بناتنا، بس نسيب في إيديهم المفتاح".

أن تقرئي كل ما تقع عليه عيناكي، لتكوني مثقفة، نهمة للقراءة، تنهلين منها الخبرات والمعارف، فيصبح عقلك بألف عقل، وينضج تفكيرك مبكراً، وتسبقي عصرك وزمنك.

أن ترتقي بكيانك ووجدانك عن طريق الفنون المختلفة، مثل الرسم والموسيقى والتمثيل، فإن لم تكوني فنانة فعلى الأقل يكفي أن تكوني عاشقة ومتابعة للفن.

مكتبة عابث الإلكترونية

أن تكوني شديدة الثقة في نفسك، وفي تفكيرك، بشرط أن تحافظي على الشعرة الفاصلة بين الثقة والغرور، وألا يعني إيمانك بأفكارك الاستغناء عن نصائح واستشارة البشر، بعد أن تجدي الشخص اللفة ذا العقلية الراجحة، الذي يستحق أن نستشيره ونحكي له.

لا تبني حياتك وتصرفاتك على مقاس البشر الذين لن يتفقوا عليكِ أبداً، بعد أن اختلفوا حول الله نفسه.

وكما قال شاب دماغه عجبتني على "الفيس بوك"، اسمه "مايكل عادل": "ما تحاولش تثبت لأي حد أي حاجة تدافع بها عن نفسك لما يقرر يلزق لك تهمة مش فيك، ومتحاولش تفكّر أي حد بأي حاجة كويسة عملتها معاه لمجرد إنه قرر وهو حاطط رجل على رجل ينكر عليك أي حاجة كويسة.. ماتبذلش مجهود في إقناع حد إنك كويس وهو بيوظّف كل حاجة عشان يشوفك وحش، ماتستهلكش من طاقتك كمية كبيرة في إنك تنفي عن نفسك تُهم بيتهمك بيها حد مهما كانت بشعة: لأنه ببساطة لو شايفك بالبشاعة دي ممكن بكل هدوء وأدب وذوق ولياقة وظرافة ولطافة يغور في ستين داهية، ومايعرفش حد وحش زيك"!

وإنتي صغيرة، كنتي لما تحبي تاخدي حاجة، بتحاربي كل الأكبر منك من غير ما تخافي منهم لحد ما تاخديها غصب عنه، سواء بدراعك، أو بصوتك العالي وصرخاتك اللي كانت بتخوّفهم!

لو فضلتي بنفس روح الطفلة المتشبثة بهدفها بكل حواسها وقوتها، مفيش هدف غير لما هتحققيه بإذن الله، ولا تصدّقي من يقول إن نصف مشكلات هذا الكوكب سوف تنتهي عندما يموت نصف سكان الأرض فجأة.. لو كده كان قايبل وهابيل عاشوا في سعادة أيام ما كان

على الكوكب 6 أشخاص بس، ورغم ذلك حدثت أول حالة قتل في التاريخ.

إذا ما كنت حياً حين تكبرين فلن أعتبرك هماً ثقيلاً أتمنى التخلص منه مع أقرب عريس..

سأعلّمك أن الزواج شيء رائع، بشرط ألا يتحول لغاية نسعى لها والسلام، ولكنه وسيلة نحقق بها السعادة، بشرط أن نعثر على الشخص المناسب، وإلا فلتبقيْ معززة مكرمة كملكة في بيت أبيكِ.

وإذا ما أسعدني القدر بحضور زفافك وزواجك فلن أخشى عودتك مرة أخرى إلى حضن أبيكِ غاضبة، أو أخشى انفصالك أو طلاقك وكأنك وصمة عار، بل سأسعى لسعادتك، سواء كانت تلك السعادة في إصلاح ما بينك وبين نصفك الثاني إن كان هناك سوء تفاهم قابل للإصلاح والحل، أو أقول لك فلتحزمي أمتعتك وتعودي لمملكتك دون أن تخشي كلام الناس.

سأعلمك مقولة "كوليت خوري" الشهيرة: "أنا لم أوجد فقط لأتعلم الطهي ثم أتزوج، فأنجب أطفالاً ثم أموت، إذا كانت هذه هي القاعدة في بلدي، فسأشذّ عنها".

ثم أعلمك مقولة "بوتراند راسل" المهمة: "علموا بناتكم تحقيق أحلامهن قبل الزواج.. فالرجل ليس مصباح علاء الدين"!

بالمناسبة..

إوعي تفكري تسافري بره البلد دي، باعتبار أرض الأحلام في انتظارك بالخارج.

هناك دراسة تقول إن 42% من البريطانيين اعترفوا بإقامة علاقة جنسية مع أكثر من شخص في نفس الوقت، بينما نصف الأمريكيين

مكتبة عابث الإلكترونية

يقيمون علاقات غير شرعية (مع غير أزواجهم). وكانت النسبة في إيطاليا 38% وفي فرنسا 36%.

المصدر: بي بي سي (BBC):

http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/177333.stm

بخلاف تقرير عن حالات الإجهاض في أمريكا.. نحو مليون طفل يتم قتلهم سنوياً بالإجهاض، و82% منهم لنساء غير متزوجات.

http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss5511a1.htm

وهناك تقرير فيديو من (الغرب المتحضر) عن التحرش بالنساء، تم تصويره بكاميرات سرية، لتوضيح كيف يحدث التحرش سواء بالنظرة، أو باللفظ، أو باللمس.

http://goo.gl/wblCxJ

أرض الأحلام ليست مقيّدة يا ابنتي الحبيبة بمجتمع، أو دولة، ولا حدود جغرافية، بل موجودة في مكان نحن المطالبون بصنعه وتهيئته بتفكيرنا، وسلوكياتنا، وذكائنا في أقوالنا وأفعالنا وردود أفعالنا، والأهم من كل ذلك أن تتأكدي من نضوجك الكافي حين يصبح عقلك قادراً على التكيف مع جميع العقول التي يجالسها مهما كبرت أو صغرت، لتبقى ملاحظاتك واكتشافاتك بينك وبين نفسك حين يصبح الصمت فضيلة أهم وأغلى من كل الكلام.

في وطن المعلبات

بنتي حبيبتي..

من قيمة كام يوم كنت بتفرج على فيلم "القاهرة 30" لعمنا وأستاذنا نجيب محفوظ.. تخيلي وإحنا في 2014 لقيت إن مشاكلنا ومطالبنا موجودة من القرن اللي فات، في سنة 1930؟

نفس معاناة الشباب من البطالة وعدم تكافوء الفرص.. نفس زيف معظم المنتمين لصفوة المجتمع، وتملقهم للسلطة وتقربهم للنظام.. نفس الشكاوى من قلة العيش والحرية والعدالة الاجتماعية.. نفس الشكاوى من الحكومة الحالية والمطالبة بحكومة وطنية.. نفس الفساد الفني وجهل معظم محرري الفن واهتمامهم بالفضائح وتوجيه أسئلة ساذجة للنجوم.. نفس الفساد الصحفي والإعلامي لحملة أقلام ملاكي تكتب لصالح من يدفع الحساب ويمنح العطايا والهدايا والمكافآت تماماً مثلما قال عبدالمنعم إبراهيم في الفيلم: "أنا صحفي يا حلو.. أتغدّى مع الحكومة أتعشى مع المعارضة.. تلاقيني في كل حتة".

ما زال بيننا حتى اليوم نموذج المواطن (محجوب عبدالدايم) الذي ألتهم الفقر أحلامه، ورجولته، ونخوته، فقرر أن يبيع شرفه وعرضه وأهله من أجل شراء واقع أفضل!

في بلادنا هناك مليون (محجوب عبدالدايم) يسيرون في الشوارع وهم يمصمصون الشفاه ويقولون: "طظ".. ينظرون للجميلات وأبناء

مكتبة عابث الإلكترونية

الذوات والناجحين بفعل الرشوة والمحسوبية ويتندرون على حالهم البائس بنفس كلمات "محفوظ" حين قال: "يا بلدنا اختشي ووزعي الحظ على ولادك بالعدل".

وفي المقابل، ما زال هناك شباب بكر مثل (علي طه) نموذج الشاب الوطني الطموح.. في عقولهم أحلام عذرية لم تهتك كل القاذورات غشاء بكارتها بعدُ، لكن معظمهم انحنى رغماً عن إراداته أمام أمواج عاتية أقوى منه، لتلقي بعضهم في السجون والمعتقلات، وتحطم آمال وطموحات البعض الآخر في وطن أفضل..

ومن المضحكات المبكيات، أن الفنان عبدالعزيز مكيوي الذي جسّد دور (علي طه) في الفيلم قد تدهور به الحال على أرض الواقع، وصار إنساناً شريداً ينام في الشوارع وينتظر عطف من ما زالت في قلوبهم الرحمة، وكأن الوطن يعاقبه على أنه أسقط ورقة التوت وكشف عورات الفساد والظلم وخطايا الكبار في فيلم سيبقى خالداً في ذاكرة كل الأجيال والعهود، وشاهداً على حقيقة مصر الظالمة والمظلومة!

ويبدو يا ابنتي الحبيبة أن (علي طه) و(محجوب عبدالدايم) سيظلان أبطال كل العصور..

طبيعي أن يحدث ذلك في مجتمع معووج منذ زمن طويل، حتى أصابنا جميعاً "الأتب" وصار هو الأصل وما دونه استثناء.. صار الفساد هو المسيطر على معظم الشعب والحكومة، حتى إننا ينسنا من تحديد أيهما باع ضميره أولاً.. الرئيس أم المرؤوس.. الحاكم أم المحكوم.. أصحاب المناصب والهامات والسلطان أم الحرافيش والأفندية، تماماً مثلما عجزنا عن تحديد أيهما أولاً، البيضة أم الفرخة، لكن لا يهم، فالكل في النهاية ملطوط!

أعرضي على مشاهدة فيلم "ضد الحكومة" للراحل أحمد ذكي، لاسيما في مشهد الختام وهو يقول مقولته التاريخية التي كتبها بشير الديك وأخرجها عاطف الطيب: "كلنا فاسدون.. كلنا فاسدون.. لا أستثني أحداً.. حتى بالصمت العاجز.. الموافق قليل الحيلة.. سيدي الرئيس.. كل ما أطالب به أن نصلّي جميعاً صلاة واحدة، لإله واحد.. إله العدل.. الواحد، الأحد، القهار.. لست صاحب مصلحة خاصة، وليس لديّ سابق معرفة بشخوص الذين أطلب مساءلتهم.. ولكن لديّ علاقة ومصلحة في هذا البلد.. لديّ مستقبل هنا أريد أن أحميه.. أنا لا أدين أحداً بشكل مسبق.. ولكني أطالب المسئولين الحقيقيين عن هذه الكارثة بالمثول أمام عدالتكم، لسؤالهم، واستجوابهم.. فهل هذا كثير؟ أليسوا بشراً خطائين مثلنا؟ أليسوا قابلين للحساب وللعقاب مثل باقي البشر؟ سيدي الرئيس.. أنا ومعي المستقبل كله نلوذ بكم.. ونلجأ إليكم.. فأغيثونا.. أغيثونا.. أغيثونا، والله الموفق".

حينها ستدركين أنه مع تكرار مظاهر فساد الذمم، وخراب الأنفس، تغيّرت مصر تغيراً شكلياً في الطرق والمباني والسيارات، لكن صارت المشاكل الجاثمة على أنفسنا واحدة، نعاني منها ونتوارثها جيلاً بعد جيل، فأصبحنا جميعاً نحكي في المحكي، ونعيد ونكرر في برامجنا وصحافتنا نفس التفاصيل بنفس المانشيتات بلا تغيير سوى في الأسماء فحسب.

ارجعي للأرشيف الصحفي منذ سنوات طويلة ولا تندهشي من التكرار في بلد المواسم المكررة المحفوظة!

في موسم رمضان: صايم ولا زي كل سنة؟ الشعب أكل بكام فول وزبادي ولحمة وفراخ.. أين دور وزير التموين في توفير السلع الأساسية

مكتبة عابث الإلكترونية

وضبط الأسعار؟ الأكلات التي لا ينصح خبراء التغذية بتناولها في الإفطار أو السحور.. الحديث عن المسلسلات الرمضانية الخارجة عن عاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا وأجور الفنانين المبالغ فيها.. لقاءات مع الفنانين والمواطنين في الخيم الرمضانية..

في موسم عيد الفطر: احذروا تناول الأسماك في الفطار.. حكم الدين في زيارة المقابر أول يوم العيد.. أسعار الكحك والبيتي فور.. لقاءات مع المواطنين في المتنزهات والحدائق العامة.. صور للتحرش الجماعي من الشباب والمراهقين بالفتيات في الشوارع والحدائق العامة.. لقاءات مع الفنانين مرة أخرى.. وعرض مسرحيات "سك على بناتك" و"العيال كبرت" و"الواد سيد الشغال" في مختلف القنوات الأرضية والفضائية!

في موسم انتخابات مجلس الشعب: مهزلة شراء الأصوات وتسويد البطاقات الانتخابية.. الحياة السرية لمرشحي مجلس الشعب.. البعض يطبل للفصيل الأقرب للنظام حتى يكتسح الانتخابات ويحظى بالأغلبية وينال من الحب جانب، والبعض الآخر يعارض بصوت عالٍ حتى يصنع لنفسه مكانة وتاريخاً يتربّح من ورائه..

وهكذا تتكرر حياتنا في فصول مملة وسخيفة، من موسم عيد الأضحى، لموسم شم النسيم، لموسم الثانوية العامة، ثم موسم الصيف والرحلات والخروجات والفسح وأفلام السينما، لكن المحصلة النهائية التي تعود على المواطن أو الوطن من تغيير لا تساوي أكثر من صفر.

الناس نفسها صارت تقلّد بعضها وتحاول أن تستنسخ السعادة التي تم تعبئتها وحصرها في شكليات محددة وقوالب معينة وكان أي سعادة غيرها غير معترف بها..

السعادة هذا الموسم في بورتو مارينا، فلنذهب جميعاً إلى بورتو مارينا لتتحول إلى حلم كل مشتاق، وصكّ فخامة وختم يؤكد من يحصل عليه بأنه من الناس الهاي الموعودين.

السعادة هذا العيد في المول الفلاني الذي تم افتتاحه مؤخراً.. فلنعدّ العدّة ونأخذ القرشين وبينا على هناك يا جماعة، لنتفاخر بتلك الفسحة التي نحرص فيها على التقاط الصور حتى نتباهى بها على "الفيس بوك" و"تويتر" ونجعلها خلفية في الموبايل.

والنتيجة؟

الجميع يذهبون إلى نفس الأماكن، وفي نفس التوقيت، وعن طريق نفس الطرق، فلا نجني سوى الزحام الرهيب، والخنقة، والتوتر، والصداع، وضغط الأعصاب، بخلاف الضغط على المكان والعاملين فيه، فتصبح الخدمة سيئة، والأسعار نار، لتجدي نفسك قد تعذبتي ودفعتي مبلغاً محترماً ولم تحصلي على السعادة والمتعة، ورغم ذلك ستكونين محظوظة بالمقارنة مع شخص آخر مثلك لم يحتمل كل هذا الضغط فانفجر فيمن حوله وتبادل العراك والشجار!

اخرجي يا عزيزتي خارج هذه القوالب الجاهزة الفاشلة، واصنعي عالمك بقواعدك وخيالك لا بالتقوقع داخل شرنقات الآخرين وخيالهم المحدود..

لا تسيري مع الركب في نفس التيار وذات الزحام من البشر الذين يسيرون مضطرين وهم لا يعلمون من أين جاءوا ولا إلى أين هم ذاهبون!

اصنعي مواسم بديلة للفرحة والمتعة والسعادة مع من هم على شاكلتك في التفكير المختلف الخارج عن صندوق التقليدية والنمطية،

مكتبة عابث الإلكترونية

لتفعلوا أفعالاً خاصة بكم، دون أن تصبح حياتكم مجرد تقليد أعمى لمن حولكم. وحينها ستشعرين بأن الوطن في عينك لم يعد سجناً أو مصحة للأمراض النفسية مثلما أصبح كذلك منذ سنوات طوال، بل سيصبح جنة في عينيكي الجميلتين، ومخيلتك الرائعة، فتستمتعين بجمال اللحظة، وتعيشين مشاعر مختلفة بأدواتك وشروطك وقوانينك أنتي، بشرط ألا تتنافى تلك القواعد والقوانين مع القانون الإلهي حتى لا تصبح السعادة مجرد وهم لحظي يزول ويبقى محله الندم، ولتذهب السعادة المعلبة والمواسم المكررة إلى الجحيم.

من شاب دماغه نضيفة

عزيزتي جنى..

إنتي وكل طفل هيكبر في يوم من الأيام ويقرأ هذا الكلام..

التربية فعل تراكمي، قائم على النقل من خبرات الأخرين، ويمكن دي الحالة الوحيدة اللي الغش فيها من الناس فعل مشروع وحلال، عشان كده دايماً الآباء والأمهات بيسألوا بعض عن النصايح وطرق التصرف في مواقف كتير بنمر بيها خلال تربية حضراتكم اللي ما بتكملش غير بطلعان الروح وشق الأنفس.

بس الغريب إني كأب بتعلم ساعات خبرات ونصايح من شباب لسه مش متجوزين، عشان أطبقها في نصيحتي ليكي في وقت هتبقي كبرتي فيه ومش محتاجة تربية!

زي مثلاً هذا البوست الرائع اللي قريته للمصور والمخرج "نادر سعد الله" على موقع "فيس بوك"، وكاتب فيه نصايح للشباب من سن 20 لسن 30 سنة، وشايف إنك لازم تقريه من وإنتي صغيرة؛ لأنه كله حكم وخبرات مفيدة حبيت أغرسها فيكي من الصغر، يمكن لما توصلي لسن العشرينات ما اكونش موجود عشان ألحق أنصحك، ولو كنت موجود فما أعتقدش ساعتها هالاقي كلام أحسن من كده عشان أقوله ليكي..

تيجي نقرا البوست؟

مكتبة عابث الإلكترونية

"نصائح لسن 20 لـ 30"

نظراً لأني أتممت النهارده 30 سنة، فيه حاجات حابب أقولها عشان أنا ندمت إني ما كنتش بعملها زمان، فلعلك تستفيد وتلحق تعملها؛ لأنها حولتني لإنسان تاني تماماً، ولأنها أيام معدودات يا صديق، فخلي بالك، يعني من سن 21 لـ 28 مش هتشعر تماماً بالفترة دي في حياتك، وهتتسرق منك سرقة التنين المجنح؛ لأنها فترة تحديد مصيرك ومستقبلك إلى حد كبير، ومن ثم شياطين الإنس والجن؛ لن يكون هدفهم إلا إنهم يضيعوك في الفترة دي فاحذر.

- القراءة، حاول ماتفوّتش يوم إلا لما تقرأ 10 صفحات على الأقل؛ لأني ماكنتش بحب القراءة تماماً وقلما أقرأ، فكل يوم فاتني عرفت قد إيه أنا جاهل جداً ومتأخر جداً، حتى بطّلت أقول "سمعت" أو كلمة "بيقولوا"، لأني قرأت وعرفت المصدر، فبقيت بقول أصل قرأت، فبالتالي حجتك هتبقى أقوى، ثم ثقتك هتبقى أقوى وأقوى. الكتب الـ pdf سهّلت الموضوع ده جداً، فاقرأ في وقت انتظارك لحد، لما الكهرباء تقطع، في المواصلات؛ لدرجة إني بقيت أركب مواصلات وأركن عربيتي، عشان أخلص كتب بقرأها.

- الرياضة ثم الرياضة ثم الرياضة، لو مش بتمارس على الأقل سويدي مرة كل 3 أيام على الأقل، فأنت في طريقك للظهر المأتّب والكرش المدلدل والكسل والأمراض المبكرة، يعني هتبقى نفس النسخة العربية المصرية العظيمة المكررة، مع إن ديننا الحنيف مش كده تماماً تماماً، ومش عارف جبنا القرف ده منين، المهم، احترس لو حابب تتغير، ومانصحكش بموضوع الجيم كرياضة دائمة (إلا لو عايز تحقق بطولة وكده)، لأنه محتاج مواظبة ولأنه بطيء، الاتجاه دلوقتي بره لـ fitness

exercises & cardio workouts والـ calisthenics، فالفكرة بقت في القوة والسرعة والجمال، يعني حاول تجمع بين الجيم والرياضات اللي ذكرتها.

- التغذية.. طبعاً دي حاجة ضايعة جداً عندنا، ومعظمنا في مصر بياكل غلط، تخيل لما يبقى شعب بأكمله أو معظمه موروثه الغذائي غلط وبينقل موروثه لجيل ورا جيل، أكيد النتيجة زي ما إحنا شايفين دلوقتي، 80 % من الشباب كرشه مدلدل أو شايله ورا ظهره، هديك أمثلة وإنت راجع ورايا: الفاكهة مفيدة جداً، بس بعد الغدا مباشرة "غلط"، وكذلك الشاي أو العصير، بناكل وننام "غلط"، بنشرب عصير وننام "غلط"، الإكثار من المقليات بالزيوت والسمن المهدرج "غلط"، الأكل في الشارع "معظمه غلط إلا لو بتنتقي"، الحاجة ساقعة "غلط"، الحلويات والذي منه "حسب إمتى وازاي"، العيش الفينو كذلك، أما الأكل الصحي زي المشويات والمسلوق وزيت الزيتون والعيش الأسمر والسلطة والفاكهة؛ لا نعرفه أبداً، وكأن اللي بياكل الأكل ده مريض مثلاً والباقيين أصحاء وكويسين!، والحقيقة هي العكس تماماً، وعامة التغذية والرياضة والنوم أضلاع مثلث، فلو ماظبطتش مثلث صحتك، هتبقى زي ما إحنا شايفين حالنا كده.

- الجواز حلو مافيش كلام واستقرار والذي منه، بس مش عايزك تحطه هدف أساسي بعد ما تشتغل أو تتخرج، ده اللي كنت فاكره زمان، الموضوع مختلف تماماً، الحياة مليئة بالأهداف يا سيدي ويا سيدتي، فبلاش تخلي الجواز المشروع الأهم أو الأساسي، فيه مثلاً عندك هدف علمي ممكن تحققه "دكتوراه"، أو مشروع اجتماعي متميز، أو مشروع فني، عشان كده لازم تطوّر من نفسك، عايز أقول

مكتبة عابث الإلكترونية

لك إن فكرة الجواز مش قرآن أنزل أو دايرة وإنت مفروض تكمل مكانك فيها، اتجوزت فتمام، ربنا يسعدك، ما اتجوزتش وبتسعى، فاسعى لتطوير نفسك برضه، وعندنا مثل د. عصام حجي العالم الشهير في وكالة ناسا، لما سألوه: إزاي وصلت لناسا وإنت في السن الصغير ده؟، فكانت إجابته: الشباب في سن الـ 21 كان مشغول بالجواز؛ فانشغلت أنا بالعلم، فكنت.

- التليفزيون المصري.. احرقه وابعد عنه البتة، وعليك وعلى قنوات مهمة مثل ناشيونال جيوجرافيك، Discovery، الجزيرة الوثائقية، وناشيونال جيوجرافيك أبوظبي، صدّقني هتستفيد تاريخ يمشيك لقدام، وهتعرف ثقافة ورقي الآخرين بقى عامل إزاي، وقد إيه إحنا متخلفين ومنغلقين جداً جداً جداً، وكده كده أفضل من الهري في المهري، ومش عارف هتعرف الأخبار منين في ظلّ الكذب اللي إحنا عايشين فيه.

- النوم بدري والصحيان بدري، وقلل قعدة القهوة والـ Play-stations، هتلاقي نفسك صحياً وجسدياً وذهنياً مختلف تماماً.

- بما إننا في مصر ونفسك تجيب عربية، فماتشتريش -لو معاك- عربية جديدة، اشتريها "كسر زيرو" اللي هي استعمال من ألف كيلو لـ 30 ألف كيلو كأنها جديدة يعني، بس الفكرة إنك لما تشتري جديد، إنك في مصر كده كده هتتخبط وإنت ماشي، يا هتنزل تلاقيها مخبوطة وإنت راكن، ولو حتى في الجراج، فبالتالي حسرتك على العربية الجديدة هتبقى أكتر، وحاول تستغنى عنها في المشاوير القريبة أو مشاوير سهلة المواصلات؛ لأن الطريق بقى زحمة جداً جداً، ومفيش منهجية تخطيط طرق ولا منهجية شراء سيارات طبقاً للحالة المرورية

وعدد الأسرة، وكله في البزراميط، فالشاهد من الأمر إذن إنك تخلي استعمالها للضرورة إن استطعت. أنا راكنها بقالي 7 شهور راحة لأعصابي، واستغلال الوقت في القراءة، ومحبة في المشي اللي يُعتبر رياضة في حد ذاته.

- وأنت في مصر، استعِذ بالله من ثلاث أو إنك تتعامل مع ثلاث: المعاملات الحكومية، المستشفيات والأطباء، أقسام الشرطة.

- حاول تشتري لبسك دائماً في وقت الـ sale والخصومات، مش هتفرق كتير لما تشتري هو هو الحذاء بـ 350 جنيه بدلاً من 650 جنيه، وربنا يخلي Outlet وغيرهم الصراحة.

- اكتب دائماً الأفكار اللي بتجيلك وممكن تبقى أفكار مشاريع ناجحة ومش بتعرف تعملها وإنت في سن الـ 20 عشان مفيش فلوس، هتحتاجها وإنت معاك فلوس قدام شوية، واكتب حلمك واسعى إليه، ولما تلاقي المثبطين اللي هيحاولوا يخلوك تيأس "إنت في مصر، يا فاشل، كان غيرك أشطر"، خد كلامهم كسبيل للنجاح والله، وعايز أقول لك أنا اتقال لي كلام كتير جداً في مجال التصوير، الدراسة، الرياضة، حفظ القرآن، هبقى أذكر الحكاوي دي بعدين، بلاوي سودة والله بتتحدف علينا، فلا تلتفت كما كان يفعل النبي أو كما كان يفعل إبراهام لينكولن: لأن ببساطة مفيش وقت، فخد الكلام وقول "هنشوف".

- خليك مرن ما استطعت مع تقلبات الحياة ومتطلباتها، وطبعاً المرونة مفيش أحسن منها عشان تتكيف مع بلد زي مصر.

- ابتسم واعذر اللي قدامك واصبر عليه، ومش شرط تتفقوا تماماً، بس شرط تتصافوا وتتعايشوا، وممكن والله تعيش مع بوذي عادي

مكتبة عابث الإلكترونية

هو مقتنع بحاله وإنت كذلك. آه والله عادي. مش مطلوب تكفّره في كل مرة تشوفه. بس مطلوب إنك تخليه يسأل إنت إزاي راقي كده.

- أخيراً.. أبوس إيدك.. لا تحدث أحداً عن الإسلام. ولكن كن أنت الإسلام المراد. وثق أنه هو الذي سيسألك عنه!

آمل أن أكون قد أفدت.

سر السعادة!

وبما إننا قربنا من نهاية الكتاب. حبيت أسيب الكلام عن الفرحة والسعادة للآخر.. تيجي نسأل نفسنا كام سؤال كده ونشوف الإجابة هتاخدنا لحد فين؟

لماذا لا نعيش في سعادة؟ وكيف نحصل عليها؟ وأين نجدها؟

أسئلة كونية. يسألها كل البشر منذ بدء الخليقة. باختلاف لون بشرتهم. وجنسياتهم. وأعمارهم. وعقيدتهم الدينية. بينما الإجابة موجودة وواضحة. فقط لمن يملكون الرغبة في تأمل ما حولهم. والقدرة على قراءة العلامات الإرشادية الموجودة حولنا في قارعة الكون الفسيح. حتى نفهم الهدف الذي جئنا من أجله إلى هذه الحياة الدنيا. والمقام الذي ستحطّ فيه رحالنا في نهاية المطاف.

استعنت للإجابة عن هذه الاسئلة بكتب دينية. وكتب أخرى في التنمية البشرية للمفكرة "نسيبة المطوع". ومع كل الكتب دي حطيت "التاتش بتاعي". والخلاصة التي استخلصتها للوصول إلى سر السعادة هي أننا بمعرفة الهدف الذي جئنا من أجله. والوسائل المناسبة لتحقيقه. وكيفية إدارة النفس والذات واستغلال قدراتها ومواهبها. سنصل إلى المعنى الحقيقي للسعادة. التائه وسط المعاني المزيفة لسعادات غير كاملة أو مكتملة. تبدو في ظاهرها جذابة وممتعة. لكنها تضمر في باطنها جحيماً يهلك من ينغمس فيها. وأن من منحه الله فرصة جديدة

مكتبة عابث الإلكترونية

للنجاة سرعان ما سيكتشف أنها كانت سعادة لحظية خادعة، ما أن تذهب لذّتها ومفعولها حتى تخلف وراءها مرارةً وألماً يعيد الإنسان إلى أسوأ مما كان عليه.

ولأن الطعم الحلو ما كان ليبقى حلواً أو ذا قيمة إلا لو تذوقنا الطعم المرّ وعانيناه، تعال نفهم الأول يعني إيه سعادة زائفة حتى نعرف معنى السعادة الحقيقي..

هل السعادة الحقيقية في الحياة المرفهة التي يملك صاحبها المال والمنزل والسيارة والوظيفة المرموقة؟

هناك نوعان من السعادة، على الإنسان أن يحقق التوازن بينهما، حتى يتصالح مع الوجود، ويتغلب على تعاسته وشقائه.

سعادة مادية ملموسة، مرتبطة بإغراءات الدنيا، مثل المال، والمرأة الجميلة، والأطفال، والسكن الفخم، والسيارة الفاخرة... وغيرها.

وسعادة روحانية حسية، مرتبطة بصوت الله في الإنسان، حين يأمره -لمصلحته- بعدد من الأوامر، وينهاه -لمصلحته أيضاً- عن عدد من المحاذير التي تكاد أن تدمر حياته، وتتسبب في تعاسته وشقائه، حتى يأخذ من السعادة المادية المقدار الذي يناسب حياته، وطبيعته، وتكوينه، بالطريقة السليمة، وبالأسلوب الصحيح، الذي لا يترتب عليه إيذاء نفسه، أو إيذاء الآخرين.

والإنسان السوي هو من يستطيع أن يوازن بين السعادة المادية والسعادة الروحانية، متخذاً من الصراط المستقيم الذي يتوسط كلا السعادتين طريقاً يسير عليه حتى يجتاز الاختبار ويحصل على مكافأته العظيمة التي تنتظره، لتعوضه عن كل ما فاته.

ولو كانت السعادة تكمن فقط في المال، والمرأة الجميلة، والأطفال، والسكن الفخم، والسيارة الفاخرة، لما أقبل عدد هائل من سكان بعض الدول المتحضرة الذين تتوافر لديهم كل هذه المقومات على الانتحار!

في دولة راقية ومتقدمة مثل السويد، حيث انخفاض نسبة الفقر، وتناقص نسبة المشكلات المادية التي يواجهها سكان العالم الثالث، ترتفع نسبة الانتحار لتصل إلى نحو 20 مواطناً ومواطنة من كل عشرة آلاف مواطن، وهي قد تكون أعلى نسبة في الدول الغربية الديمقراطية. بخلاف ارتفاع نسب الانتحار في دول متحضرة ومتقدمة أخرى مثل المجر واليابان وكوريا الجنوبية، من الذين يحظى المواطنون فيها بحياة مرفهة وأكثر آدمية من بعض دول العالم الثالث، التي لا يحظى مواطنوها بنفس الرفاهية ورغم ذلك لا يقبلون على الانتحار!

وقد أثبتت دراسة متعلقة بتأثير التعاليم الدينية على الانتحار، قام بها الدكتور جوس مانويل والباحثة أليساندرا فلايشمان أن الملحدين هم أكثر البشر انتحاراً، مما يؤكد أن السعادة لو قامت على الماديات فقط وابتعدت عن الروحانيات وعلاقتنا بالخالق، من المستحيل أن تحقق لنا الإشباع المعنوي أو الحسي.

وتوثق كل الأديان السماوية لحظة التحدي بين الخالق -عز وجل- وإبليس اللعين، قبل أن تبدأ قصة الخلق، حين رفض إبليس السجود لأبينا آدم وقال: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} لتتصارع من يومها خطتان تحددان مسار البشرية كلها، خطة وضعها الله وكلّف ملائكته بمتابعة تنفيذها، وخطة أخرى شيطانية وضعها

مكتبة عابث الإلكترونية

إبليس وكلّف جنده وأعوانه لتنفيذها في آدم وذريته من بعده، والإنسان هو نقطة الحسم والفصل بين كلا السيناريوهين!

وعلى غرار أفلام الحركة والإثارة التي يعشقها الملايين، جئنا لهذا العالم لنلعب دور البطل، المكلف بمهمة عظيمة من خلال ملك الملوك، وأعظم قيادة في الكون بأكمله..

المهمة هي إعمار الأرض، ونشر تعاليم الحق، والخير، والعدل، ونيل رضا الخالق في الدنيا والآخرة، من خلال رحلة لا نعرف متى ستنتهي، واختبار عظيم غير متقيد بوقت محدد للإجابة، ولا نملك فيه سوى السعي نحو الإجابة الصحيحة بأقصى طاقتنا، قبل أن نجد فجأة من يسحبون منا ورقة الإجابة ويعلنون أن المهلة انتهت لنغادر اللجنة، حيث إن هناك من يراقب تنفيذنا لهذه المهمة المقدسة، ويدوّن كل أقوالنا، وأفعالنا، وحركاتنا، وتصرفاتنا، مع ضرورة وجود بعض الاختبارات الفرعية بين الحين والآخر: لضمان ولائنا لخالقنا، ولمنحنا الخبرات والعلوم والمواقف التي نحتاجها لاجتياز الاختبار الأساسي والرئيسي، قبل أن نتلقى نتيجة الاختبار في صحائف أعمالنا التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها يوم القيامة، حيث لا مجال للدور الثاني وإعادة المحاولة.

إذن فهناك هدف نهائي، وطريق موصّل إليه (الصراط المستقيم)، ووسائل على الطريق تحفزنا على إكمال المسير (الطاعات والمستحبات)، وعوائق على الطريق (المعاصي والخطايا)، ومقياس ومعيار يبيّن لنا الفرق بين الحق والباطل.. بين الأبيض والأسود، وهو الدين القيم، والنية الصادقة الطاهرة.

ليس الهدف أن نغرق حتى الثمالة في دائرة مفرغة من الابتلاءات والأحزان والهموم والمشاكل، لتضيع فيها كل أحلامنا وأمنياتنا حتى نسأل بحنق أحياناً: لماذا جئنا لهذا العالم؟

وليس الهدف هو الحرمان من ملذات ومتع نتمناها بغرض تضييق الخناق علينا نحن البشر الضعفاء.

بل الهدف أصلاً هو الوصول إلى السعادة، لكن في شكلها الصحيح، وعبر حالة من الانسجام مع الله، والذات، والبشر من حولنا، والدنيا وملذاتها.

ومع أهمية تحديد الهدف، هنعرف بعدها كيف نحدد الوسيلة المناسبة اللي هتساعدنا على تحقيقه والوصول إليه، بخلاف رأس المال اللي هنحتاجه لشراء الوسائل المناسبة اللي هتساعدنا على تحقيق الهدف.

ويتمثل رأس المال في الوقت والزمن، ومع كل لحظة عمرية تمر، هناك مكاسب نجنيها إذا ما تم استغلالها، وخسائر يستحيل تعويضها إذا ما ضاعت هباءً منثوراً دون استغلال.

ومع الحرص على إنفاق رأس المال في موضعه الصحيح، نحصل على الوسائل المتعددة والمختلفة التي تعيننا على الوصول للهدف، ومن هذه الوسائل على سبيل المثال بر الوالدين، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وكما قال مارك توين: "إن السعادة تتحرك باتجاهك في اللحظة التي تبدأ فيها ضخ السعادة باتجاه الآخرين".

لكن الأزمة اللي بيقع فيها أصحاب الغايات النبيلة أحياناً عن غير قصد، هي استبدال الوسيلة لتحل محل الهدف، مثل أن تصبح النقود التي نريد الحصول عليها من أجل إنفاقها في سبيل الله أهم من

مكتبة عابث الإلكترونية

إرضاء الله نفسه، ليقول الإنسان لنفسه حين يكتشف أنه أضاع الصلاة مثلاً: لا يهم فقد كنت مشغولاً بمحاولة ربح المال حتى أنفقه في سبيل الله، وحقيقة الأمر أن من يريد إرضاء الله حقاً سيصنع قائمة من الأولويات حسب الترتيب، دون أن يستبدل الوسيلة محل الهدف، ودون أن يستبدل الهدف الأكبر بهدف فرعي صغير.

وحتى نتفادى الوقوع في هذا الفخ، هناك رمانة ميزان بتوزن بين كفة إرضاء الله كهدف نهائي، وكفة إرضاء النفس كهدف مرحلي، وهي النية الصادقة، لتسير طاقة الإنسان في اتجاه واحد، منظم، متزن، لتحقيق الهدف المرحلي والهدف النهائي من غير ما يتعارضوا مع بعض، فتقوم بالتنسيق الإداري بين أعمال الطاعات لتتوجه جميعها للارتباط بالهدف النهائي دون تخبط، بعد توحيدها وربطها مع الهدف النهائي، مع أهمية تجديد النية باستمرار.

ويقول زيج زيجلر: "الحماس لا يدوم طويلاً.. كذلك آثار الاستحمام.. لذلك نوصي بالاستحمام يومياً"!

عشان كده مع كل هدف مرحلي نصل إليه، علينا أن نجدد النية لنصل إلى الهدف النهائي الذي لم نحققه بعد، وهو إرضاء الخالق وتحقيق السعادة لنا في الدنيا والآخرة.

يعني لو واحدة ست بتشتغل على سبيل المثال موظفة، وقررت إنها ترجع لبيتها كهدف نهائي، بس هتمر في الطريق للبيت على مدرسة بنتها لاصطحابها معها إلى البيت كهدف مرحلي، فعليها في البداية أن تنوي على تحقيق الهدف الأساسي وهو العودة للبيت، ثم تمر على مدرسة ابنتها لتصطحبها معها، وعندها تجدد النية مرة أخرى للعودة إلى البيت؛ لأنها لو غيرت نيتها عند مدرسة ابنتها فلن تعود إلى بيتها.

وهناك 4 علاقات مع 4 جهات مهمة، لن نصل إلى السعادة، والنجاح بدونهم:

1- الله تعالى.
2- الذات (نفسك البشرية من الداخل).
3- البشر المحيطون بنا، سواء عن قرب أو عن بعد.
4- الدنيا التي نعيش فيها.

وحتى ندرك كيف ترتبط السعادة بكل هؤلاء، علينا أن نتأمل أولاً طبيعة علاقتنا بهم:

1- العلاقة مع الله تعالى

تقول إليناور باور: أنت في حد ذاتك هدية من الله لك.. وما ستصبح عليه هو الطريقة التي سترد بها الهدية.

فطالما أوجدك هذا الإله، فحتماً هناك معنى وقيمة لوجودك، مهما بدا لك في أوقات الحزن والشدة أن وجودك ليس له معنى أو فائدة، وأنها ليست مبالغة حين نخبرك بأن هذا الكون بأكلمه قد يختلّ توازنه لو لم تأتِ لهذه الدنيا، فوجودك يترتب عليه خط درامي مؤثر في حياة الآخرين، وعدة دوائر ممتدة من التأثير، يمتدّ اتساعها وتأثيرها مع الزمن، فربما يقتضي بك من يعاصرونك، أو حتى يستفيدون من فشلك، وربما تنجب طفلة أو طفلاً يكون له دور في تغيير مسار أمة بأكملها، وربما يقوم بهذا الدور حفيدك مستقبلاً، وهكذا، فاعمل على أن يكون التغيير المترتب على وجودك إيجابياً.

ويقول الحق جل وعلا في كتابه العزيز: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى

مكتبة عابث الإلكترونية

وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ.
[طه: 124-126].

وكم من أناس نرى لديهم مظاهر الثراء والسعادة، ونحسدهم على ما هم فيه، وهم في حقيقة الأمر تعساء؛ لأنهم سعداء بالمنظور الدنيوي المادي، لكن أرواحهم حزينة مشتتة، تفيض أعينهم بالدمع ليلاً أو في لحظات الاختلاء بالنفس، حين يشعرون بأن هناك شيئاً خاطئاً في حياتهم دون أن يضعوا أياديهم على موضع الجرح

2- العلاقة مع الذات

في مقال مهم للكاتب عمر طاهر، يسرد لنا أقوالاً مأثورة لكبار المفكرين والساسة في علاقة الإنسان مع ذاته قائلاً:

"يقول روزفلت: إن الكوكب لن يمنحك الشعور بالفشل دون موافقتك، إقرارك بالفشل هو الفشل بعينه.

ويقول سبريتي لوريانو: كل القصص العظيمة في التاريخ تقوم على تفصيلة درامية واحدة فقط هي أن البطل لم يستسلم أبداً.

ويقول تشرشل: إن النجاح هو الانتقال من فشل إلى فشل دون أن تفقد حماسك.

ويقول بيكاسو: أقوم بالأعمال التي أعرف أنني لن أستطيع يوماً ما أن أفعلها، وإلا فكيف سأتعلم القيام بها؟

ويقول آدم أوسبورن: إن الأخطاء هي أعظم ما يمكن أن تفعله.. فلن تتعلم شيئاً من كونك مثالياً.

أديسون نفسه قال: لم أفشل ولكنني اكتشفت أكثر من عشرة آلاف طريقة خاطئة لتنفيذ ما أحلم به.

هناك من يفشل قبل أن يبدأ: لأنه يكسّر مجاديفه بنفسه، وهو شخص يقول له هنري فورد: العوائق هي كل ما تراه عندما تنظر بعيداً عن الهدف.

وهناك من يفشل: لأنه قصير النفَس، وهو شخص يقول له جون ماث: إن كنت لن تمشي الطريق إلى آخره فلِمَ تمشيه من الأساس؟

وهناك من يفشل لخلل في طريقة تفكيره، وهو شخص يقول له ديفيد بوليم: قد تعتقد بأنك تفكر من جديد، والحقيقة أن كل ما تفعله هو مجرد إعادة ترتيب لأفكارك القديمة وأحكامك المسبقة.

هناك من يفشل: لأنه يخاف المغامرة، وهو شخص يقول له ويليام شيد: تشعر السفينة بالأمان التامّ في الميناء، لكنها لم تصمَّم لهذا الغرض.

ويقول جي إم بور: لكي تحوّل أحلامك إلى حقيقة لا بد كخطوةٍ أولى أن تصحو وتغادر الفراش، من المهم ألا تبادر نفسك بالإحباط، فقط قم بواجبك، فتشارلز شواب يقول: الشخص الذي قدّم كل ما يقدر عليه هو شخص قدّم كل شيء. وراهِن على نفسك، فغاندي يقول: أنت هو التغيير الوحيد الذي يجب أن تتمنى حدوثه في العالم.

ربما تكون مشكلتك كما يقول مالكوم فوربس أنك تبالغ في تقييم كل شيء حولك ما عدا نفسك، أو ربما تكون مشكلتك كما يقول هنري فورد أنك تنشغل بتأمل الأخطاء على حساب تأمل العلاج، أو ربما تكون المشكلة كما يقول آدم بيفرلي، في الانشغال بإدارة الوقت، بينما اللعبة كلها في إدارة الاختيارات. لا تنشغل بمصير أحلامك، يقول حكيم صيني مجهول إن البذور لم تلتقِ يوماً مع الزهور التي أصبحَتها. وهو معنى يؤكده نلسون هندرسون، إذ قال: لن تستمتع بالحياة قبل

مكتبة عابث الإلكترونية

أن تعرف معناها، وهو بسيط للغاية. أن تزرع شجرة سيجلس في ظلها يوماً شخص لا تعرفه.

ويقول أوليف هولمز: عندما يتمدد المخ بفعل فكرة جديدة فإنه لا يعود إلى مقاسه القديم أبداً. عموماً ينصحك كارل بارد بأنه ربما لا تمتلك فرصة للعودة إلى الخلف لصنع بداية جديدة، لكنك تمتلك الآن على الأقل فرصة لصناعة النهاية. يمكنك الآن أن تنهي مرحلة ولديك رصيد من الفشل أو النجاح -وكلاهما مفيد- لعمل بداية جديدة، فتجربة الحياة فرصة ثمينة، وضع في حساباتك وصية فرانك أوت لو: راقب أفكارك، فهي تتحول إلى كلمات، وراقب كلماتك فهي تتحول إلى أفعال، وراقب أفعالك فهي تتحول إلى عادات، وراقب عاداتك: لأنها تصنع شخصيتك، وراقب شخصيتك.. فهي مصيرك".

فنجاح النفس هو مقدمة السعادة، ونجاحك في علاقتك بمن حولك يبدأ بنجاحك في التصالح مع النفس وتهذيبها، إذ إن النفس كالطفل، إن لم تفطمه وتروضه صارت سلاحاً موجهاً ضد سيدها.

والنصر الحقيقي في أي موقف دنيوي لا يبدأ مع الناس، إنما ينطلق من انتصار داخلي في مملكة الإنسان النفسية.. انتصر لله، ثم للحق في داخلك قبل أن تطلب النصر في ميدان الموقف مع الناس.

فما أكثر الفاشلين الذين ينسبون فشلهم للظروف المحيطة، وتحسس نظرية المؤامرة في كل موقف، وتعزية أنفسهم بأنهم ضحايا للحاقدين والحاسدين، دون محاولة مجابهة النفس بأخطائها وسلبياتها لتطويرها وتحديثها وتعديل مسارها من الفشل للنجاح، رغم أن من حقق النصر المطلوب على ذاته، نصره الله تعالى في ميدان الحياة.

وإذا نظرنا إلى واقعنا نجد أن الإنسان ينظر إلى الهزيمة في كل مكان: المدارس، وأماكن العمل، والوزارات، وداخل البيوت مع الأزواج والأولاد، دون أن يدرك أن الهزيمة المرئية في شتى مجالات الحياة، إنما هي انعكاس لهزيمة غير مرئية في مملكة الذات، وأن النصر الذاتي هو القاعدة للنصر الميداني الخارجي.

3- العلاقة مع الإنسان الآخر

دون بشر، ليست هناك سعادة.. فما قيمة كنوز الأرض وأموال العالم إن لم يكن حولك بشر تربطك بهم علاقات إنسانية متشعبة، أو على الأقل علاقات سطحية تكفل لك تبادل البسمة والسلام من بعيد لبعيد؟

فحب التعايش بين البشر فطرة إنسانية غرسها الله في قلوبنا لتقام عليها دعائم هذا الكون، لكن المشكلة أن سوء تصرفاتنا أو تصرفاتهم تقطع حلقات الوصل وتضيع منا السعادة التي من المفترض أن تتحقق من وراء علاقتنا ببعضنا البعض.

وحتى يتم تكوين علاقات سوية مع الإنسان الآخر، بشكل سليم وجالب للمنفعة والسعادة علينا أن ندرك قيمة هذا الشعار: "أحبّ أخي الإنسان، وأختلف معه، وأحتاج إليه".

فالحب حاجة ضرورية لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها، والاختلاف بين البشر إعجاز رباني لتحقيق التكامل والقدرة على التحاور، وبذل الأسباب للتنافس الشريف، ولو شاء الله لخلقنا أمة واحدة.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.. [المائدة: 48].

مكتبة عابث الإلكترونية

ومع مرارة الاختلاف وحلاوته، سنظل في احتياج إلى بعضنا البعض لاستكمال الحياة، بشرط أن نتغلب على الاختلاف بعدة أسس وقواعد، منها أن هناك فارقاً بين الخلاف العقلي في الأفكار، والخلاف القلبي في المشاعر والأهواء، وعندما يتعلق الأمر بحوار عقلي وفكري مع الآخرين، علينا في هذه الحالة أن ننحّي المشاعر جانباً، لنفكّر بحيادية فكرية ونعدل بالحكم على من نختلف معهم، دون أن يترتب على الخلاف في الأفكار كراهية أو عداوة.

وعندما يشتد الخلاف في الأفكار، علينا بالعقلانية والهدوء في الحوار..

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}

"الكلمة الطيبة صدقة".. حديث شريف

"إن الله رفيق، يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف".. حديث شريف

وهناك فارق بين الفكرة، وبين كيفية إيصال هذه الفكرة، وهناك فارق بين أنك على حق، وبين قدرتك على إثبات كونك على حق.

وأخيراً في علاقتك بالبشر، لو طبقتي حكمة قديمة فلن تحزني من بشر أو تكرهينه قط، وهي "عش حياتك دون أن تطلب من أحد خدمة، أو تتوقع شيئاً ستشعر بالحزن والبؤس إن لم يتحقق"، حينها سنجد أنفسنا أغنى الناس وأسعدهم؛ لأن من يزهد فيما عند البشر يصير أغنى منهم مهما كانوا يملكون ما لا يملك!

4- العلاقة مع الدنيا

حب الدنيا فطرة إنسانية، وإلا فإن الإنسان لن يرغب في امتلاكها ثم إعمارها، ولكن علينا أن نتعامل معها بتوازن حتى نستطيع أن نُسيطر عليها، ونحولها إلى مركوب ووسيلة نتقن استخدامها حتى تصل بنا إلى

هدفنا المنشود، بلا إفراط في الإقبال عليها، أو تفريط في اعتزالها والبعد عنها.

فالمتوازنون فكرياً ووجدانياً وسلوكياً هم القادة المسيطرون على ذواتهم، وعلى بيئاتهم، أما التعساء، فقد فقدوا السيطرة على ذواتهم، ومهدوا الطريق لسيطرة أعدائهم عليهم سواء النفس الأمارة بالسوء، أو الهوى والأشياء التي نميل إليها بتطرف، أو الشيطان.

وإذا شاهدتِ ذات يوم فيلم "القلب الشجاع"، فلتنصتي لجملة خالدة يقولها بطله ميل جيبسون ضمن الأحداث على لسان شخصية ويليام والاس: "كلنا سنموت، لكنْ قليلون منا سيعيشون". وحاولي بعدها أن تفكري من جديد في كل شيء، وضعي في حساباتِك وصية فرانك أوت لو: "راقب أفكارك، فهي تتحول إلى كلمات، وراقب كلماتك فهى تتحول إلى أفعال، وراقب أفعالك فهى تتحول إلى عادات، وراقب عاداتك، لأنها تصنع شخصيتك، وراقب شخصيتك.. فهى مصيرك".

باختصار أنتي التغيير الحقيقي الذي تأملينه في هذا العالم كما قال غاندي، ومن أصلح نفسه فقد أدى دوره كاملاً بإصلاح من حوله.

مكتبة عابث الإلكترونية

بحبه يا بابا

في بداية الكتاب، كنت وعدتك إني هساعدك لو قلبك دقّ في يوم من الأيام؛ لأني عارف كويس قد إيه عذاب المشاعر والأحاسيس أقوى وأصعب ألف مرة من عذاب الجسد، ولأني بحُكم عملي في الكتابة والتأليف قدرت أكوّن نظرة أوسع للحب عن غيري من الآباء التقليديين اللي معظمهم مستحيل بناتهم تقدر تصارحهم بإنها معجبة بولد مش حاسس بيها، أو إنها مرتبطة بزميل ليها في الجامعة بس لسه مش مستعد ييجي يتقدم دلوقتي، لكن أوعدك إني مهما كنت مختلف معاكي، على الأقل هسمعك أكتر من أي صاحبة أنتيم، وهاخد بإيدك وأساعدك لما تحتاجي أي استشارة عاطفية، وتلاقي الآراء اللي حواليكي متناقضة ومتضاربة لدرجة إنها بتتعبك وتحيرك أكتر ما إنتي تايهة وحيرانة.

أولاً: أحب أعرفك بنفسي، وأقولك معلومات جديدة عني (بخلاف إني أبوكي).

أنا مؤلف فيلم "تيستروجين"، اللي اسمه معناه خليط من هرمونات الذكورة "تيستيستيرون" وهرمونات الأنوثة "استروجين"، وده يا ستي فيلم رومانسي كوميدي، بيناقش فكرة: كيف يحدث الحب؟

وهل هو خطة إذا ما تم وضعها بذكاء من أحد الطرفين، فإنه يستطيع الإيقاع بقلب حبيبه أو حبيبته وجعلها تبادله المشاعر؟ أم كيمياء بين

مكتبة عابث الإلكترونية

القلوب لا دخل للبشر فيها، قد تجعلنا نتعلق بأحدهم من أول نظرة دون سبب معين، أو نبغض بعضهم من أول نظرة، ودون سبب معين أيضاً؟ أم قسمة ونصيب مكتوب في السماء، ولا مفر من تنفيذه على الأرض؟

دعيني أخبرك يا حبيبة قلب بابا، أن الحب كل ما سبق، وأن الاختيارات السابقة تصلح أن تكون إجابة صحيحة، وفي نفس ذات الوقت كلها خاطئة!

لماذا؟

لأن البشر مختلفون في التكوين، والطباع، والعقليات..

لكل منهم تركيبة نفسية وخلفية فكرية وبيئة اتولد واتربى فيها وطبيعة مشاعر تختلف عن الآخرين، تماماً مثلما تختلف أصابع اليد الواحدة فيحمل كل إصبع بصمة مختلفة..

أحدهم تجذبه الكيمياء نحو إنسانة بلا مقدمات فيقع أسيراً لقلبها، والآخر يكون خبرة في وضع خطته بعد دراسة كل ما يتعلق بضحيته فلا يتركها حتى ترضخ وتعلن استسلامها، لكنها في النهاية تستسلم بمزاجها!

ثم يأتي دور القسمة والنصيب في تهيئة الظروف القدرية التي تجعل القصة تكتمل أو تكتب كلمة النهاية مبكراً.

أؤمن يا حبيبتي أن الكيمياء قد تجعلك تميلين لأحدهم وتنجذبين إليه كالمسحورة دون أن تعرفي ليه وازاي وفين وإمتى، لكن هذه ليست نهاية اللعبة، وإنما بدايتها.

في كتاب "النجاح في الحياة كيمياء" يقول الكاتب الأمريكي توماس درايز: "قد يتشابه شخصان في كل شيء.. في الصفات، والمؤهلات،

والفرص، ولكن النجاح يوالي أحدهما ويعرض عن الآخر ويوليه ظهره.. وقد تتشابه امرأتان في الجمال والمواهب، ولكن إحداهما توفّق في زواجها، بينما تُمنى الأخرى بالفشل، فلماذا يسعد بعض الناس في هذه الحياة ويشقى آخرون؟

لأن الناس بينهم كيمياء بشرية، ونحن البشر نشبه العناصر الكيميائية، قد ينجم عن اختلاط بعضها ببعض مادة نافعة، وقد يتأتى عن الاختلاط انفجار، وفي الحالة الأولى يكون النجاح والسعادة، وفي الثانية الفشل والشقاء.

والعلم أثبت مؤخراً إن فيه خريطة للحب موجودة في دماغ الإنسان في عقله الباطن تحديداً.. الخريطة دي عبارة عن مجموعة من الصفات والطباع والملامح اللى بنحبها ونفسنا نلاقيها في الطرف التاني.. وأول ما نقابله أتوماتيك بنتعلق بيه ونرتاح له.. وساعتها بيفرز الجسم هرمونات إضافية وكميات كبيرة من مادة الأدرينالين اللي بتسبب إن الوش يحمر.. والإيدين تعرق.. والقلب يفضل يدقّ بسرعة لغاية ما نكون مش قادرين ناخد نفسنا.. هي دي سر معادلة الحب اللي بنقع فيه فجأة وإحنا مش عارفين ليه وازاي.

لكن المشكلة إنك ممكن تحبي شخص ما، وتجذبك كيميتك ناحيته لكنه لا يشعر بقلبك ومشاعرك ونظراتك، وكأنك بالنسبة له لا شيء يُذكر.. يا ترى هنعمل إيه ساعتها؟!

طبعاً ساعتها هتعيشي أيام صعبة، ما بين تفكير لا يتوقف، وسرحان، وتخيل وتوقع لعشرين احتمال في الثانية إلا احتمال إنك مش هترتبطي بيه؛ لأنك هتبقي شايفة ساعتها إنك مش هتقدري تعيشي من غيره!

مكتبة عابث الإلكترونية

شوفي يا ستي.. أكتر حد ممكن يصعب عليا في الحب، هو بنت بتحب ولد من طرف واحد، خصوصاً في مجتمع زي مجتمعنا المعقّد.. لو الولد حب بنت من حقه يروح يصارحها بحبه.. من حقه يتشاق ويلمّح بنظرة، بكلمة، برسالة على الموبايل أو على الفيس بوك، بصورة ممكن يعملها (شير) ويحط لها (تاج) فيها، كل ده من غير ما حد ينتقده أو يقلل منه، لكن البنت يوم ما تحب ولد أو تعجب بيه بتعيش في رعب! رعب إن حد من اللي حواليها يلاحظ نظراتها ويكتشف إنها بتحب وكأن الحب عيب.. رعب إن زمايلها في الجامعة أو الشغل يفهموا إنها معجبة بفلان فتتعمل عليها حفلة نميمة، والكل يقطع في فروتها أو يعايروها إنها معجبة بواحد مش حاسس بيها وكأنها شتيمة.. ولو بلعت حبايتين شجاعة وما همهاش كلام الناس وقررت تلمّح له، بتبقى كارثة لو طلع غبي وما فهمش التلميح، أو عمل عبيط عشان مفيش جواه مشاعر أو شيء إيجابي ناحيتها، ساعتها بتقع في حيرة وعذاب.. طب أعمل إيه تاني؟ أفهّمه إزاي؟ أروح أصارحه إني بحبه؟ طب افرض رفض.. هيبقى شكلي إيه ساعتها؟ ويا ترى هيحكي لكام واحد من أصحابه؟ وهعمل إيه لو سيرتي بقت على كل لسان؟ وافرض عمل نفسه موافق عشان يتسلى بيا باعتباري حاجة ببلاش كده وجت بسهولة؟ خلاص أنا هسكت واستنى.. بس افرض فضلت على الحال ده اللي مش قادرة أتحمله؟ يا ترى هقدر أستحمل لحد إمتى؟ هار إسود.. شكلي كده هعيش أيام سودة!

لأ طبعاااا!

بابا حبيبك مش هيسمح لمخلوق يكسرك أو يعذبك، وهيقف جنبك لحد ما نوصل لبرّ الأمان.

كل ما عليكي بس إنك زي الشطورة تيجي لبابا وترمي في حضنه، وتدّيه فرصة يمسح شعرك ويطبط عليكي ويبوس إيدك، ولما يسألك: "شكلك عايزة تقولي حاجة؟"، إوعي تتكسفي أو تتهربي منه وتقولي: لأ مفيش. وبعدين تسيبيه وتمشي وتدخلي أوضتك تلفي حوالين نفسك خمسين لفة في الدقيقة، وبعدين ترجعي تاني تدخلي عليا الأوضة وإنتي بين نارين وفي سرك عمالة تقولي: أقول له ولّا ما أقولش؟

خشي في الموضوع على طول

احكي كل حاجة بالتفصيل الممل من طأطأ لسلامو عليكو، وهنا بقى ييجي دور التخطيط، بس المهم يكون باباكي بيعرف يخطط كويس بدل ما يلبّسك في الحيط!

بس في الأول خلينا نتفق إن التخطيط مش إنك تخلي حد يحبك بالعافية وهو مش بيحبك، لكن هو إنك تعملي اللي عليكي صح، وبشكل مناسب، عشان تنولي شرف المحاولة.. عشان ما تلوميش نفسك في يوم من الأيام وتقولي يا ربتني كنت قلت كذا أو عملت كذا.

التخطيط إنك تكتشفي المفتاح الخفي لفتح باب قلب حبيبك المغلق أو الغامض، لكن خدي بالك ممكن بعد ما تفتحيه تلاقي جواه حد، أو تلاقي شكله من جوه غير جذاب أو مطمئن كما كان يبدو من الخارج.

التخطيط مش إنك تشوفي بيحب إيه وتعمليه، فيبقى شكلك باين أوي إنك بتفصّلي نفسك على مقاسه، وده سبب كافي إن الراجل يتكبر و"يتعنطظ" ويصرف نظر: لأنه أصلاً مش بيحب الفريسة السهلة!

التخطيط إنك تباني جامدة جداً بيه أو من غيره، عشان نفسك مش عشانه، ويبدأ من قربك من ربنا سبحانه وتعالى، وتدينك الظاهر في معاملاتك الإنسانية سواء بأمانتك، وصدقك، وإخلاصك، وصراحتك

مكتبة عابث الإلكترونية

مع الناس دون نفاق أو رياء، وهو ده التدين الحقيقي اللي لازم تهتمي بيه قبل التدين الشكلي الظاهري اللي ممكن يخفي داخله شخصية غير سوية أبعد ما تكون عن ربنا ودينه وتعاليمه.

إنك تكوني جذابة ومبهرة في شخصيتك، وعقليتك، ومستواكي الاجتماعي، وطريقة كلامك، ولبسك..

في الكتب اللي بتقريها، واللغة اللي بتتقنيها، والرياضة اللي بتمارسيها، والمزيكا اللي بتسمعيها أو تعزفيها، والرسم اللي بتعرفي ترسميه.. في صاحباتك الشيك الاستايل اللي بيدلوا على أخلاقك وتربيتك؛ لأن المرء على دين خليله.

باختصار لازم من يومك تكوني على قد ما تقدري Super woman ما يحلمش بيها أي ولد، مش تبدئي لما تلاقي اللي قلبك اتشدّ له تشوفي ازاي تزودي الـ Options بتاعتك.

وبعدين؟

ولا قبلين.. ممكن يكون الإنسان اللي أعجبتي بيه ماكانش في دماغك أصلاً، يعني مش شرط الإعجاب يحصل من أول نظرة، لكن تسألي نفسك مع الوقت: هو إزاي قدامي الوقت ده كله وما اخدتش بالي منه؟ ده حبيبي مش زميلي! وممكن تقعي من أول نظرة.

في كل الأحوال إوعي تمنحيه مشاعر مجانية وكلمات مشحونة بالعاطفة.. لكن امنحيه آراء فيها قدر من ثقافتك ورؤيتك في الحياة بدون افتعال عشان ما يبانش إنك بتتلككي أو بتتحججي.. الحياة هتبعت مواقف من نفسها عشان تظهري فيها اللي عايزة تظهريه بدون افتعال.. ومش مع كل موقف تظهري خبراتك وثقافتك عشان ما يبانش إنك متعمدة فيحس إنك متكلفة ويقفل منك.. خلي آرائك

الحكيمة بمقدار، يعني مش في كل مرة.. خلي أوقات تقعدي معاه وإنتي لابسة السماعات الهاند فري وبتسمعي مزيكا أو مندمجة مع أغنية وبتغني معاها على طبيعتك من غير ما تهتمي بيه، وأوقات تطلعوا رحلة فتكوني مرحة ودمك خفيف بشكل جذاب مش بشكل مبالغ فيه يظهرك إنك عبيطة، ولا بهزار مبالغ فيه مع الولاد فتباني صايعة.. وفجأة اخطفيه.. تعالى اركب معايا اللعبة دي عشان بخاف منها.. حسّسيه باهتمامك.. وفجأة ابعدي بشكل غريب يخليه يلفّ حوالين نفسه.. هي إيه حكاية البنت دي؟ هي معجبة ولّا مش معجبة؟ الرجل يعشق من يستفزه، ولا يلتفت إلى اللقمة سهلة المنال.. ثم واصلي هذه اللعبة.. اقتربي خطوة، وبعدها ابعدي 3 خطوات، وبين خطوة وخطوة أوصيكي بالصبر ثم الصبر ثم الصبر، وزي ما المثل بيقول: "أتقل تاخد حاجة نضيفة".. خلي ابتسامتك ساحرة، وطوّلي في النظرة اللي حاولي تطلع زي السهم الحارق الخارق، لكن بدون مبالغة عشان ما يطلعش شكلك أهبل.. ألعبي لعبة الصراحة معاه هو وباقي الشلة.. اتجمعوا على ماندة مستديرة ومعاكم زجاجة فارغة، اجعلوها تدور، وحين تتوقف فوّهتها ناحية شخص أسألوه ما بدا لكم من أسئلة، وراعي في اللعبة دي تكوني ذكية.. تفتحي الباب وتقفليه بشكل مربك.. تقولي كلام يكون ليه أكتر من معنى.. لو حد سألك: الشخص اللي إنتي معجبة بيه معانا دلوقتي؟ ابتسمي بهدوء وقولي: معانا ومش معانا!

ووسط حيرته هيبدأ يتابعك.. هيدخل صفحتك على الفيس بوك ويراقب بروفايلك.. هيشوف صورك واهتماماتك.. هيعمل دراسة كافية عنك ويحطك تحت الميكروسكوب، وساعتها لازم تظهر له صورة مشرفة مليئة بالأخلاق والثقافة والأدب والفنون والرياضة والأناقة

مكتبة عابث الإلكترونية

والاستايل فيزداد تعلقه بيكي. ويبدأ يحطّ خطته عشان يوقعك في حبه وهو مش حاسس إنه ماشي في الاتجاه المحدد له بخطة سبقتنا إليها.

ده التخطيط المحترم اللي بيوصّل لبر الأمان، لكن فيه تخطيط تاني رخيص ممكن يصنع المستحيل ويوصل قلبين لا أمل من ارتباطهما، لكنه من المستحيل أن يضمن استمرارية السعادة والارتباط، زي إنك تلبسي قناع بشخصية غير شخصيتك، إنك تكدبي وتضفي على نفسك صفات مش فيكي، وقدرات وهمية إنتي ما تعرفيش عنها حاجة، وتتكلمي عن كتب قريتها وإنتي أصلاً مش عارفة المؤلف بتاعها، بخلاف إنك تخططي لإفساد العلاقة بين قلب من تحبيه وقلب آخر اكتشفتي إنه مرتبط بيه، حتى تزيحيه من طريقك وتحلي محله، وصدقيني الدنيا "سلف ودين" وكلنا نشرب من نفس الكأس الذي سقينا منه البشر.

لو بعد كل ده حصل ارتباط يبقى الحمد لله خير وبركة، وساعتها افتكري كلام توماس ميرتون: "بداية الحب هي إرادة السماح للّذين نحبهم أن يكونوا أنفسهم تمامًا، العزم على عدم لَيّهم حتى يناسبوا صورتنا نحن في حبّنا لهم، إذ لم نحب ما هم عليه، إنما فقط شبههم الممكن بنا، فنحن لا نحبهم: نحب فقط انعكاس أنفسنا الذي نجده فيهم".

لكن لو لا قدّر الله وما حصلش، يبقى عادي جداً.. عملتي اللي عليكي، وزي ما ظهر في حياتك ولد عجبك وما ارتبطيش بيه، مسيره هيظهر حد تاني أحسن، والحياة عمرها ما وقفت على حد.

ماتي بنت قالت مستحيل أعيش من غير حبيبي وماتت بعد ما سابها أو سابته.. كلنا بنتخيل وقت الصدمة وعدم اكتمال القصة إنها نهاية العالم، وهو نفس الشعور الذي شعرت به تلك السيدة التي تسير أمامك في الشارع مع زوجها الآن وفي يدها طفل، وعلى كتفها طفل آخر حين كانت مرتبطة من قبل بشخص آخر تمنت لو انتحرت بعد فراقه، لكنها لم تعد تتذكّره وصار نسياً منسياً.

نفس الشعور طالما راودني، وراود أمك، وراود ملايين البشر على ظهر الكرة الأرضية، ثم لا شيء.. الحياة مستمرة ولن تقف على شخص مهما حاولتي إنكار تلك الحقيقة الكونية أو عدم الاعتراف بها.

وبرضه بلاش تبصّي على اللي ما نجحوش في الارتباط باللي بيحبوهم وبس، بصي كمان على ولد وبنت كانوا هيموتوا ويرتبطوا ببعض، وبعد الجواز وسقوط الأقنعة، إزاي كل واحد بقى يلعن حظه، وبندم على اليوم اللي اتجوز فيه، لدرجة إنهم أصبحوا فرجة للناس بمشاكلهم وخناقهم وزعيقهم، والنهاية يا إما طلاق، أو كل واحد يعصر على نفسه ليمونة ويعيش تعيس بقلب محطم وهو مش قادر ينفصل عشان الأطفال.

يعني إنك تبكي على نصيب لم يكتمل، أحسن وأهون بكتير من البكاء على نصيب اكتمل، وأصبح أمراً واقعاً لا مفر منه!

بخلاف أن الاستمرار في الحب من طرف واحد شيء غبي جدا، وما ينفعش حد يسمح لنفسه إنه يكون رخيص لهذه الدرجة حتى ولو في عين حبيبه، ولو جاله هذا الشعور وفشلت كل محاولاته في الإيقاع بمن يحب، يبقى لازم يقاومه بكل وسيلة ممكنة.. ما يصحش وما ينفعش يكون ضعيف قدام حبه لدرجة إنه يستجدى أو يشحت

مكتبة عابث الإلكترونية

المشاعر من الطرف التاني، وبرضه بعدما يرخّص نفسه مش هيوصل للي هو عايزه.

ودلوقتي استكمالاً للكلام عن الحب والمشاعر وصعوبة التحكم فيها، تعالي أقول لك على مقال في غاية الأهمية لأستاذنا المفكر العظيم الراحل د. مصطفى محمود، بعنوان "الحب عاطفة غير ديمقراطية".. تيجي نقراه؟

"الحب هتلر.. نيرون.. كاليجولا.. يأمر دون أن يحاول أن يبرر أوامره أو يبحث لها عن منطق أو أغلبية تساندها..

إنه طاغية حر.. حرية لا تقبل مراجعة..

إنه منتهى الحرية..

إنه الحرية التي تسقط فيها الموانع.. ويختفي الآخرون ولا يبقى فيها إلا أنا وحبيبي.. أنا وروحي.. أنا وأنا..

وهذا سر اللذة التي تدوخنا ونحن نحب.. والحالة الملكية السلطانية التي نعيش فيها ونحن نعشق..

ولو أن الحب كان موضوعاً للنصح والمشورة والمنطق، لأصبح موضوعاً عادياً كالزراعة والتجارة والهندسة.. ولأصبحنا نرسم قبلاتنا على الشفاه كما نرسم الكباري على الورق..

ولكن القُبلة ليست مشروعاً.. إنها شيء كالمرض.. إنها حمى تدوخ الرأس وتفكّ صامولة المفاصل..

وأنت لا تستطيع أن تقبّل حبيبتك وأنت في نفس الوقت تقرأ الجرائد وتهزّ ساقيك..

إن القُبلة تستولي عليك كُلّك.

أما رسم كوبري على الورق فهو مشروع هادئ بارد تقوم به وأنت تدخّن وتصفر وتلقي بالنكات من حولك.

في جلسة شاعرية روى لي صديقي قصة حبه، وقال يشرح لي عواطفه التي استمرت ثماني سنوات تدور حول امرأة واحدة.

إنها حبيبتي.. حياتي.. إننا شخص واحد.. عيوبها أصبحت كعيوبي، أحتضنها وأبحث لها عن عذر.. ورغباتي تعبّر هي عنها قبل أن أنطق بها..

انتهى بيننا ذلك الشيء الذي اسمه: الخجل.. والكرامة.. والإهانة.. والكبرياء.. فأنا أخلع ثيابي في حضورها وكأنها غرفتي الخاصة.. وهي تخلع ثيابها أمامي تتفوه بالعبارات التي تخجل أن تقولها لنفسها.. تقولها لي بفرح الطفلة التي لا تعرف الحياء..

لم نعد نعرف العيب.. لأننا فقدنا الاتصال بالناس.. واكتفينا بأنفسنا.. هي لي.. وأنا لها.. أنا أكتب لها.. وأسهر لها.. وأشرب لها أنا هو أنا.. لأن هناك في الدنيا امرأة اسمها كذا.. جعلت مني الرجل الذي تراه أمامك..

وتكلم كلاماً كثيراً بحدة وانفعال وهو يشرب ويسكر..

وتساءلت وأنا أفكر.

هل كان أي من الأسباب التي ذكرها.. هو السبب الذي جعله يحبها كل هذا الحب؟

لا أظن..

إنه يحبها.. لأنه يحبها.. هكذا ببساطة..

إن كل واحد من هذه الأسباب يمكن أن يكون سبباً للنفور..

ويمكن أن يكون سبباً للحب.. ومزاجه هو الذي جعل منه سبباً للحب.

مكتبة عابث الإلكترونية

لو أنه أحب امرأة خجولاً.. لأصبح خجلها من دواعي حبه..
ولو أنه أحبها متكبرة لأصبح كبرياؤها من دواعي عبادته.
الحب ليس له صورة يُعرف بها..
إنه مرآة المزاج.. والمزاج متقلب مع العمر.. وله فصول.. مثل فصول الصيف والشتاء والربيع والخريف.
وصاحبي في صيف مزاجه.. والمرأة التي يحبها هي امرأة صيف.. وغداً في ربيع مزاجه سوف يحب امرأة أخرى.. بالرغم من كل هذا السُكْر والانفعال.. وسوف تكون على نقيض الأولى في صفاتها.. وسوف يسكر مرة أخرى في صحتها..
إن الحسنة على الخد التي نظن أنها هي التي أوقعتنا في الهوى.. ينظر إليها غيرنا في نفور واشمئزاز ويعتبر أنها عيب.. والمسألة مسألة كيف.. والكيف هو الذي يلوّن لنا الصفات التي نحبها..
ودولة الكيف دولة بلا دستور.
والمزاج هو الرقعة الوحيدة الحرام التي لا تدخلها معقولية ولا منطق..
إن الواحد منا لا يعقد برلماناً من عائلته ليقرر إن كان سيشرب الشاي أو القهوة.. وهو لا يضع مبررات ولا يقدم حيثيات لاختيار البدلة الكحلي أو البدلة الرمادي، وإنما هو في العادة يكتفي بأن يقول.. أنا عاوز كده. فإذا قالوا له: إن الشاى يعمل لك إمساكاً.. والقهوة تسهرك.. واللون الكحلي غامق عليك في الصيف.. فإنه يكتفي يقول مرة أخرى.. يا إخوانا أنا بحب كده.. كيفي كده.. هوايا كده..
وهو في العادة يشرب الشاي ويلبس الكحلى.. ويمشى على مزاجه ولا يعبأ بأحد..

ليه؟!
الناس تأكل الشطة.. تصرخ من الألم.. ليه؟!
مزاج..
والمزاج هو الحرية..
إنه مجال حريتنا الوحيد.. في وسط الأسلاك الشائكة المكهربة المنصوبة حولنا:
إن نفوسنا المسكينة محاصرة بالواجبات.. والالتزامات.
التزامات العائلة..
والتزامات المدرسة..
والتزامات الوظيفة..
و التزامات الطبقة الاجتماعية التي ننتمي إليها..
والتزامات الخلق.. والدين والصداقة.. والمجاملة.
وفي وسط هذه المطاردات التي يطاردنا فيها الآخرون نبحث لنا عن لحظة.. تكون ملكنا.. نبثّ فيها مكنونات قلبنا.. وذات نفوسنا وأشواقنا.. وهذه اللحظة هي مزاجنا.
فنجان الشاي.. والسيجارة.. وقرن الشطة.. وسلطانية المخلل.. والدردشة مع نفس نحبها في ساعة صفاء، هذا كل ما تبقى لنا من الدنيا.. ولهذا نتمسك جداً بهذه الساعة، ولا نقبل فيها مساومة أو منطقاً أو نصحاً أو مشورة: لأن هذه اللحظات هي لحظتنا.. مزاجنا.. حريتنا.. إنها مثل شاربنا.. لا نقبل أن يساومنا أحد في مصيره.. نحلقه حينما نريد أن نحلقه.. ونربّيه حينما نريد أن نربّيه.. مجموع ما تنفقه الدولة لاستيراد اللب والسودانى والبندق والفسدق والسجاير والخمور والأفلام السينمائية والكتب البوليسية وأجهزة الراديو

مكتبة عابث الإلكترونية

والتلفزيون والأسطوانات وأشرطة التسجيل وورق الصحف وأصناف البارفان.. أكبر مما تنفقه على إنتاج الحديد والصلب.. وهذا طبيعي: لأن هذه الأشياء ليست كماليات.. ولكنها ضروريات..

إنها المزاج..

والمزاج هو صميم شخصياتنا..

الفلفل كان زمان سعره أغلى من الذهب.. حينما كانت السفن تحمله من الهند وتدور به حول إفريقيا عبر رأس الرجاء الصالح.. وكانت دراهم الفلفل هدايا خطيرة يتبادلها الملوك..

والسبب هو المزاج..

وكان الفلفل مزاجاً..

ولا شيء يساوي المزاج.. كما أنه لا شيء يساوى الحرية.. ونحن ندفع كل ما نملك في سبيل مزاجنا.. كما ندفع عمرنا في سبيل حريتنا.

المرأة تضحي بعمرها في انتظار زوج على مزاجها.. فإذا لم تجده.. فإنها قد تضحي بشرفها لتحصل عليه رجلاً لا زوجاً..

إنه المزاج..

نابليون خرب الدنيا؛ لأن الحرب كانت مزاجه..

وقد دفعنا جميعاً ثمن هذا الأفيون النابليوني.. ودفع هو أيضاً الثمن مضاعفا في النهاية..

إنه المزاج نقطة ضعفنا جميعاً؛ لأنه الثغرة التي يدخل منها الإغراء ولا يحرسها العقل.. ولا يجدي فيها العقل.. ولهذا نهانا القرآن عن الهوى والمزاج.

المرأة التي تدخل إليّ من بوابة مزاجي تصيبني في مقتل.. تصرعني..

اللهم اكفني شر نزوات مزاجي.. أما نزوات عقلي فأنا كفيل بها".

واختتم كلامي عن الحب والهوى بمقتطف من مقال "والمحصول صفر" للدكتور مصطفى محمود أيضاً الذي يقول فيه:

"لا يوجد وهم يبدو كأنه حقيقة مثل الحب..

ولا حقيقة نتعامل معها وكأنها الوهم مثل الموت!! فليس هناك أمر مؤكد أكثر من الموت، ومع ذلك لا نفكر أبداً بأننا سنموت، وإذا حدث وفكرنا لا يتجاوز تفكيرنا وهماً عابراً عبور النسيم.

والعكس في حالة الحب، فرغم أن الحب دائماً أمر يزينه الخيال ويضخّمه الوهم ويجسّمه التصور وتنفخ فيه الشهوات، ورغم أن الحب يشتعل وينطفئ ويسخن ويبرد، ورغم أن أحواله وتقلباته تشهد بأنه وهم كبير، إلا أننا نتعامل معه بالرهبة والتقديس والاحترام والخضوع.. ونظل على هذا الخلط والاختلاط حتى نفيق على الصدمة، فنصحو ونستعيد رشدنا لأيام أو شهور أو سنوات، ولكن لا نلبث أن نستسلم إلى إغماء جديد.

وسبب الخلط والاختلاط هو دائماً خطأ في النسبة.. فنحن دائماً ننسب الجمال الذي شاهدناه والحنان الذي تذوّقناه إلى صاحبته، مع أنها ليست صاحبته ولا مالكته.. ولو امتلكت امرأة جمالها لدام لها.. ولكن الجمال لم يدُم لأحد؛ لأنه منحة وإعارة من الله بأجل وميقات، وهو قرض يستردّه في حينه.. فصاحبه ومالكه هو الله وليس أي امرأة.

وكذلك كل ما نعشق من حنان ومودة ورأفة وحلم وكرم، كلها منح وأوصاف مستعارة من الودود الرؤوف الحليم الكريم.. وهو مالكها بالأصالة.. ونحن نملكها عنه بالقرض والإعارة.

ولكن العين التي تعشق الجمال تخطئ نسبته وملكيته، فتظنه لصاحبته، فتعشق صاحبته وتعبد صاحبته.

مكتبة عابث الإلكترونية

وهي تظل في هذا الوهم حتى تفيق على القبح يطل من تحت المساحيق، والقسوة تظهر من وراء الأهداب، فتصحو على الصدمة وتعاني وتتعذب وتندم وتعتبر وتتوب، ثم تعود فتنسى وتنزلق إلى وهم جديد..

وتلك هي الغفلة المستمرة التي نعيش فيها جميعاً.. نفيق منها لحظات لنعود فنغرق في سباتها من جديد، ولا يسلم من هذا البلاء إلا نبي معصوم أو ولي عارف يحفظه ربه ويسدل عليه كنفه.. فلا يرى حيثما تولى إلا وجه الله".

في ليلة العمر

تعرفي إنك يوم فرحك بالفستان الأبيض هتبقي ولا الملايكة؟

طب تعرفي إني مش خايف أموت غير عشان مش عايز حد يزوّقك ويحط لك المونيكير غيري..

أيوه عارف إن دي حاجة أنثوية، وإنها غالباً بتبقى مهمة الكوافير والماكيير، بس صدقيني عمر ما حد على وجه الأرض هيقدّر مواطن جمالك، ولا يكون حنين على بشرتك ويعرف أسرارها قدي.

مش متخيلة أنا بحبك قد إيه، ولا نفسي أشوفك بالفستان الأبيض إزاي؟

عارف إن الفستان الأبيض حلم عمر كل بنت.. وإن مفيش حاجة في الدنيا ممكن تسعدها في الواقع أو حتى الخيال قد اليوم اللي هتلبس فيه الفستان الأبيض والطرحة الموصولة بالتاج الملكي، لكن غصب عني بنافسك في فرحتك بهذا الفستان، عشان عارف قيمة الملكة اللي ربنا رزقني بيها، وحاسس إن خادمها المطيع، وعبدها اللي ربنا خلقه عشان يحرسها ويخاف عليها ويحقق أحلامها مستحيل حد في اللحظة دي هيكون أسعد منه.

لو ربنا أمهلني ليوم زي ده مش هقدر أوعدك إني أكتم دموعي أو أحبسها، مش عايز أفسد فرحتك بس صدقيني يا بنتي ده شيء فوق احتمالي.. إذا كنت مش قادر أمنعها دلوقتي لمجرد إني سرحت بعين

مكتبة عابث الإلكترونية

الخيال وشوفتك وإنتي عروسة. يبقى هعمل إيه وحلم العمر بيتحقق قصاد عيني؟

همنع نفسي إزاي وأنا شايف حتة مني خلاص كبرت، وخارجة من حضني ورايحة لحضن حد تاني هتنام فيه لأول مرة بعيد عني؟

همنع نفسي إزاي وبنوتي الحلوة وملاكي الصغنن على مشارف أعتاب الأمومة، وبين يوم والتاني هتخليني أتحول من خانة "بابا" لخانة "جدو"؟

همنع نفسي إزاي وبنوتي بتتحول من آنسة لمدام، وبعد ما كانت اسمها "جنى شريف" هتبقى مدام فلان الفلاني؟

مش قصدي أحقد عليه والله، بس غصب عني الموضوع فوق احتمالي. إني أكبر وأربي ويبجي حد في الآخر يقطف أجمل وردة ربيتها في بستاني عشان يحطها في الفازة بتاعته، مع إني عملت نفس العملة مع أمك لما أخدتها من حضن أبوها وهي دي سُنّة الحياة!

ومن ضمن أسباب إني نفسي أحضر يوم زي ده، هو المشهد التاريخي اللي اتأثرت بيه في كل الأفراح، لما كنت بشوف أبو العروسة وهو نازل بيها سلالم القاعة أو الفندق متأبطاً ذراعها لحد ما يسلمها للعريس اللي بيضحك ضحكة واسعة من الخد للخد، كأنه بيغيظ أبوها وبيغيظ كل المعازيم، لكن أوعدك إن المشهد ده هيدخل عليه تعديل يومها، بمجرد ما يمد إيده عشان يستلمك مني، قوم أنا أسحبك تاني كأنك استك، وأقوم مقرب أنا منه وأميّل على ودنه وأقول له بابتسامة عريضة حتى لا تلفت نظر المعازيم، وصوت واطي عشان محدش يسمع غيره: "إنت واخد أغلى حاجة في حياتي كلها.. يوم ما تزعلها أنا مش هطبطب وأدلع عشان البيت ما يتخربش حتى لو مخلفة منك

دستة عيال.. بنتي اتولدت عشان تعيش ملكة، فيا تبقى ملكة عندك يا تفضل ملكة في بيت أبوها".

بس صحيح إنتي ناوية تعملي فرح أصلاً؟

شوفي يا ستي.. الكلام اللي جاي ده مش كلامي، بس بصراحة لما قربته عجبني واقتنعت بيه، مع إني مش عارف مين صاحبه.. إيه رأيك تقربه وتفكري فيه؟

لو عايزة تعملي فرح لازم تعرفي إن القاعدة بقت إن أي فرح أقل من 30 ألف جنيه يدخل في تصنيف الفرح "العِرّة".. (30 ألف دول بمعيار لحظة كتابة السطور، والله أعلم على أيامك هتكون تكلفة الأفراح النضيفة كام) إذاً عندنا سيناريو من اتنين:

السيناريو الأول.. توفري إنتي والمحروس جوزك الـ 30 ألف دول، وفي المقابل هتتمتعوا بالمزايا الآتية: تسافروا سفرية لمدة عشر أيام أو أسبوعين في جزيرة مش هتسافروها في عمركم كله، وتمنجهوا نفسكم بقى عصاير استوائية وتشتروا قبل ما تخلفوا آخر هدمة نضيفة بالشيء الفلاني، أو تجيبوا تليفزيون 3D ٥٥ بوصة تشوف فيه المذيعين آاااد الدنيا وتلاجة كبيرة بتعمل تلج لوحدها، يقعدوا الاتنين معاكم سنين، أو مثلاً تجيبوا living room ست قطع lazy boy، وممكن مثلاً تشتركوا في gym نضيف سنتين وجوزك يحط الباقي مقدم عربية زيرو قسط، أو توفروا مصاريف أول 3 سنين لابنكم في مدرسة محترمة مع عيال أمامير ولاد ناس أغنيا وغيره وغيره.

أما السيناريو التاني، إنكم تصمموا تعملوا فرح فيبجي العريس وسط زفة الحصان والبخور يزغر لك ويقفش عليكي ويقول: "إحنا مش اتفقنا على زفة دمياطي؟".

مكتبة عابث الإلكترونية

ولما تيجوا تدخلوا القاعة ويمضي على الجيست بوك وإنتوا داخلين فيلاقي واحد كاتب له فيه "ابقى ارفع راسنا يابن الموكوسة".

ده غير إفيهات أصحابه المحترمين.. "شد حيلك يا عريس" و"الليلة ليلتك" و"هتشرفنا ولا إيه"، وخش بقى بعديها على فقرة "بخر العروسة" وتقطيع التورتة، والبوسة التلكيكة، وتبديل الدبل، وكله كوم والكحة وحرقان العينين من شو الليزر والدخان كوم تاني..

وكالمعتاد، هيشغّل الـ D.J نفس الأغاني المكررة بتاعة "الدنيا زي المرجيحة" و"سوق البنات" ده غير مهرجانات "أوكا وأورتيجا" و"أنتش وأرعش"، وبعدين يقول شاب الدي جي الكيوط: "يلا يا جماعة.. أصحاب العريس ييجوا كده، وأصحاب العروسة يروحوا الناحية التانية"، وتبدأ لحظات التظبيط بين الولاد اللي عايزين ينبسطوا ويصاحبوا، والبنات اللي هتموت وترتبط، وحالفة إنها ما تمشيش غير وهي متظبطة ومعاها رقم تليفون عم الحبّيب!

ويا سلام بقى على الفقرة السحرية الشبابية الشهيرة "دلع النونة" اللي بيتلمّ فيها الشباب على العريس ويفضلوا يرفعوه في الهواء كذا مرة، وهو وحظه مع أصحابه اللي ممكن وهو بيطير في الهوا يهادوه هدية معتبرة هيضطر ياخدها وهو ساكت عشان شكله ما يبقاش وحش!

بعدين ياكل المعازيم بالـ 30 ألف جنيه، ويخلصوا الفستق والكاجو، ويخرجوا بعد سهرة قصيرة مختتمة بأغنية "سهر الليالي" ممتعضين من مبالغة الترتر في فستان العروسة وماكياجها الـ Over ده غير الديك اللي ماكانش مستوي كويس، والبوفيه اللي مش قد كده، وفي النهاية، لا إنتوا تمتعتوا بمزايا السيناريو الأول العظيمة طويلة الأجل، ولا حفظ المعازيم المعروف".

طبعاً لو كلامي مش عاجبك، تقدري تعملي اللي إنتي عايزاه في ليلتك الجميلة.. أنا كنت معترض قبل جوازي على كل تفاصيل السيناريو التاني، ومع ذلك نفّذته.. بس مش بالظبط يعني☺

مكتبة عابث الإلكترونية

البقاء لله

حبيبتي جنى..

جربتي تموتي قبل كده؟

أنا جربت الإحساس ده كتير.. أصلك مش بتموتي مرة واحدة.. موت الإنسان بيتم بالتدريج، لما تبدأ حاجات غالية عليه تموت حاجة فحاجة.

كل لحظة بتعدي في حياتك بمثابة موت؛ لأن عمرك ما هو إلا تجميع للحظات وثواني ودقايق وساعات وأيام وأسابيع وشهور وسنين، في عقد مفروط كل ما ضاعت منه حبة، تذهب بلا رجعة لحد ما إنتي نفسك هتبقي مجرد ذكرى غير موجودة، بعد ما يتلاشى وجودك المادي ويتحلل جسدك الفاني.

ده غير الموت اللي بنموته وإحنا عايشين بنودّع في حاجات بتموت.. أهلنا وقرايبنا وأصحابنا وجيراننا وزمايلنا ومعارفنا من بعيد لبعيد وغيرهم من الناس اللي بيزورهم "عزرائيل" في أوقات مفاجئة، ويرحل وهو واخد معاه حتة منك راحت ومش هترجع تاني.. جزء من تكوينك وذكرياتك وعلاقاتك الإنسانية بتفقديه بفقدانهم، نصايح غالية، ومواقف شهمة، وكلمات ترحاب، وخروجات ومقابلات بعضها ذات طابع مرح إلى درجة الكوميديا، وبعضها درامي لدرجة التراجيديا، وفي النهاية كلهم بيتحولوا لماضي لا مكان له إلا في ذاكرتك.

مكتبة عابث الإلكترونية

وكله كوم والموت المتعلق بفقدان أجزاء عزيزة من نفسك اللي ساعات بتتحلل وتتعفن وإنتي لسه على قيد الحياة وفي نظر الناس عايشة كوم تاني!

مدرستك القديمة اللي شوفتي فيها طفولتك. أول معنى للتعارف والزمالة. أول قصة حب كنتي فاكرة إنها هتكمل وفي الآخر ما كملتش. وشرّفت جنب إخواتها من قصص الحب الأول الفاشلة اللي بنفتكرها ونضحك مع إننا من جوانا بنبكي. أول مرة تقابلي فيها الموت وجهاً لوجه وتعرفي إن فلان الفلاني مات، وإنك مش هتشوفيه تاني. صاحبتك الأنتيم اللي ما بقتش أنتيم وضاعت في مجرى الزمن من غير ما تعرفي لها عنوان أو رقم تليفون. أيام الثانوي والكلية اللي كانت جميلة وممتعة وما اتبقاش منها غير ذكريات وصور مش فاكرة اتصورتها إمتى ولا مين اللي صورها، بس لسه فيها لمحة من السعادة والبراءة. وظيفتك اللي سبتيها عشان ما ارتاحتيش فيها، وراح معاها ناس كنتي بتحبيهم وفاكرة إنهم هيبقوا أصدقاء لحد آخر العمر.

الموت هو أصل الأشياء، وما الحياة الدنيا إلا استثناء بسيط. وبروفه كان لازم نعيشها، لذا عشت عمري كله صديقاً له، متصالحاً مع مرارته وقسوته: لأنه لا مفر ولا هروب منه. كميت يعلم ويدرك أنه مجرد زائر عليه حزم أمتعته وتجهيز حقيبة السفر استعداداً للرحيل.

كنت بضغط على نفسي واشتغل 12 ساعة، وساعات 16 ساعة، وساعات 18 ساعة في اليوم، ده غير أيام كاملة كنت بفضل فيها صاحي لإنجاز عمل معين أو كتابة فكرة اندمجت فيها ولم أستطع أن أتركها حتى لا أفقد خيوطها المتشابكة لدرجة التعقيد، وكل ده ليه؟

لأن الحياة قصيرة، والفكرة بمجرد ما تتولد جوانا بتبقى حمل تقيل وأمانة خايف تموت قبل ما توصّلها على أكمل وجه.

عشت عمري كله غير مهتم ببناء البيوت، ولا تشطيب الشقق، ولا ادّخار المال والذهب، أو امتلاك السيارات الفارهة، بقدر اهتمامي ببناء العقول، وتثقيف الأمخاخ، وصنع مجد شخصي قائم على أفعال وأقوال حميدة، وعمل سيرة طيبة تكون هي نعم الإرث الذي يبقى أبد الدهر بينما كل شيء آخر إلى زوال.

حلمت أن يكون لوالدك اسم براق بحق وحقيقي، في زمن الزيف والكذب الذي احترف فيه البعض صنع تماثيل ذهبية من الخارج، بينما في جوهرها وباطنها أحط أنواع البشر.

كنت في بدايتي أثأر لنفسي، وأجيد الانتقام وردّ الصاع صاعين لكل من تجرأ عليّ وحاول أن يكدر صفوي، حتى اكتشفت أن هؤلاء المرضى أسلم شيء لي ولهم أن أدعو لهم بالنجاح بظهر الغيب حتى يعميهم نجاحهم وسعادتهم عني، ثم قرأت كتاب "هكذا علمتني الحياة" للكاتب الراحل السوري مصطفى السباعي، فتعلمت منه الكثير لاسيما حين قال:

"أمران لا يدومان في إنسان: شبابه وقوته،

وأمران لا يتغيران في إنسان: طبعه وشكله،

وأمران يكبران معه: عقله وعمله،

وأمران يصغران كلما كبر: حافظته وجلده،

وأمران لا يخجل منهما أي إنسان: ملء معدته، وقضاء حاجته،

وأمران ينفعان كل إنسان: حسن الخلق وسماحة النفس،

مكتبة عابث الإلكترونية

وأمران يضران كل إنسان: حسد ذوي النعم، والحقد على أهل المواهب.

وأمران تضر الزيادة فيهما والنقصان: الطعام والشراب.

وأمران تضر الزيادة فيهما ويحسن النقصان: العادة والتقاليد.

وأمران يحسن الزيادة فيهما ويضر النقصان: العبادة والإحسان.

وأمران ينفعان صاحبهما مادياً ويضران الناس: الاحتفاظ بسر المهنة والاحتفاظ بنجاح التجربة.

وأمران يحبهما كل الناس: المال والجمال.

وأمران يكرههما كل الناس: الظلم والفساد.

وأمران يولع بهما كل إنسان: النفس والولد.

وأمران يجزع منهما كل إنسان: الفقر والموت.

وأمران يجري وراءهما كل الناس: الوهم والخيال.

وأمران يفر منهما كل الناس: المرض والجوع.

وأمران يحب أن يراهما كل الناس: البطل والمهرج.

وأمران يحب أن يساكنهما كل واحد من الناس: الصحة والسرور.

وأمران يحب أن يسمعهما كل واحد من الناس: الصوت الحسن والبشارة الحسنة.

وأمران يحب أن يحوزهما كل واحد من الناس: الشهرة وثناء الناس."

حينها أيقنت أن الدنيا الفانية التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، لا تستحق الصراع والغدر والكراهية والانتقام، وأن السلام النفسي والتصالح مع الكون بكل ما فيه من شرور وآثام وأحقاد هو خير زاد نتزود به لرحلة محتومة لا مفر من خوضها ذات يوم مهما طال الزمن.

وسأظل أذكّر نفسي ونفسك وكل نفس تمر على هذا الكلام بأحد روائع ابن القيم -رحمه الله- حين قال: "إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله، تحمّل الله عنه حوائجه كلها، وحمَل عنه كلّ ما أهمّه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره".

ياه يا جنى.. كنت وأنا صغير أبكي حين تحمّيني أمي فتبالغ في مرش جسدي بالليفة الخشنة، وغسيل شعري بشامبو لم يكن مخصصاً للأطفال، فتحرق عيني رغوته، بخلاف خوف هائل من مياه فاترة كانت تلعب الدنيئة معي أحياناً بالتواطؤ مع السخان وتلهبني بمياه ساخنة. واليوم أتخيل نفسي وأحدهم يغسّلني بعناية ورفق، دون أن تؤلمني ليفته، ولا تحرق عيني رغوته، وقد عرف أخيراً كيف يضبط درجة حرارة المياه بشكل مناسب، وعلى وجهي ابتسامة هادئة مستكينة، وراحة لا يقلل منها سوى رغبتي في أن أشكره فور انتهائه من مهمته دون أن أملك ذلك، ليلتفّ جسدي باللون الأبيض المحبّب كثيراً إلى نفسي، مستبشراً بلحظات عظيمة ها أنا مقبل عليها بكل حماس ولهفة وأنا أمني نفسي برؤية العفوّ الكريم الأرحم بعباده من الأم بولدها.

لقد قدّمت مع البشر السبت والأحد وكل الأيام. جئت على نفسي كثيراً، واقتطعتُ من أوقات راحتي، وسلبتني خدمة بعض الناس من الجلوس معكي أنتي وأمك، راجياً الخير للجميع، ومساعداً بكل ما أملك من وقت وجهد وتفكير، وكما يقول المثل "كله سلف ودين"، وحتما ستجدين من يربت على كتفك بحب، ويأخذك في حضنه برفق، محاولاً أن يعوضك بحنانه عن جزء من حنان أبيكي حين يغيبه القدر عن حضنك بأمر واجب النفاذ، أو على الأقل سيقدم لك مناديل ورقية لتجففي دموعك الأشبه بحبات اللؤلؤ.

مكتبة عابث الإلكترونية

تركت لكِ أصدقاء أحببتهم وعاملتهم كإخوة، ويقيني وظني فيهم أنهم سيؤدون دورهم المنتظر على أكمل وجه.

حاولت أن أغرس شيئاً في نفوس شباب وفتيات أصغر مني سناً، عسى أن يذكروني بالخير ويردّوا الجميل لشخصي الغائب في ابنته الحاضرة.

نعم هناك الكثير من ناكري الجميل الذين ستصعقك نذالتهم، ويصدمك غيابهم وتخاذلهم، لكن هذه سُنّة الحياة، وعادة الكثير من البشر، وحمداً لله أني -على الأقل- لم أورثك عداوات وكراهية وأحقاداً، وكفى بالصادقين المخلصين حضورهم ووقفتهم المشرفة وإن قلوا.

الآن حان دور أحبتي من الأهل والأصدقاء والقراء ليحملوني في رفق، ويساعدوك في حملك الثقيل. جاء الوقت ليُصلّوا عليّ بخشوع ويدعون لي في صلاتي الأخيرة من كل قلبهم، دعاءً صادقاً مخلصاً من القلب بينهم وبين ربهم، لا رياء ولا مجاملة فيه. لكني لا أريد بصدق أن يبكي عليّ أحد. ماذا لو كنت أنا الاستثناء الغريب في حياة البشر ليحملوه حيث مثواه الأخير وهم يضحكون أو على الأقل على وجوههم ابتسامة ولو من باب الاستبشار بالخير؟!

الآن فقط أشعر بالراحة رغم أن الرحلة لم تبدأ بعدُ. لكني على الأقل انتهيت من كتابة أهم كتبي التي كنت أخشى لو رحلت دون الانتهاء منه، لتحمل كل صفحة أياماً وأسابيع من حياتي القصيرة مهما طالت، حتى ألخص لكِ قصة عُمُر، وخلاصة تجارب أتمنى لو تبدئين منها مسارك، دون أن تمري بنفس ما مررت به من آلام وصعاب، مع العلم بأن الصعاب لن تنتهي من حياة البشر، لكن كفى بالمرء أن يجدد من المشكلات والمصاعب التي يواجهها، حتى نخرج من ذلك القالب

الجامد من المتاعب الجاهزة، والمشكلات المتكررة التي ندور في أفلاكها نحن والذين سبقونا، فلقد انتهيت يا عزيزتي من شرح المنهج لكِ، وصرتي جاهزة لخوض الاختبار، حتى وإن غيرت الحياة والأقدار الأسئلة!

مكتبة عابث الإلكترونية

كلمة أخيرة

فرغت من الكتابة، وأريد من الناشر بدل "كلينيكس" استهلكتها بالجملة؛ لتجفيف دموع لم تتوقف لحظة عن الانهمار مع كل حرف، وكأني أريد تجفيف البحر بمنديل!

وعلى كل حال، سيكون الفراق الذي نخشى كابوس تحقيقه، واقعاً أليماً ذات يوم لا محالة، فلنهدئ من روعنا، ونريح الفكر والبدن كلما هاجمتنا الهواجس بقوله تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}.

مكتبة عابث الإلكترونية

الكاتب في سطور

تخرّج شريف عبد الهادي في كلية الآداب، قسم إعلام، شعبة صحافة، جامعة حلوان، وعمل كاتبًا صحفيًا، وناقدًا فنيًا بالعديد من الصحف والمواقع الإلكترونية، مثل موقع "بص وطل" الإلكتروني، وجريدة "روزاليوسف"، وموقع وإذاعة "حُريتنا"، وجريدة "اضحك للدنيا"، وجريدة "صوت الأمة"، ومجلة "إحنا"، وغيرها من الصحف والمجلات، كذلك عمل بإعداد البرامج التلفزيونية والإذاعية في العديد من القنوات الفضائية ومحطات الراديو، مثل قنوات "الحياة"، و"التحرير"، و"النهار"، و"مودرن حرية"، و"نايل دراما"، والقناة الأولى المصرية، وإذاعة "نجوم F.M"، و"راديو مصر"، و"الشرق الأوسط" وغيرها.

صدر له:

1- كوابيس سعيدة.. أول فيلم سينمائي مقروء
2- أبابيل.. رواية
3- تيستروجين.. رواية
4- حبيبة قلب بابا.. اعترافات

مكتبة عابث الإلكترونية

للتواصل مع الكاتب – The Contacts of Writer

بريد إلكترونى "E-Mail": shiko_angel@yahoo.com

الحساب الشخصى على "تويتر" "My Account On Twitter":
twitter.com/#!/SherifAbdelhady

الحساب الشخصى على "فيسبوك" "My Account On Facebook":
http://www.facebook.com/sherif.abdelhady83

صفحتي الشخصية على "فيسبوك" "My Fan Page On Facebook":
http://www.facebook.com/pages/Sherif-شريف عبدالهادي-Abd-Elhady

قناتى الشخصية على يوتيوب "My Channel on Youtube":
www.youtube.com/user/SheriFabdelhady83

صفحة الكاتب على موقع Good Reads:
https://www.goodreads.com/author/show/6571388

مكتبة عابث الإلكترونية

الفهـرس

إهداء	5
تنويه	7
من قبل ما أشوفك	9
يا رب ولد!	15
سونار	21
وأنتِ تأتين من العالم الآخر	29
بي بَي!	39
بلاي ليست	43
بوم بوم طاااااخ	49
من أول شَكّة	53
با.. بببب... اااا	57
في يوم عيد ميلادنا!	61
اكبر	67
نونو	79
بابي.. إش	83
أنا وماما	87
أبو أُمِك!	91
بابا وماما وحمايَ العزيز.. آسف	97

مكتبة عابث الإلكترونية

قلة أدب! 101
Make up 109
زمان وأنا صغير 111
على نضيف 115
إخواتك في الوطن 121
أُوتَا هيه.. هيه هيه! 131
تيك أواي 135
ورقة وقلم 139
لما تكبري شوية 145
همّا عايزين منك إيه؟! 149
في وطن المعلبات 157
من شاب دماغه نضيفة 163
سر السعادة! 169
بحبه يا بابا 183
في ليلة العمر 199
البقاء لله 205
كلمة أخيرة 213

مكتبة عابث الإلكترونية

بين مخاوف اليأس، الكبر، وربما الموت.. يكتب شريف عبد الهادي عن تلك الدهشة التي تبدأ مع أول شعرة بيضاء في رأس أي أب.. واللهفة التي تسيطر على العقل مع أول بكاء لمولود جديد.. والحلم الذي يبدأ مع الابن ولا ينتهي برحيل الأب.

في هذا الكتاب يكتب شريف عبد الهادي عن هواجسه عن الموت، الحياة، المستقبل، والذكريات..

يفتح حواراً مع كل أب حالي وكل أب مستقبلي.. من خلال حكايته الخاصة مع بنته، كتاب نرشحه للآباء والأمهات، والذين هم على وشك، والذين يخططون لذلك.. بل وللجميع، إنها هواجس منطقية عن الحياة قبل أن تكون عن الأبوة.

الناشر

شريف عبد الهادي

كاتب وروائي تخرّج في كلية الآداب، قسم إعلام، شعبة صحافة، جامعة حلوان، وعمل كاتباً صحفياً، وناقداً فنياً بالعديد من الصحف والمواقع الإلكترونية، ويعمل بإعداد البرامج التلفزيونية والإذاعية في العديد من القنوات الفضائية ومحطات الراديو.

صدر له: كوابيس سعيدة (أول فيلم سينمائي مقروء) – أنابيل (رواية) – نيستروحين (رواية)

تصميم الغلاف كريم ادم

مكتبة عابث الإلكترونية